

(٨٢٢)

ليس من المروءة

لطائف من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"وأنها من متأكدات الإسلام، قال الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، والجمهور، رضي الله عنهم: هي سُنَّة ليست بواجبة، وقال الليث، وأحمد رضي الله عنهما: هي واجبة يوما وليلة على أهل البادية، والقرى دون أهل المدن، وتأول الجمهور هذه الأحاديث على الاستحباب كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم، أي متأكد الوجوب، حكي عن الأبرش الكلبي أنه كان عنده ضيف، فقام الضيف يصلح المصباح، فقال له: **مه ليس من المروءة أن** / يُستخدَم الضيف، وكذلك اتّفق لعمر بن عبد العزيز مع رجاء بن حيوة. ... [٤٦ أ]

يُشفَى لديغُ العوالي في بُيوتهِمُ ... بنهلةٍ من غَدِيْرِ الخَمْرِ والعَسَلِ

اللغة: لدغته العقرب تلدغه لدغاً فهو ملدوغ ولديغ، العوالي: الرماح، النهلة: الشربة الواحدة، والمنهل: المورد، والغدير: القطعة من الماء، الخمر: معروف، والعسل: يذكّر ويؤنّث، وهو مجاج النحل.

الإعراب: يُشفى: فعل مضارع مبني لما لم يسم فاعله، لديغ: فاعله، العوالي: جمع عالية، وموضعها جر بالإضافة، والضمير في بيوتهم يعود على رجال الحي، والجار والمجرور في موضع جر بالإضافة، بنهلة: الباء هنا للاستعانة، والجار والمجرور يتعلق بيُشفى، ويصلح أن يكون حالا، من غدير: من هنا لبيان الجنس، وتكون للتبعيض، وغدير هنا مفعول؛ لأنه يُغادَرُ من السيل في الأودية.

المعنى: إن هؤلاء القوم من وصفهم أنّ لديغ العوالي الذي طُعن يشفى بشربة واحدة من غدير الخمر والعسل، وقوله: لديغ العوالي الملدوغ، حقيقة في العقرب، مجازا في غيره، وقوله: بشربة من غدير الخمر والعسل هو كناية عن رضاب الفتيات اللاتي تقدم ذكرهن، شبه ريقهن بالخمر والعسل، وإلاّ لو حمل على حقيقته كذّبه الحس؛ لأن الذي يُطعن بالرمح لا يشفى بشرب العسل والخمر، ولهذا عكس قول القائل (١): (من الكامل)

سُكْرانِ سُكْرُ هوى وسكرُ مُدامَةٍ ... فمتى إفاقةُ مَنْ بهِ سُكرانِ

أي لا إفاقة له، ولا إقالة من عثرته ما دام متصفا بهذا الوصف، واعلم أنّ للشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفية، وإن كانت في الأصل مجازا؛ لكثرة دورانها في كلامهم، وتعاطيهم استعمالها؛ لأنهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على ألسنتهم، ومسامعهم، فمن / ذلك الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام، والكثيب إذا أطلقوه فهموا منه الردف [٤٦ ب] والورد إذا أطلقوه فهموا منه الوجنة، والأقاح إذا أطلقوه فهموا منه الثغر، والراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق، والنرجس إذا أطلقوه فهموا منه العيون، وكذا السيوف والسهم والسحر، فإذا أطلقوا الآس أو البنفسج أو الريحان فهمو منه العِذار، كل هذه الأشياء انتقلت من

---

(١) لديك الجن الحمصي، ديوانه / (م).." [(١)]

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدَّمِيري ص/٧٩

"لعطوفته أنّي لا أستطيع أن أشرح سروري بوجودي في مجلسكم، ويسرّني جدّاً أن أستشفي بطعامكم الهنيء وشرابكم المريء، غير أنّي لا أجدني مرتاحاً ولا منشرحاً إذا ضمّني وحزباً من أحزاب السياسة مجلس أو مقام، وقد عشت حياتي لا أرغب في الجمعيات ولا أميل إلى الدخول في المحافل والمنتديات. ذلك لأنّي أرى أنّ الاجتماعات كثيراً ما تضطر الإنسان وتقهره إلى ما ليس في حسبانه، فيتحدّث بما عساه أن يقلق الخواطر ويشوّش الأذهان. نعم، وأكره من صميم قلبي أن أتقيّد بأمر من الأمور كائناً ما كان، خصوصاً الأمر

الّذي سبق رأيي فيه وعرف الناس عنه من لساني مرّة بعد أخرى ما لا أظنّه يخفى على عطوفتكم أيضاً، وإن أقرب عهدنا به مجلس البارحة الّذي تحدّثنا فيه طويلاً مع دولة ناظم باشا وعطوفتكم وبعض رجال الحكومة والأعيان. ولست أخشى من شيء ما أخشى من أن يقال فلان كان بالأمس يقول كيت وكيت، وهو في الصباح يـفـعل كذا وكذا، وهو ما إذا دخل في الرأي أفسده وفي الكلام أسقطه وعدّ به صاحبه مخادعاً ختالاً. وربّما ذهب في ذلك بعض الناس مذهباً لا يتّفق وما أردته في شيء، وما لي ولهذا كلّه، وإنّي والحمد لله لا أبالي أن أعلن رأيي وأشهره بكلّ صراحة وثبات ما دمت أعتقد أنّه حقّ سديد. (وإنه ليجمل بالرجل ذي الرأي يعتقد صحّته وسداده أن يثبت عليه، مهما تقلّبت أمامه الأمور وتحوّلت الأحوال. وليس من الحكمة أن يخالف الإنسان ضميره ليوافق الناس، ولا أن يغضب نفسه ابتغاء مرضاتهم، كما **أنّه ليس من المروءة والشهامة** أن يحدّث الواحد قلبه بما يكره أن يدور على لسانه في مجلسه وكلامه)، فأرجوك إذاً أن تعفيني من الذهاب إلى هذا النادي وإنّي أشكرك على هذا الإعفاء، ريثما أشكرك أيضاً على معروفك السابق واللاحق وحسن قصدك الّذي عرفته لك. قلت لدولته ذلك، وهو ما زال يلج في الدعوة ويلحّ في الطلب بما لم يسعني معه أخيراً إلا تلبية طلبه وإجابة دعوته. ولكن ذلك كان بعد أن أفهمني عطوفته أنّ هذه المأدبة من عنده نفسه، وليس لأحد سواه شأن فيها، وأنّه إنّما اختار محل الجمعية لأنّه لم يعثر على محل غيره يسع المدعوين، وهم يبلغون نحو ٥٠ نفساً. وقد ارتحت كثيراً لهذا الجواب، ووددت لو كنت فهمته من قبل. وعلى ذلك انتهت محاورتنا، وخرج من عندنا عطوفة الباشا الوالي مع رفيقه شاكرين لنا ما لقياه من الحفاوة والاحترام، خصوصاً." (١)

"وللحديث أطراف أخرى منها : "ما من الصلوات صلاة أفضل" .

١٩٤٩٦- ليس من المؤمنين من لا يأمن جاره بوائقه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت إن الله يحب الحيى الحليم العفيف المتعفف ويبغض الفاحش البذىء السائل الملحف إن الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة وإن الفحش من البذاء والبذاء فى النار (الطبرانى عن ابن مسعود عن فاطمة الزهراء)

أخرجه الطبرانى (٤١٣/٢٢ ، رقم ١٠٢٤) ، قال الهيثمى (١٦٩/٨) : فيه سوار بن مصعب ، وهو متروك .

١٩٤٩٧- ليس من المروءة الربح على الإخوان (ابن عساكر عن أبى حنيفة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . الديلمى عن معاوية)

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/١١٨

حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أخرجه ابن عساكر (٣٢٥/٦١) .
حديث معاوية بن حيدة : أخرجه الديلمى (٣٨١/٣ ، رقم ٥١٥٧) .." [(١)]

"ومن الفتوة مطالبة العبد نفسه بالصدق. ليشغله ذلك عن الفراغ إلى أحوال الخلق أجمع. حكي لي عن أبي بكر الطمستاني أنه قال: كل من استعمل الصدق بينه وبين الله، شغله صدقه مع الله عن الفراغ إلى خلق الله.

ومن الفتوة الثقة بضمان الله تعالى في الرزق. سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول: سمعت علي بن إبراهيم يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: قال سهل بن عبد الله: من اهتم لرزقه بعد ضمان الله له، لم يكن له عند الله قدر.

ومن الفتوة موافقة الإخوان على الجملة وترك الخلاف عليهم. سمعت أبا العباس أحمد بن محمد النسوي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت علي بن جعفر يقول: قال أحمد بن إبراهيم الصوري قال: سمعت المسيب بن واضح يقول: كل أخ قلت له قم، قال إلى أين، فليس لك بأخ.

ومن الفتوة أن لا يخالف حبيبك في محبوب ومكروه. سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن أحمد الناقد يقول: سمعت أحمد بن الصلت يقول: سمعت بشر بن الحارث **يقول: ليس من المروءة أن** تحب ما يبغضه حبيبك. وأنشدت في هذا المعنى (شعر):

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذا كان حظي منك حظى منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغرة ... ما من يهون عليك ممن أكرم

ومن الفتوة حفظ الأدب في الدعاء والسؤال والمناجاة. سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت سعيد بن عثمان العباسي يقول: حججت ثمانين حجة على قدمي في الفقر، فبينا أنا أطوف، إذ جرى على لساني في الطواف أن قلت: حبيبي.." [(٢)]

" العسقلاني عن عمر بن محمد بن أحمد بن سليمان عن أبيه عن أبي القاسم عن عبد الرحمن بن مكي عن أبي طاهر قائلا كل واحد منهم سألت فلانا عن سنه فقال اقبل على شأنك قال السلفي سألت أبا الفتح بن زبان عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت عليا بن محمد اللبان عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي فقال اقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت أبا عيسى الترمذي عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت الشافعي عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال اقبل على شأنك **وقال ليس من المروءة إخبار** الرجل عن سنه وإن كان صغيرا استحقروه وإن كان كبيرا استهرموه

قال ابن الطيب أورده غير واحد في أخبار مالك منهم أبو الحسن محمد بن علي الأزدي المالكي فيما أفرده من حديث مالك والمراد ببعض أصحاب الشافعي هو البوطي كما ورد مصرحا به في مسلسلات الشرف ابن أبي عصرون

---

(١) جامع ال أحاديث، المؤلف غير معروف ٣٠٩/١٨
(٢) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي، المؤلف غير معروف ص/٢٢

وفي الجزء الأول من فوائد أبي الحسن الحلبي وغيرها ولكن ذكر أبو الحسن النيسابوري أن الذي سأل الشافعي هو المزني وأسنده الشافعي عن مالك عن ربيعة والأول أشهر قال البيهقي قال لنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ في قول الشافعي هذا صيانة كبيرة للمروءة وأخذ في بسط ما يترتب على ذلك انتهى المسلسل بالسؤال بالاسم وتوابعه

رلقيت العلامة الشيخ عبد الله بن محمد غازي المكي بمكة فسألني عن اسمي وكنيتي ونسبي وبلدي وأين أنزل فأخبرته بذلك عن شيخه عبد الله بن عودة القدومي بالمدينة المنورة عن سعيد بن حسن الفراء بدمشق عن محمد بن عثمان البطائحي بحلب الشهباء عن خليل أفندي بن علي بن مراد البخاري بدمشق عن عثمان بن محمد الشهير بالشمعة ببعلبك عن أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي بدمشق عن أبيه عبد الباقي البعلي عن أبي العباس أحمد بن علي البقاعي بدمشق عن الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي بمكة عن السيد يوسف بن عبد الله الأرميوني عن الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي بمصر عن أم الفضل ." [(١)]

."

٥٧٣ ـ أخبرنا أحمد، حدثنا عمر بن محمد بن علي الزيات، حدثنا أبو بكر أحمد
ابن عبد العزيز الجوهري(١)، حدثني أبو يعلى زكريا بن يحيى المنقري(٢)، حدثنا الأصمعي، حدثنا أيوب بن واقد(٣)، عن المغيرة(٤)، عن إبراهيم(٥) قال: ((**ليس من المروءة كثرة** الالتفات في الطرق))(٦).

٥٧٤ ـ أخبرنا أحمد، حدثنا أبو سعيد الحسن بن جعفر السمسار، حدثنا أبو شعيب الحراني، أخبرنا يحيى بن عبد الله البابلتي(٧)، حدثنا الأوزاعي قال: ((إن أطيب ما أكل أحدكم من كسبه أو من تجارة مبرورة(٨)))(٩).

---

(١) لم أجد ترجمته، ولكن روى عنه العسكري في "تصحيفات المحدثين"، وروى فيه عن عمر بن شبة.

(٢) الساجي، ذكره الهروي في "مشتبه أسامي المحدثين" (ص١٢٧) وقال: "روى عن الأصمعي وغيره".
وذكره ابن حبان في "الثقات" (٢٥٥/٨) وقال: "كان من جلساء الأصمعي".

(٣) هو أيوب بن واقد، أبو الحسن الكوفي، ويقال: أبو سهل، سكن البصرة، متروك، مجمع على ضعفه.
انظر التاريخ الكبير (٤٢٦/١)، والضعفاء والمتروكين للنسائي (ص١٥)، والجرح والتعديل (٢٦٠/٢)، والضعفاء للعقيلي (١١٥/١)، والكامل لابن عدي (٣٥٥/١)، وتهذيب الكمال (٥٠٢/٣)، والتهذيب (٣٦٣/١).

(٤) هو ابن مقسم الضبي، ثقة متقن، إلا أنه كان يدلس، ولا سيما عن إبراهيم، قاله الحافظ في "التقريب" (٥٤٣/ت٦٨٥١).

(٥) هو ابن يزيد النخعي.

(٦) إسناده ضعيف جدا من أجل أيوب بن واقد.

(٧) هو يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلتي ـ بموحدتين ولام مضمومة ومثناة ثقيلة ـ، أبو سعيد الحراني، ابن امرأة

---

(١) العجالة في الأحاديث المسلسلة، المؤلف غير معروف ص/٨٧

الأوزاعي، ضعيف، مات سنة ثماني عشرة ومائتين. تهذيب الكمال (٣١/٤٠٩)، والتقريب (٥٩٣/ت٧٥٨٥).

(٨) في المخطوط "مبرور" بدون التاء، والصواب إثباتها.

(٩) إسناده ضعيف من أجل يحيى البابلتي، ولم أجد الأثر فيما رجعت إليه من المصادر.." [١]

" ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي ... احتل لنفسك أيها المحتال ... فمن المروءة أن يرى لك مال ... كم ناطق وسط الرجال وإنما ... عنهم هناك تكلم الأموال ...

قال أبو حاتم رضى الله عنه الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر عليه ولا سبيل الى إقامة مروءته إلا باليسار من المال فمن رزق ذلك وضن بإنفاقه في إقامة مورءته فهو الذي خسر الدنيا والآخرة ولا آمن أن تفجأه المنيه فتسلبه عما ملك كريها وتودعه قبرا وحيدا ثم يرث المال بعد من يأكله ولا يحمده وينفقه ولا يشكره فأي ندامة تشبه هذه وأي حسرة تزيد عليها

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي ... يا جامع المال في الدنيا لوارثه ... هل أنت بالمال قبل الموت منتفع ... قدم لنفسك قبل الموت في مهل ... فإن حظك بعد الموت منقطع ...

أنبأنا المفضل بن محمد الجندي بمكة حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال ثلاثة ليست من المروءة الأكل في الأسواق والادهان عند العطار والنظر في مرآة الحجام

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي قال ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام

حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمي ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب قال سمعت أبا قلابة يقول ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه

وأنشدني البسامي ... اعلم بأنك لا أبالك في الذي ... أصبحت تجمعه لغيرك خازن ... إن المنيه لا تؤامر من أتت ... في نفسه يوما ولا تستأذن ...

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال كان ." [٢]

"قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه ... حتى يكون إلى توريطه سببا

شر الأخلاء من كانت مودته ... مع الزمان إذا ما خاف أو رغبا

إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

آخر:

ليس الصديق الذي يعطيك شاهده ... شهد الوداد وخان الغيب غائبه

وقال عبيد بن الأبرص:

---

(١) الطيوريات، المؤلف غير معروف ٧/٥١

(٢) روضة العقلاء، المؤلف غير معروف ص/٢٣٣

قد يوصل النازح النائي وقد ... يقطع ذو السهمة القريب

آخر:

تلوم على القطيعة من أتاها ... وأنت شببتها في الناس قبلي

آخر:

قد فرق الله بين شيمتنا ... في كل أمر فكيف نأتلف

قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: من أفطر من أجل أخ له، ثم لم يمنن عليه عدل له ذلك بصيام شهر.

وقال الحسن البصري: لا ينظر الله إلى من بذل الود لأخيه حتى ائتمنه ثم انطوى له على غل.

شاعر:

وأخ إن جاءني في حاجة ... كان بالإلحاح مني واثقاً

وإذا ما جئته في حاجة ... كان بالرد بصيراً حاذقا

يعمل الفكرة لي في الرد من ... قبل أن أبدأ فيها ناطقا

آخر:

أراك مع الأعداء في كل موطن ... وقلبك من ضغن علي مريض

وما بي من فقر إلى أن تحبني ... وما ضرني أني إليك بغيض

وقال ابن عباس: العاقل الكريم صديق كل أحد، إلا من ضره، والجاهل اللئيم عدو لكل أحد إلا من نفعه.

وقال آخر:

لنا صديق مبغض للأدب ... إخوانه من جهله في تعب

يغضب حيناً عند حد الرضا ... نوكاً ويرضى عند حال الغضب

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في كتاب سوء الأدب

آخر:

الحمد لله عامل الصدقه ... كان صديقاً فقد لوى عنقه

آخر:

يا صديقي ما كنت لي بصديق ... إنما كنت للزمان صديقا

قال بعض السلف: أحق الناس بأن يتقى: العدو القوي، والصديق المخادع، والسلطان الغشوم.

شاعر:

إذا عدوك لم يظهر عداوته ... فما يضرك إن عاداك أشرار

وقال رجل لعمر بن الخطاب: والله إني لأحبك في الله، قال: لو كنت كما تقول لأهديت إلي عيوبي.

وقال أعرابي: السؤال عن الصديق أحد اللقائين.

شاعر:

من لم يكن ذا صديق ... يفضي إليه بسره

ويستريح إليه ... في خير أمر وشره

فليس يعرف طعماً ... لحلو عيش ومره

آخر:

وأبيض قد صادفته فدعوته ... إلى بدوات الأمر حلو شمائله

أخي ثقة إن أبتغ الجد عنده ... أجده ويلهيني إذا شئت باطله

وإني لمعراض عن المرء بعدما ... يبين وتبدو لو أشاء مقاتله

آخر:

أغيب عنكم بود لا يغيره ... طول البعاد ولا ضرب من الملل

آخر:

ولا يلبث الحبل الضعيف إذا التوى ... وجاد به الأعداء أن يتخذما

قال الحسن **البصري: ليس من المروءة أن** يربح الرجل على أخيه.

وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره اثنين، ولا يستأثر دون أخيه بورق ولا عين.

وقال الحسن: لأن اقضي لأخ من إخواني حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة.

وقال الحسن: ما تحاب اثنان ففرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما.

وقال الحسن: لا تشتر مودة ألف بعداوة واحد.

وقال الشاعر:

إذا ما امرؤ ولى علي بوده ... وأدبر لم يهدر بإدباره ودي

قيل لأعرابي: كيف ينبغي أ، يكون الصديق؟ قال: مثل الروح لصاحبه، يحييه بالتنفس، ويمتعه بالحياة ويريه من الدنيا نضارتها، ويوصل إليه نعيمها ولذتها.

وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال: أنشدنا ثعلب لأعرابي:

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم

إذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها، تلك السفاهة والظلم

ويسعى إذا أبني ليهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي أن يسوغ له الرغم

فإن أنتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يستهاض بها العظم." (١)

---

(١) الصداقة والصديق، المؤلف غير معروف ص/٥٥

"وعفوه عن كل من ... أسخطه أو ظلمه

وبرّه بنفسه ... وماله من حرمه

فما يراه معظمٌ ... للحق إلاّ أعظمه

أبقى عليه اللّه ما ... أبقاه فينا نعمه

وزاد فيها عنده ... وحاطه وسلمه

من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رفع إلى عمر بن الخطاب رجل في جرم ، فأراد أن يعاقبه ، فأخبر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه.

سئل عبد الله بن عمر ، عن المروءة والكرم والنجدة. فقال : أما المروءة : فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعته ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام ، وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإطعام في المحل. وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر في المواطن ، والإقدام على الكريهة.

وفي رواية أخرى ، أن معاوية قال في مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد اللّه بن هاشم بن عتبة ، وكان بعده عفوه عنه يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين! أما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح في المال ، والمحاماة عن الجار. وأما النجدة فالجرأة على الإقدام ، والصبر عند ازورار الأقدام.

قال طلحة بن عبيد اللّه : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، **وليس من المروءة** حمل الكيس في الكم.

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقه في الدين ، وبرّ الوالدين ، والصبر على النوائب.

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءة لكذوب ، ولا أخ لملول ، ولا سؤدد لسيئ الخلق.

سئل ابن شهاب الزّهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الريب ، وإصلاح المال ، والقيام بحوائج الأهل.

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللّباس.

وقال الزهري أيضاً : الفصاحة من المروءة.

قال إبراهيم النخعى : **ليس من المروءة كثرة** الالتفات في الطريق.

قال غيره : من كما المروءة أن تصون عرضك ، وتكرم إخوانك ، وتقيل في منزلك.

قال منصور الفقيه :

من فارق الصبرّ والمرو ... ءة أمكن من نفسه عدوّه

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة. فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط اللّه. المروءة في الحضر : إدمان الاختلاف إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في اللّه عزّ وجلّ.

وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق. وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج.

قيل لبعض الحكماء : من يجب لذى المروءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكسادها.
كان يقال : صن عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، وبجدتك بترك الحياء ، وجهدك بالإجمال في الطب.
أخبرنا عيسى بن سعيد ، حدثنا مقسم ، حدثنا أبو بكر مƒمد بن حمدان ،حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد اللّه بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب ، عن عبد يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن إبراهيم بن محمد بن العباس ، قال : سمعت سفيان بن عيينة ، وقد سئل عن المروءة ماهي ؟ فقال : الأنصاف من نفسك ، والتفضل على غيرك ، ألم تسمع قول اللّه تعالى " إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان " لاتتمّ المروءة إلاّ بهما ، العدل هو الإنصاف ، والإحسان التفضل.
روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال : الكامل من برّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته.
قال الشاعر :
إذا الفتى جمع المروءة والتقى ... وحوى مع الأدب الحياء فقد كمل
قال رجل من بني قريع :
إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً ... فمطلبها كهلا عليه شديد
قال ƒعفر بن محمد : لا هين لمن لا مروءة له.
قال أحمد بن العدل : زعموا أن الأحنف بن قيس لم يسمع له شعرٌ غير هذين البيتين ، وهما :
فلو مدّ سروى بمال كثير ... لجدت وكنت له باذلا." (١)

"كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الأمير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لأمير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم فقال الأمير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدي لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا فقال الأمير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم **وليس من المروءة** أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لأصحابه من أحبني فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما أنزل الأمير رجع إليهم الوزير ودفع إليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء إنما يجب أن تفرحي فإن الله قد وسع علينا فقالت يا ام والله إنما بكائي كيف بتنا البارحة جياعا فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد طرفة عين اللهم انظر إلى أبينا ودبره بأحسن التدبير هذا ما كان من امرهم

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف غير معروف ص/١٣٩

وأما ما كان من امر حاتم أبيهم فإنه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الأمير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من امر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين إن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى اعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فإنه من توكل على الله فهو حسبه ." (١)

"قال ابن أبي دواد، وقد وصف كرم أخلاق المعتصم: دخلت عليه يوما فدعا بالغداء ثم قال: يا أبا عبد الله ها هنا رجل قد صار إليه من مال فارس أيام علي بن عيسى القمي عشرون ألف ألف درهم، وقد عزمت على أخذها منه، فإن خرج إلي منها طوعا وإلا قتلته وأخذت كل ما ظهر لي من ماله، قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يعقوب بن فرادون النصراني كاتب علي بن عيسى، فقلت: وفق الله أمير المؤمنين لطاعته، قال: وأحضر الطست ليغسل يده فغسلها ثم قال لي: اغسل يدك، فقلت: مالي إلى الطعام حاجة، قال: ولم؛ قلت: تأخذ مال جاري وتقتله؟! قال: هو جار لك؟ قلت: بيتي وبيته، قال: فقد تركت من المال لك خمسة آلاف ألف درهم، فقلت: ما آكل شيئا، قال: يا غلام هات طعامك ولا أبالي أن لا يأكل، وهو في خلل ذلك يكلمني ويبتسم، فوضع الطعام بين يديه، فو الله ما هناه أن يأكل كرما ونبلا، ثم قال: يا أبا عبد الله كل حتى أترك لك م ن المال المذكور نصفه، فقلت: ما آكل شيئا، قال: فأكل لقما ثلاثا وأنا ألحظه ما يقدر أن يسيغها، ثم قال: يا أبا عبد الله ادن فكل فقد وهبت لك المال جميعه ودمه، فقلت: وهب الله لأمير المؤمنين الجنة فو الله الذي لا إله إلا هو ما رأيت ولا سمعت بخليفة قط ولا ملك أكرم منك عفوا، ولا أسمح كفا، ولا أجمل عشرة، ولا أنبل أخلاقا، ثم قال: يا غلام الطست، فجاء به، فغسلت يدي وأكلت، وبلغ الخبر إلى يعقوب فشكرني على ذلك فاستكففته وقلت: فعلت ذاك للحرمة لا للشكر.

سرق بعض غاشية جعفر بن سليمان بن علي درة نفيسة من بين يديه وباعها بمال جزيل، فأنفذ جعفر بن سليمان إلى الجوهريين بصفة الدرة فقالوا: باعها فلان منذ مدة، فأخذ وجيء به إليه وكان يختص به، فلما رآه جعفر ورأى ما قد ظهر عليه من الجزع والخوف قال له: أراك قد تغير لونك، ألست يوم كذا وكذا طلبت مني هذه الدرة فوهبتها لك؟ وأقسم بالله لقد أنسي ت هذه الحال؛ وأحضر ما كان اشتريت به فدفعه إلى الجوهري ثم قال للرجل: خذ الدرة الآن وبعها حلالا بالثمن الذي تطيب به نفسك لا بيع خائف ولا وجل، والله لقد آلمني ما دخل عليك من الرعب والجزع.

وقال الأصمعي: ما رأيت أكرم أخلاقا ولا أشرف أفعالا من جعفر بن سليمان، كنا عنده فتغدينا معه واستطاب الطعام فقال لطباخه: قد أحسنت وسأعتقك وأزوجك، فقال الطباخ: قد قلت هذه غير مرة وكذبت، قال: فو الله ما زاد على أن ضحك، وقال لي: يا أصمعي إنما يريد البائس أخلفت، قال الأصمعي: وإذا هو قد رضي بأخلفت.

قيل كان المهتدي يصلي الصلوات كلها في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يوما فقال أعرابي: يا

---

(١) المستطرف، المؤلف غير معروف ١/١٥٠

أمير المؤمنين لست على طهر وقد رغبت إلى الله تعالى في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء أن ينظروني، قال: انظروه رحمكم الله، ودخل المحراب فوقف إلى أن أقبل وقيل له قد جاء الرجل، فعجب الناس من سماحة أخلاقه.

قال يحيى بن أكثم: ماشيت المأمون في بستانه ويده في يدي، فكان في الظل وأنا في الشمس، فلما بلغنا ما أردنا ورجعنا صرت أنا في الفيء وصار هو في الشمس، فدرت أنا إلى الشمس فقال: لا ليس هذا بإنصاف، كما كنت أنا في الفيء ذاهبا فكن أنت في الفيء راجعا.

ووقع إلى علي بن هشام وقد شكاه غريم له: ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة ويكون غريمك عاريا وضيفك طاويا.." (١)

"حدثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول أبو جعفر الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا إسحاق بن عيسى الطباخ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: خرجت مع عمر إلى الشام، فاستيقظنا ليلةً وقد رحل لنا رواحلنا وهو يرحل لنفسه وهو يقول:

لا يأخذ الليل عليك بالهم ... والبس له هذا القميص واعم

وكن شريك رافعٍ وأسلم ... ثم اخدم الأقوام حتى تخدم

قال فقلت: رحمك الله يا أمير المؤمنين لو أيقظتنا لكفيناك.

قال القاضي: كأن أبا تمام سمع هذا فأخذ منه قوله:

فمن خدم الأقوام يرجو نوالهم ... فإني لم أخدمك إلا لأخدما

وقوله: مؤمله حتى مؤملا

قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر

وروينا في معنى ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما أتى هذا الخبر به عن بعض السلف أنه قال لا بن عمر بن عبد العزيز: ما رأيت رجلاً أكرم من أبيك، سمرت معه ذات ليلةٍ فخفت المصباح، فقام إليه فأصلحه، فقلت له: يا أمير المؤمنين هلا أمرت بإصلاحه، فقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

إنا لا نتخذ الإخوان خولاً

وروي نحو هذا عن الأبرش الكلبي وقد قام ليصلح المصباح، فقال له صاحب المجلس: مه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه؛ ويروى أنه قال: إنا لا نتخذ الاخوان خولاً.

فروة بن مسيك يفد على الرسول

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان بين مراد وبين بني الحارث بن كعب قتال في الجاهلية فاستعانت بنو الحارث بهمدان على مراد، فقتل من هؤلاء ألف ومن هؤلاء ألف، وذلك يوم الرزم، فدخل فروة بن مسيك بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أين كنت عن قومك يوم

(١) التذكرة الحمدونية، المؤلف غير معروف ١/١٩٢

الرزم؟ فقال فروة: يا رسول الله:

إن نهزم فهزامون قدماً ... وان نهزم فغير مهزمينا

كذاك الحرب صولتها سجال ... تكر صروفها حيناً فحينا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أردت هذا، وإن الذي أصيب به قومك هو الذي حرضهم على الإسلام.

أنت الذي يكذب من يحدث بأنعم الله؟

حدثنا أبو طالب الكاتب علي بن محمد بن الجهم قال حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور الزيادي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زياد بن جبل عن أبي كعب الحارثي، وهو ذو الإداوة، قال: سمعته يقول: خرجت في طلب إبل لي ضوال، فتزودت لبناً في إداوة، قال ثم قلت في نفسي: ما أنصفت ربي فأين الوضوء؟ قال: فهرقت اللبن وملآتها ماء، فقلت: هذا وضوء وهذا شراب، قال فكنت أبغي إبلي فإذا أردت أن أتوضأ اصطببت من الإداوة ماءً فتوضأت، وإذا أردت أن أشرب اصطببت لبناً فشربته، فمكثت بذلك ثلاثاً فقالت له أسماء النجرانية: يا أبا كعب أحقيناً كان أم حليباً، فقال: إنك لظالمة، كان يعصم من الجوع ويروي من الظمأ، أما إني حدثت بهذا نفراً من قومي منهم علي بن الحارث سيد بني قنان فقال: ما أظن الذي تقول كأن تقول، ق ا ل قلت: الله أعلم بذلك، قال فرجعت إلى منزلي فبت ليلتي تلك، قال: فإذا أنا به صلاة الصبح على بابي فخرجت إليه، قال فقلت: يرحمك الله لم تعنيت إلي؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ قال: لا ، فإني أحق بذلك أن آتيك، ما نمت الليلة إلا أتاني آتٍ فقال: أنت الذي يكذب من يحدث بأنعم الله؟! موقف المتكلمين من الكرامات." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٥٠ """""""

هافٍ ، وحاسد ملافظ ، وجارٍ ملاحظ ، ورفيقٍ كسلان ، وخليلٍ وسنان ، و ضعيف ، ومركوبٍ قطوف ، وزوجةٍ مبذرة ، ودارٍ ضيقة . قال المدائني : قال بعض السلف لابنه : اسحذ طبعك بالعيون والفقر وإن قلت ، فإن الشجرة لا يشينها قلة الحمل إذا كان ثمرها نافعاً ، وأكلها ناجعاً . وقيل للأوزاعي : ما كرامة الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه . قال مجاهد في قول الله تعالى : ' ضيف إبراهيم المكرمين ' قال : قيامه عليهم بنفسه . وقال عمر بن عبد العزيز : **ليس من المروءة أن** تستخدم الضيف . وقال إبراهيم بن الجنيد : كان يقال : أربعٌ للشريف لا ينبغي أن يأنف منهن وإن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وخدمته للعالم يتعلم منه ، وإن سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . حاتم كان يقول : العجلة من الشيطان إلا في خمسة أشياء ، فإنها من السنة : إطعام الضيف إذا حل ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب . وقال : من أطعم الضيف لحماً وخبز حنطة وماءً بارداً فقد تمم الضيافة . وقال حاتم : المزور المرائي إذا ضاف إنساناً حدثه بسخاوة إبراهيم الخليل ، وإذا ضافه إنسانٌ حدثه بزهد عيسى بن مريم

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، المؤلف غير معروف ص/٣٧٤

. وقال ميمون بن ميمون : من ضاف البخيل صامت دابته ، واستغنى عن الكنيف ، وأمن التخمة . وقال بعض السلف الصالح : لأن أجمع إخواني على صاعٍ من طعامٍ أحب إلي من عتق رقبة .." (١)

"رأى بعض الحكماء رجلين لا يفترقان فسأل عنهما فقيل: هما صديقان. قال: ما بال أحدهما غني والآخر فقير؟وقيل: لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه. وقال محمد بن علي: أيدخل أحدكم يده في كم أخيه فيأخذ حاجته؟قالوا: لا. قال: فلستم إذا بإخوان.

الحث على أن تشارك في السراء من يشاركك في الضراء:

قال أكثم بن صيفي: حق أن تشارك في النعم من يشاركك في المكاره.

أبو تمام:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال جحظة البرمكي:

قل للوزير أدام الله دولته: ... أذكر منادمتي والخبز خشكار

إذ ليس بالباب برذون لنوبتكم ... ولا غلام ولا بالباب طيار

آخر:

شركناك في مر الزمان فكن لنا ... إذا الحلو منه در غير شريك

ذم من أعرض عنك في حال يساره:

صبغت أمية في الدماء رماحنا ... وطوت أمية دوننا دنياها

آخر:

رأيتك لما نلت مالا وعضنا ... زمان نرى في حد أنيابه شغبا

جعلت لنا ذنبا لتمنع نائلا ... فأمسك، ولا تجعل غناك لنا ذنبا

محمود:

وكنت أخي أيام عودك يابس ... فلما اكتسى واخضر صرت مع الدهر

ولآخر:

ابتاع ودي وهو ذو عسرة ... حتى إذا نال الغنى باعه

وكتب المعروف بالزغل إلى بعض السلاطين:

رآني بعين النقص أن صار ذا غنى ... وأغفل قبل اليوم نقص يديه

وما نال إلا حظه غير أنه ... توهم أن الرزق صار إليه

فكله إلى مر الليالي وصرفها ... ستأتي على ما عنده وعليه

(١) الإمتاع والمؤانسة، المؤلف غير معروف ص/٢٥٠

آخر:

صديقك من يرعاك عند شديدة ... فكل تراه في الرخاء مراعيا

آخر:

فلا يغرنك إخوان تعدهم ... أنت العدو لمن كلفته حاجه

ذم من تكبر على أصدقائه لغناه وسلطانه:

صالح بن عبد القدوس:

تاه على إخوانه كلهم ... فصار لا يطرف من كبره

أعاده الله إلى حاله ... فإنه يصلح في فقره

الخوارزمي:

وصلتك بالسلطان حتى إذا اغتلى ... مكانك واستمكنت لم تملك الحقدا

كمقتدح نارا بزند لحاجة ... فلما تلظت ناره أحرق الزندا

تغير الإخوان في حال العلاء:

قال زياد: إذا كان لك صديق فولي ولاية وبقي لك واحد من عشرة، فليس بصديق سوء. وقال بعضهم: إذا كان لك أخ صافي الود فلا تتمن له منزلة ففي ذلك تغير له عن الوداد.

شاعر:

وكل إمارة إلا قليلا ... مغيرة الصديق عن الصديق

آخر:

إذا ما أردت وداد امرء ... فلا تدعون له بارتقاء

إذا رأيت امرأ في حال عسرته ... صافي المودة ما في وده وغل

فلا تمن له حالا يسر بها ... فإنه بانتقال الدهر ينتقل

قيل: لا تنظر إلى صديقك إذا بلغ منزلة بعينك الذي نظرت بها قبل، وإذا جعلك أبا فاتخذه ربا . وقيل: ذو الحرمة ملوم على الإفراط في الدالة، كما أن المحترم له ملوم على تناسي المودة والحرمة. وقال أبو عباد يوما لأبي بكر المقري: إياك والدالة في غير مكانها، فنحن بالليل إخوان وبالنهار ذوو سلطان. فرط الإدلال يدعو إلى الملال.

مدح من لم يتغير لمنزلة نالها:

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة ... إذا غير السلطان كل خليل

الموسوي:

وغيري إذا ما طار خلف صحبه ... دوين المعالي واقعين وحلقا

ولما بشر هشام بالخلافة سجد من حوله شكرا لذلك غير الأبرش الكلبي فقال له هشام: ما منعك أن تسجد معي؟قال: إني معك ليلا ونهارا، وغدا ترقى إلى السماء فتنكرني!قال: بل أصعد بك. فقال: أما الآن فإني أسجد عشرين سجدة!

مدح من نزه إخوانه عن استخدامهم في سلطانه:

كان هشام يعتم فقام إليه الأبرش ليسوي عمامته فقال: مه!فأنا لا نتخذ الإخوان خولا. وقام عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه بنفسه فأصلح سراجه فقال واحد من جلسائه: ألا أمرتني فكنت **أكفيك؟قال: ليس من المروءة أن** يستخدم الرجل جليسه.

الحث على خدمة الإخوان ومدح ذلك." (١)

"قال النبي صلى الله عليه وسلم: سيد القوم خادمهم. وفي المثل: إذا عز أخوك فهن.

ابن المعتمر:

إذا أنت رافقت الرجال فكن فتى ... كأنك مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء غضا وباردا ... على الكبد الحرى لكل صديق

آخر:

كأنه عبد لإخوانه ... وليس فيه خلق العبد

ونحوه:

وعبد للصحابة غير عبد

النهي عن ذلك:

قال بعضهم: إن لكل قوم كلبا فلا تكن كلب إخوانك.

عبد الله بن معاوية:

لا تهينن للصديق مكرمة ... نفسك حتى تعد من خوله

يحمل أثقاله عليك كما ... يحمل أثقاله على جمله

احتمال أذى الصديق ما لم يكن فيه هوان: صالح:

أرضى عن المرء يصفيني مودته ... وليس شيء من البغضاء يرضيني

آخر:

سأصبر عن رفيقي إن جفاني ... على كل الأذى إلا الهوان

جحظة:

تذلل لمن إن تذللت له ... يرى ذاك للفضل لا للبله

وجانب صداقة من لا يزال ... على الأصدقاء يرى الفضل له

كون الناس أصدقاء ذي المال:

قيل لبعض الفضلاء: كم لك من صديق؟قال: لا أعلم لأن الدنيا مقبلة علي والأموال موجودة لدي، وإنما أعرف ذلك لو

---

(١) محاضرات الأدباء، المؤلف غير معروف ١/٣٣٥

ولت الدنيا، ألم تسمع إلى قول طريح:

الناس؟ أعداء لكل مدقع ... صفر اليدين واخوة للمكثر

ولما نكب علي بن عيسى لم يطر بناحيته أحد، فلما ردت إليه الوزارة رأى الناس حوله فأنشد:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فأينما انقلبت يوما به انقلبوا

وقال عبد الملك لأصحابه: أيكم يصف لي عامة الناس؟فقال الوليد ابنه: إخوان طمع وأعداء نعم.

وقيل: إذا احتاج إليك عدوك أحب بقاءك، وإذا استغنى عنك وليك هان عليه موتك. الإخوان عند الجفان كثير، وعند الحقائق قليل.

؟ذم المودة التي يجلبها الطمع:

كل مودة عقدها الطمع حلها اليأس. وقيل: إياك ومن مودته لك لحاجة.

إبراهيم بن العباس:

وكنت أخي كالدهر حتى إذا نبا ... نبوت فلما عاد عدت مع الدهر

فلا يوم إقبالي عددتك طائلا ... ولا يوم إدباري عددتك من أمري

حمد الغيرة على الإخوان:

سأل الرشيد رجلا عن بني أمية فقال: كانوا يتغايرون على الإخوان كتغايرهم على القيان. وقيل: لتكن غيرتك على صديقك كغيرتك على صديقتك.

وقال شاعر:

وكن عالما أني أغار على أخي ... وخلي كما أني أغار على عرسي

ووفر علي الحظ منك فإنني ... خصصتك بالحظ الموفر من نفسي

ذم من يصاحب من أصدقائك أعداءك:

في كتاب الهند: من علامة الصديق أن يكون لصديقه صدوقا، ولعدوه عدوا.

شاعر:

تؤاخي عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك إن الرأي منك لعازب!

وقيل: ليس من المروءة أن تحب ما يبغضه حبيبك. وقيل: لا يحبك من يحب عدوك. وقال أيوب ابن جعفر للمأمون: أنا أودك مودة حرة، وأبغض أعداءك بغضة مرة. فقال: إنك تقول فتحسن وتحضر فتزين وتغيب فتؤمن.

السري:

وليس يكون المرء سلم صديقه ... إذا لم يكن حرب العدو المخالف

حمد من يصاحب منهم أعداءك:

قال ابن المقفع: إذا رأيت صديقك مع عدوك فلا يوحشنك ذلك، فإنما هو أحد رجلين: إذا كان من إخوان الثقة فأنفع

مواطنه قربه من عدوك شر يكفه وعورة يسترها وغائبة يطلع عليها، وإن كان غير ثقة فهو أولى به فهبه له.

مدح رفض الحشمة بين الأصدقاء:

قال علي رضي الله عنه: شر الإخوان من يحتشم منه ويتكلف له. قال العرجي الصوفي: إذا صح الود سقطت شروط الأدب. وقال الحسن بن وهب: اعلم أن المودة لا تتم ما دامت الحشمة عليها مسلطة. وقال بعضهم: اسقط عن نفسي نصف هم الدنيا بعشرة من لا أحتشمه. وقال الجنيد رضي الله عنه: لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرف الله منك.

ذم فرط الانبساط:." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤١ """"""""

قيل لأعرابي : ما تقول في الجري . قال : تمرة نرسيانة غراء الطرف ، صفراء السائر ، عليها مثلها من الزبد ، أحب إلي منها ولا أحرمه . وقال آخر : كن حلو الصبر عند مر النازلة . ومر أعرابي في أطمار رثة برجل فقال الرجل : والله ما يسرني أني كنت ضيفك في ليلتي هذه . فقال له الأعرابي : أما والله لو كنت ضيفي ، لغدوت من عندي أبطن من أمك قبل أن تضعك بساعة ، أما الله إنا وجدناك آكلكم للمأدوم ، وأعطاكم للمحروم . قال أعرابي : رب موثق مؤبق . قيل لآخر : أتشرب النبيذ ؟ فقال : والله ما أرضى عقلي مجتمعا فكيف أفرقه ؟ . وقيل لآخر : أما تشرب ؟ قال : أنا لا أشرب ما يشرب عقلي . قال بعضهم : رأيت أعرابيا والإبل قد ملأت الوادي فقلت : لمن هذه ؟ فقال : لله في يدي . قال أبو العيناء : أضفت أعرابيا قدم من المدينة ، فلما قعدنا نأكل ، جعلت أذكر غلاء السعر في تلك السنة ، فرفع الأعرابي يده عن الطعام ، وقال : **ليس من المروءة ذكر** غلاء الأسعار للضيف . فقام ، فاجتهدت به أن يأكل شيئا فأبى ، وانصرف . حكى عن حصين بن أبي الحر قال : وفدت إلى معاوية فطلبت عامر بن عبد قيس فقال لا تريه بالنهار فأتيته عند المغرب وهو يتعشى ، فسلمت عليه فرد السلام ، ولم يدعني إلى عشائه ولم يسألني عن أهله ، فقلت : العجب منك لم تدعني إلى عشائك ولم تسألني عن أحد من أهلك ، فقال : أما عشائي فخشن ، وأنت قد تعودت النعمة ، فكرهت أن أحملك من تجشمه على ما يشق عليك . وأما أهلي ، فأنا أعرف أخبارهم ، الماضي فلا يرجع إليهم ، وأما الباقي فلا حق بمن مضى منهم .." (٢)

"يقول: أفدي بأبي ريحك، لا هذا النرجس، لأن ريحك أطيب من ريحه، وأفدي بأبي أحاديثك لا هذا الشراب؛ لأن حديثك ألذ من الشراب فهما أحب إلينا من هذا النرجس وهذا الشراب أيضاً.

ليس بالمنكر أن برزت سبقاً ... غير مدفوعٍ عن السبق العراب

أن برزت: في موضع الرفع؛ لأنه اسم ليس، ومعناه: أن سبقت. وقوله: سبقاً نصب على التمييز، ويجوز أن يكون نصباً على المصدر، ومعناه: أن سبقت سبقاً.

يقول: ليس من العجب أن تسبق الكرام وتبرز عليهم في مجدك، كما أنه ليس بمنكر أن تسبق الخيل العراب غيرها،

---

(١) محاضرات الأدباء، المؤلف غير معروف ١/٣٣٦

(٢) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦/٤١

وإنما لم يقل: غير مدفوعة مع تأنيث الخيل؛ لأنه في معنى يدفع، والفعل إذا قدم على جماعة المؤنث يجوز فيه التذكير والتأنيث، فهذا وإن كان اسماً فهو حمله على الفعل وشبهه به، وقيل: أراد بالعراب: الجنس كأنه قال: جنس غير مدفوع. وهذه الأبيات من بحر الرمل وأصله فاعلاتن ست مرات، وهو قد جاء بها على الأصل، ولم يسمع من العرب إلا محذوف العروض: وهو أن يحذف من الجزء الثالث سبب وهو تن فيبقى فاعلاً ويحول إلى مثل وزنه فيصير فاعلن.

وعذره أنه صرع الأبيات من غير إعادة القافية، وأيضاً فإنه اعتبر الأصل، لأنه أصل دائرة الرمل، فأتى بها على الأصل؛ ليعلم أن أصلها ذلك. وأما البيت الأول فلا إشكال فيه لأنه مصرع مقفى.

يصف الأسد وقتال بدر إياه وخرج بدر بن عمارٍ إلى أسدٍ، فهرب الأسد منه! وكان خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرةٍ افترسها، بعد أن شبع وثقل، فوثب على كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه، ودار الجيش به فقتل. فقال أبو الطيب:

في الخد أن عزم الخليط رحيلا ... مطرٌ تزيد به الخدود محولا

أن في قوله: أن عزم الخليط مفتوحة الألف، ويكون الفعل بعدها مصدراً. ومعناه: لأن عزم. أو لأجل أن عزم ومثله: " أن كان ذا مالٍ " ويجوز كسرها، فتكون شرطاً وجوابه محذوف. أو إن عزم الخليط رحيلا: أي عزم على الرحيل، فحذف الجار كقول عنترة.

ولقد أبيت على الطوى وأظله

أي أظل عليه. ومحولا: يجوز أن يكون مصدراً، ويجوز أن يكون جمع محل مثل كعب وكعوب. والخليط: المخالط، ويقع على الواحد والجمع.

والمعنى: إن في خدي من أجل فراق أحبائي، دمعاً متقاطراً كالمطر في التقاطر والسيلان، ولكنه يخالف المطر في الفعل؛ لأن المطر يخصب المحول وينبت البقول، ودمعي يجري على خدي الناضر، فيبطل نضرته ويغير حسنه ويزيد ذبوله. وهو المراد بالمحول.

يا نظرةً نفت الرقاد وغادرت ... في حد قلبي ما حييت فلولا

نصب نظرةً؛ لأنها منادى نكرة. ومعناه: التعجب كقوله تعالى: " يا حسرةً على العباد " وفلول: جمع فل، وهو الأثر في الحد، من السكين وغيره.

يقول: يا نظرة عند الوداع ما أعظمها! فإنها نفت الرقاد عني، وغادرت في قلبي أثراً لا يندمل ما دمت حيا.

كانت من الكحلاء سؤلي إنما ... أجلي تمثل في فؤادي سولا

كانت: راجعة إلى النظرة. والكحلاء: يجوز أن يكون من التكحل، ويجوز أن يكون من الكحل: الذي هو خلقة.

يقول: كانت تلك النظرة من هذه الجارية الكحلاء سؤلي وأمنيتي، فلما نظرت إليها كانت تلك النظرة أجلاً لي في الحقيقة لا سؤلا! وترك الهمزة من سولاً، لأن الواو ردف فلا يجوز غير ذلك.

أجد الجفاء على سواك مروءةً ... والصبر إلا في نواك جميلا

المصراع الأول له معنيان: أحدهما: أن من المروءة ترك جفائك، إلا على غيرك. فقد أمنت جفاءك لأنني لا أراه مروءة

وليس ترك المروءة من عادتي، فلا أجفوك أبداً.

والثاني: أن جفاء الناس إياي، على سواك لا أحتمله لأن احتماله ليس من المروءة، فإذا كان احتماله من المروءة لأجلك، فاحتمال الصبر في كل حادثة جميل، إلا في بعدك وهجرك، فإنه قبيح.

فأول البيت مأخوذ من قول أبي عبادة البحتري:

ألام على هواك، وليس عدلاً ... إذا أحببت مثلك أن ألاما

وآخره من قول الآخر:

والصبر يحسن في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

وأرى تدللك الكثر محبباً ... وأرى قليل تدلل مملولا

التدلل: الدلال والغنج.

يقول: إن الدلال الكثير منك محبب، وأنا أمل القليل من غيرك ومثله:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا." (١)

"رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن ابن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا الفتح ابن زيان عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال: أقبل على شأنك، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه؛ انتهى.

قلت: ولما تذاكرت مع مولاي العم الإمام - صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام - هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى أنشدني لبعضهم (١) :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمكفر وبحاسد (٢) ومكذب قال الونشريسي بحق الجد ما نصه: القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقري، التلمساني المولد والمنشأ، الفاسي المسكن، كان رحمه الله تعالى عالما عاملا ظريفا نبيها (٣) ذكيا نبيلا فهما متيقظا جزلا محصلا؛ انتهى.

وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرف فيه بمولاي الجد، وذكر جملة من أحواله، وذلك أن طلبه بعض أهل عصره في تأليف أخبار الجد، فألف فيه ما ذكر.

---

(١) أوردهما ابن الجوزي في صيد الخاطر: ٣٤٦ قال: وقد أنشدنا محمد بن عبد الباقي البزار.

---

(١) معجز أحمد، المؤلف غير معروف ص/١٢٦

(٢) صيد الخاطر: بمموه ومحرف.
(٣) نبيها: سقطت من ق.." [١]

"المدائني قال: قال ابن شبرمة القاضي لابنه: يا بني لا تمكن الناس من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرهم لهم معاينةً.

لأعرابي .قيل لأعرابي: كيف تقول: استخذأت أو استخذيت؟ قال: لا أقوله. قيل: ولم؟ قال: لأن العرب لا تستخذي .

وكان يقال: اصفح أو اذبح.

باب المروءة

للنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع: قام رجل من مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ألست أفضل قومي؟ فقال: " إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك تقًى فلك دين " .

وفيه أيضاً: " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها لعبد الملك بن عمير في المروءة روى كثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثقفي قال: سمعت عبد الملك بن عمير يقول: إن من مروءة الرجل جلوسه ببابه.

للحسن قال الحسن. لا دين إلا بمروءة .

لابن هبيرة وغيره في المروءة قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال: إصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء.

قال إبراهيم: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي. ويقال: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن.

قال معاوية: المروءة ترك اللذة.

بين معاوية وعمرو بن العاص للنبي وقال لعمرو: ما ألذ الأشياء؟ فقال عمرو: مر أحداث قريش أن يقوموا. فلما قاموا قال: إسقاط المروءة.

للنبي صلى الله عليه وسلم قال جعفر بن محمد عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وروا لذوي المروءات عن عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد اللّه " لعروة بن الزبير، وللأحنف كان عروة بن الزبير يقول لولده. يا بني العبوا، فإن المروءة لا لكون إلا بعد اللعب.

قيل للأحنف: ما المروءة؟ فقال: العفة والحرفة لمحمد بن عمران التيمي قال محمد بن عمران التيمي. ما شيءٌ أشد حملا عليّ من المروءة قيل: وأي شيءٍ المرؤة؟ ق ا ل: لا تعمل شيئاً في السر تستحي منه في العلانية.

شعر لزهير وقال زهير في نحو هذا:

الستر دون الفاحشات، ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

وقال آخر:

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المؤلف غير معروف ٥/٢٠٧

فسري كإعلاني، وتلك خليقتي ... وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر بن الخطاب: تعلمو العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلموا النسب فرب رحمٍ مجهولة قد وصلت بنسبها .

للأصمعي، ولابن ميمون قال الأصمعي: ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يعرفوا: رجل رأيته راكباً، أو سمعته يعرب، أو شممت منه رائحةً طيبة. وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا: رجل شممت منه رائحة نبيذ في محفل، أو سمعته يتكلم في مصرٍ عربي بالفارسية، أو رأيته على ظهر الطريق ينازع في القدر.

قال ميمون ابن ميمون: أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد، والثالث قضاء الحوائج. وقال: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه.

لمسلمة بن عبد الملك، ولعمر بن الخط ا ب قال مسلمة بن عبد الملك: مروءتان ظاهرتان: الرياسة والفصاحة.

وقال عمر بن الخطاب: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة. قالوا: كان الرجل إذا أراد يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره.

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء:

نوم الغداة وشرٌ العشيات ... موكلان بتهديم المروءات

باب اللباس لابن عباس حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس، قال: كل ما شئت والبس ما شئت إذا ما أخطأك شيئان: سرفٌ أو مخيلةٌ.

قال: حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مصعب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه، قل: كانت ملحفة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم التي يلبس في أهله مورسة حتى إنها لتردع على جلده.

لعليّ ولابن عباس في لباس عمر بن الخطاب حدّثني أبو الخطاب، قال: حدّثنا أبو عتاب قال: حدّثنا المختار بن نافعٍ عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن عليّ، ق ا ل: رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعة من أدم ورقعةٌ من ثيابنا. حدّثنا الزيادي قال: حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريري عن ابن عباس، قال: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأدمٍ.

بين معاوية والنخار العذري." (١)

"على محاربته. فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار إليه بأهبته؛ وقدم فور الفيلة أمامه، ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان؛ فأقبلت الفيلة نحوها، ولفت خراطيمها عليها. فلما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها، وداستهم تحت أرجلها، ومضت مهزومة هاربة، لا تلوي على شيء ولا تمر بأحد إلا وطئته. وتقطع فور وجمعه، وتبعهم أصحاب الإسكندر؛ وأثخنوا فيهم الجراح.

وصاح الإسكندر: يا ملك الهند أبرز إلينا، وأبق على عدتك وعيالك، ولا تحملهم على الفناء. **فإنه ليس من المروءة أي** يرمي الملك بعدته في المهالك المتلفة والمواضع المجحفة، بل يقيهم بماله ويدافع عنهم بنفسه. فأبرز إلى ودع

---

(١) عيون الأخبار، المؤلف غير معروف ص/١٢٥

الجند، فأينا قهر صاحبه فهو الأسعد. فلما سمع فور من ذي القرنين ذلك الكلام دعته نفسه لملاقاته طمعا فيه؛ وظن ذلك فرصة. فبرز إليه الإسكندر فتجاولا على ظهري فرسيهما ساعات من." (١)

"دين» وفيه أيضا: «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها» . روى كثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثقفي قال: سمعت عبد الملك بن عمير يقول:

إن من مروءة الرجل جلوسه ببابه. قال الحسن: لا دين إلا بمروءة. قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال: إصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء. قال **إبراهيم: ليس من المروءة كثرة** الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي. ويقال: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن.

قال معاوية: المروءة ترك اللذة. وقال لعمرو: ما ألذ الأشياء؟ فقال عمرو: مر أحداث قريش أن يقوموا، فلما قاموا قال: إسقاط المروءة. قال جعفر بن محمد عن أبيه: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وروا لذوي المروءات عن عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد الله. كان عروة ابن الزبير يقول لولده: يا بني، إلعبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب.

قيل للأحنف. ما المروءة؟ فقال: العفة والحرفة. قال محمد بن عمران التيمي: ما شيء حملا علي من المروءة، قيل: وأي شيء المروءة؟ قال: لا تعمل شيئا في السر تستحي منه في العلانية. وقال زهير في نحو هذا: [كامل]

الستر دون الفاحشات، ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

وقال آخر: [طويل]

فسري كإعلاني، وتلك خليقتي ... وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

قال عمر بن الخطاب: تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بنسبها. قال الأصمعي: ثلاثة تحكم." (٢)

"الحكم الذي رضيته في الآخرة لك، هو أعدى الخصم في الدنيا عليك، وهو من لا يرد حكمه، ولا يصرف قضاؤه.

المأمون

وقع إلى علي بن هشام في أمر تظلم: من علامة الشريف أن يظلم من فوقه، ويظلمه من دونه؛ فأي الرجلين أنت؟

وإلى هشام: لا أدنيك ولك ببابي خصم.

وإلى الرستمي في قصة من تظلم **منه: ليس من المروءة أن** تكون آنيتك من ذهب وفضة، وغريمك خاو وجارك طاو «١» .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة: يا عمرو، عمر نعمتك بالعدل؛ فإن الجور يهدمها.

---

(١) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/١٣

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤١٢/١

وفي قصة متظلم من أبي عباد: يا ثابت، ليس بين الحق والباطل قرابة.

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه: فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون «٢» .

وفي قصة لمتظلم من حميد الطوسي: يا أبا غانم، لا تغتر بموضعك من إمامك، فإنك وأخس عبيده في الحق سيان.

وإلى طاهر صاحب خراسان: احمد أبا الطيب، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فمالك موضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده.

وفي كتاب بشر بن داود: هذا أمان عاقدت الله في مناجاتي إياه.

وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فدك «٣» حين أمره بردها؛ قد أرضيت خليفة الله في فدك، كما أرضى الله رسوله فيها.

وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي: قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك، فأما ظلمك للرعية فإنا لا نحتمله.." (١)

"٨٢٥ - حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، نا إسحاق بن إسماعيل، نا جرير، عن مغيرة؛ قال: قال إبراهيم - **[١٨٨]- ليس من المروءة كثرة** الالتفات في الطريق. ويقال: سرعة المشيء تذهب بهاء المؤمن." (٢)

"٢٢٨٦ - حدثنا أحمد بن عباد، نا محمد بن منصور؛ قال: وقع المأمون في رقعة متظلم من علي بن هشام: علامة الشريف أن لا يظلم من فوقه، ويظلمه من هو دونه؛ فأخبر أمير المؤمنين أي الرجلين أنت؟ ووقع في قصة رجل تظلم من بعض **أصحابه: ليس من المروءة أن** تكون آنيتك من ذهب وفضة، وغريمك عار، وجارك طاو.." (٣)

"٣٣٣٩ - حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، نا إسحاق بن إسماعيل، نا جرير، عن مغيرة؛ قال: قال **إبراهيم: ليس من المروءة كثرة** الالتفاف في الطريق. ويقال: سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن.." (٤)

"دنانيري وكان لم يعرفه فقال جعفر كم كان فيها قال مائة دينار فحمله إلى بيته وأعطاه من ماله وقال انتفع بها ليقضي الله أمرا كان مفعولا فاتفق أنه وجد ضالته وعرف منزلة جعفر بين الناس فجاء إليه بالدنانير معتذرا فقال جعفر **كلا ليس من المروءة أن** يرجع الرجل في شيء قد وهبه ولم يأخذه (حكاية) كان رجل نيسابوري يدعي الفتوة فاجتاز يوما بمفرق الطرق فرأى شابا مريضا يتأوه ويستغيث فتقدم إليه وقال ما تشتهي قال أشتهي رؤية أمي والرجوع إلى وطني قال أين منزلك؟ قال ببلخ، فأخذ الرجل بمجامع لحيته ولطم نفسه وكان اسمه أبا الحسن فقال يا أبا الحسن كنت أظن أنه يشتهي فقاعا أو قصعة هريسة ادعيت الفتوة فهات المعنى فرجع إلى بيته وباع داره واكترى راوية وحمولة وأتى وحمل الرجل وأوصله إلى منزله فرأى عجوزا تبكي وتستغيث وتقول متى ألقاك قرة عيني. فلما رأته غشي عليها من الفرح، فلما

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٩٨/٤

(٢) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ١٨٧/٣

(٣) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٤١١/٥

(٤) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٣٦/٨

أفاقت قالت رضي الله عنك وأدخلك الجنة فرأى الشاب في المنام أن هاتفا يهتف به ابشر فقد رضي الله عنك وكتب اسمك في جريدة السعداء (حكاية) كان أبو حسان الزيادي ببغداد يسعى في مصالح المسلمين فجاءه ذات يوم رجل صالح، فقال إن بيته قد تهدم وأطفاله جلوس في السوق ولا شيء بيدي أنفق عليهم فأدركني، فرق أبو حسان." (١)

"لا يأخذ الليل عليك بالهم ... والبس له هذا القميص واعم

وكن شريك رافع وأسلم ... ثم اخدم الأقوام حتى تخدم

قال فقلت: رحمك الله يا أمير المؤمنين لو أيقظتنا لكفيناك.

قال القاضي: كأن أبا تمام سمع هذا فأخذ منه قوله:

فمن خدم الأقوام يرجو نوالهم ... فإني لم أخدمك إلا لأخدما

وقوله: مؤمله حتى مؤملا

قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر

وروينا في معنى ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما أتى هذا الخبر به عن بعض السلف أنه قال لا بن عمر بن عبد العزيز: ما رأيت رجلا أكرم من أبيك، سمرت معه ذات ليلة فخفت المصباح، فقام إليه فأصلحه، فقلت له: يا أمير المؤمنين هلا أمرت بإصلاحه، فقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

إنا لا نتخذ الإخوان خولا

وروي نحو هذا عن الأبرش الكلبي وقد قام ليصلح المصباح، فقال له صاحب المجلس: **مه ليس من المروءة أن** يستخدم الرجل ضيفه؛ ويروى أنه قال: إنا لا نتخذ الإخوان خولا.

فروة بن مسيك يفد على الرسول

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان بين مراد وبين بني الحارث بن كعب قتال في الجاهلية فاستعانت بنو الحارث بهمدان على مراد، فقتل من هؤلاء ألف ومن هؤلاء ألف، وذلك يوم الرزم، فدخل فروة بن مسيك بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أين كنت عن قومك يوم الرزم؟ فقال فروة: يا رسول الله:

إن نهزم فهزامون قدما ... وإن نهزم فغير مهزمينا

كذاك الحرب صولتها سجال ... تكر صروفها حينا فحينا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أردت هذا، وأن الذي أصيب به قومك هو الذي حرضهم على الإسلام.

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٣٥٩

أنت الذي يكذب من يحدث بأنعم الله؟

حدثنا أبو طالب الكاتب علي بن محمد بن الجهم قال حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور الزيادي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زياد بن جبل عن أبي كعب الحارثي، وهو ذو الإداوة، قال: سمعته يقول: خرجت في طلب إبل لي ضوال، فتزودت لبنا في إداوة، قال ثم قلت في نفسي: ما أنصفت ربي فأين الوضوء؟ قال: فهرقت اللبن وملأتها ماء، فقلت: هذا وضوء وهذا شراب، قال فكنت أبغي إبلي فإذا أردت أن أتوضأ اصطببت من الإداوة ماء فتوضأت، وإذا أردت أن أشرب اصطببت لبنا فشربته، فمكثت بذلك ثلاثا فقالت له أسماء النجرانية: يا أبا كعب أحقينا كان أم حليبا، فقال: إنك لظالمة، كان." (١)

"وقال رجل لعمر بن الخطاب: والله إني لأحبك في الله، قال: لو كنت كما تقول لأهديت إلي عيوبي.

وقال أعرابي: السؤال عن الصديق أحد اللقائين.

شاعر:

من لم يكن ذا صديق ... يفضي إليه بسره

ويستريح إليه ... في خير أمر وشره

فليس يعرف طعما ... لحلو عيش ومره

آخر:

وأبيض قد صادفته فدعوته ... إلى بدوات الأمر حلو شمائله

أخي ثقة إن أبتغ الجد عنده ... أجده ويلهيني إذا شئت باطله

وإني لمعراض عن المرء بعدما ... يبين وتبدو لو أشاء مقاتله

آخر:

أغيب عنكم بود لا يغيره ... طول البعاد ولا ضرب من الملل

آخر:

ولا يلبث الحبل الضعيف إذا التوى ... وجاد به الأعداء أن يتخذما

قال الحسن **البصري: ليس من المروءة أن** يربح الرجل على أخيه.." (٢)

"غداوت الربيع وقالت: تنسموا هذه الأرواح، واستنشقوا هذا النسيم، وتفهموا هذا النعيم، فإنه يشد من منتكم.

ويقال في الوصف: كأنه محراك نار، وكأنه الجأم «١» صدى.

وإذا وصفوه بالقصر قالوا: كأنه عقدة رشا، وأبنة عصا. وإذا كان ضعيفا قالوا: كأنه قطعة زبد، والمولدون يقولون: كأنه أسكرجة.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥٧٤

(٢) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٢٤٣

قال بعض السلف في دعائه: اللهم لا أحيط بنعمك علي فأعدها، ولا أبلغ كنه واحدة منها فأحدها.

دعا عطاء السندي فقال: أعوذ بك من عذابك الواقع، الذي ليس له دافع، وأسألك من خيرك الواسع، الذي ليس له مانع.

ودعا بعض السلف: اللهم إن قلبي وناصيتي بيدك لم تملكني منهما شيئا، وإذ فعلت ذلك فكن أنت وليهما، فاهدنا سواء السبيل.

ودعا بعض الصالحين: اللهم ما كان لي من خير فإنك قضيته ويسرته وهديته، فلا حمد لي عليه، وما كان مني من سوء فإنك وعظت وزجرت ونهيت فلا عذر لي فيه ولا حجة.

ودعا آخر: اللهم إني أعوذ بك من سلطان جائر، ونديم فاجر، وصديق غادر، وغريم ماكر، وقريب مناكر، وشريك خائن، وحليف مائن، وولد جاف، وخادم هاف، وحاسد ملافظ، وجار ملاحظ، ورفيق كسلان، وخليل وسنان، و ... «٢» ضعيف، ومركوب قطوف، وزوجة مبذرة، ودار ضيقة.

قال المدائني: قال بعض السلف لابنه: اشحذ طبعك بالعيون والفقر وإن قلت، فإن الشجرة لا يشينها قلة الحمل إذا كان ثمرها نافعا، وأكلها ناجعا.

وقيل للأوزاعي: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه.

قال مجاهد في قول الله تعالى: ضيف إبراهيم المكرمين

[الذاريات: ٢٤] قال:

قيامه عليهم بنفسه.

وقال عمر بن عبد **العزيز: ليس من المروءة أن** تستخدم الضيف.

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال أربع للشريف لا ينبغي أن يأنف منهن وإن كان أميرا: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وخدمته للعالم يتعلم منه، وإن سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم.." (١)

"ومن الفتوة مطالبة العبد نفسه بالصدق. ليشغله ذلك عن الفراغ إلى أحوال الخلق أجمع. حكي لي عن أبي بكر الطمستاني أنه قال: كل من استعمل الصدق بينه وبين الله، شغله صدقه مع الله عن الفراغ إلى خلق الله.

ومن الفتوة الثقة بضمان الله تعالى في الرزق. سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول: سمعت علي بن إبراهيم يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: قال سهل بن عبد الله: من اهتم لرزقه بعد ضمان الله له، لم يكن له عند الله قدر.

ومن الفتوة موافقة الإخوان على الجملة وترك الخلاف عليهم. سمعت أبا العباس أحمد بن محمد النسوي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت علي بن جعفر يقول: قال أحمد بن إبراهيم الصوري قال: سمعت المسيب بن واضح يقول: كل أخ قلت له قم، قال إلى أين، فليس لك بأخ.

ومن الفتوة أن لا يخالف حبيبك في محبوب ومكروه. سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن أحمد

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٢٠٢

الناقد يقول: سمعت أحمد بن الصلت يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: ليس من المروءة أن تحب ما يبغضه حبيبك. وأنشدت في هذا المعنى (شعر) :

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذاكان حظي منك حظى منهم

وأهنتني فأهنت نفسي صاغرة ... ما من يهون عليك ممن أكرم

ومن الفتوة حفظ الأدب في الدعاء والسؤال والمناجاة. سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت سعيد بن عثمان العباسي يقول: حججت ثمانين حجة على قدمي في الفقر، فبينا أنا أطوف، إذ جرى على لساني في الطواف أن قلت: حبيبي.." (١)

"قيل لأعرابي: ما تقول في الجري. قال: تمرة نرسيانة غراء الطرف، صفراء السائر، عليها مثلها من الزبد، أحب إلي منها ولا أحرمه. وقال آخر: كن حلو الصبر عند مر النازلة. ومر أعرابي في أطمار رثة برجل فقال الرجل: والله ما يسرني أني كنت ضيفك في ليلتي هذه. فقال له الأعرابي: أما والله لو كنت ضيفي، لغدوت من عندي أبطن من أمك قبل أن تضعك بساعة، أما الله إنا وجدناك آكلكم للمأدوم، وأعطاكم للمحروم. قال أعرابي: رب موثق مؤبق. قيل لآخر: أتشرب النبيذ؟ فقال: والله ما أرضى عقلي مجتمعا فكيف أفرقه؟ . وقيل لآخر: أما تشرب؟ قال: أنا لا أشرب ما يشرب عقلي. قال بعضهم: رأيت أعرابيا والإبل قد ملأت الوادي فقلت: لمن هذه؟ فقال: لله في يدي. قال أبو العيناء: أضفت أعرابيا قدم من المدينة، فلما قعدنا نأكل، جعلت أذكر غلاء السعر في تلك السنة، فرفع الأعرابي يده عن الطعام، وقال: ليس من المروءة ذكر غلاء الأسعار للضيف. فقام، فاجتهدت به أن يأكل شيئا فأبى، وانصرف. حكى عن حصين بن أبي الحر قال: وفدت إلى معاوية فطلبت عامر بن عبد قيس فقال لا تريه بالنهار فأتيته عند المغرب وهو يتعشى، فسلمت عليه فرد السلام، ولم يدعني إلى عشائه ولم يسألني عن أهله، فقلت: العجب منك لم تدعني إلى عشائك ولم تسألني عن أحد من أهلك، فقال: أما عشائي فخشن، وأنت قد تعودت النعمة، فكرهت أن أحملك من تجشمه على ما يشق عليك. وأما أهلي، فأنا أعرف أخبارهم، الماضي فلا يرجع إليهم، وأما الباقي فلا حق بمن مضى منهم.." (٢)

"العامل: اكفني أمره وإلا كفيته أمرك. ووقع إلى عامل: قد كثر شاكوك فأما اعتدلت وإلا اعتزلت. وكتب سوار بن عبد الله القاضي إليه أن عندنا رجلا شديد الترفض يدعى السيد الحميري، فوقع في كتابه: إنا بعثناك قاضيا لا ساعيا. ووقع في كتاب بليغ استماحه: إن البلاغة والغنى إذا اجتمعا في رجل أطغياه، وقد رزقت إحداهما فاكتف بها واقتصر عليها. ورقع إليه في بناء مسجد، فوقع: عن من أشراط الساعة أن تكثر المساجد، فزد في خطاك يزد في أجرك. المهدي: كتب إليه سلم بن قتيبة يسأله أن يشرفه بالإذن له في تقبيل يده، فوقع إليه: يا ابن قتيبة ﴿إنا نصونك عنها ونصونها عن غيرك. الرشيد: وقع إلى علي بن عيسى بن ماهان وقد كتب إليه بقتل العمركي: " بعد للقوم الظالمين " " هود: ٤٤ ". ووقع إلى صاحب النصرانية بالروم أنا بالأثر وعلى الله الظفر وكتب إليه ينقفوز ملك الروم يتهدده، فوقع في كتابه: الجواب

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٢٢

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤١/٦

ما تراه لا م ا تقرأه. وكتب إليه صاحب السند بظهور العصبية، فوقع: من أظهر العصبية فعاجله بالمنية. المأمون: وقع إلى الرستمي وقد تظلم منه غريم **له: ليس من المروءة أن** تكون أوانيك من الذهب والفضة وجارك طاو وغريمك عاو. ووقع في قصة متظلم من حميد: يا أبا حامد﴾ لا تتكل على حسن رأيي فيك، فإنك وأحد رعيتي عندي في الحق سواء. ووقع في قصة متظلم من علي بن هشام: يا أبا الحسين: الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أي الرجلين أنت ووقع في رقعة إبراهيم بن المهدي، وقد سأله تجديد الأمان: القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله. ووقع إلى الواقدي، وقد كتب يذكر دينا عليه ويستمنح: فيك خصلتان: سخاء وحياء؛ أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما ملكت، وأما الحياء فهو الذي حملك على أن ذكرت بعض دينك دون كله، وقد." (١)

"حدثنا محمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن عبد الله النسائي، ثنا الربيع، قال: سأل رجل الشافعي عن سنه، فقال: " ﷺ**ليس من المروءة** أن يخبر الرجل بسنه، سأل رجل مالكا عن سنه فقال: أقبل على شأنك "." (٢)

"يقول: أفدي بأبي ريحك، لا هذا النرجس، لأن ريحك أطيب من ريحه، وأفدي بأبي أحاديثك لا هذا الشراب؛ لأن حديثك ألذ من الشراب فهما أحب إلينا من هذا النرجس وهذا الشراب أيضا.

ليس بالمنكر أن برزت سبقا ... غير مدفوع عن السبق العراب

أن برزت: في موضع الرفع؛ لأنه اسم ليس، ومعناه: أن سبقت. وقوله: سبقا نصب على التمييز، ويجوز أن يكون نصبا على المصدر، ومعناه: أن سبقت سبقا.

يقول: ليس من العجب أن تسبق الكرام وتبرز عليهم في مجدك، كما أنه ليس بمنكر أن تسبق الخيل العراب غيرها، وإنما لم يقل: غير مدفوعة مع تأنيث الخيل؛ لأنه في معنى يدفع، والفعل إذا قدم على جماعة المؤنث يجوز فيه التذكير والتأنيث، فهذا وإن كان اسما فهو حمله على الفعل وشبهه به، وقيل: أراد بالعراب: الجنس كأنه قال: جنس غير مدفوع. وهذه الأبيات من بحر الرمل وأصله فاعلاتن ست مرات، وهو قد جاء بها على الأصل، ولم يسمع من العرب إلا محذوف العروض: وهو أن يحذف من الجزء الثالث سبب وهو تن فيبقى فاعلا ويحول إلى مثل وزنه فيصير فاعلن.

وعذره أنه صرع الأبيات من غير إعادة القافية، وأيضا فإنه اعتبر الأصل، لأنه أصل دائرة الرمل، فأتى بها على الأصل؛ ليعلم أن أصلها ذلك. وأما البيت الأول فلا إشكال فيه لأنه مصرع مقفى.

يصف الأسد وقتال بدر إياه وخرج بدر بن عمار إلى أسد، فهرب الأسد منه! وكان خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها، بعد أن شبع وثقل، فوثب على كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه، ودار الجيش به فقتل. فقال أبو الطيب:

في الخد أن عزم الخليط رحيلا ... مطر تزيد به الخدود محولا

أن في قوله: أن عزم الخليط مفتوحة الألف، ويكون الفعل بعدها مصدرا. ومعناه: لأن عزم. أو لأجل أن عزم ومثله: "

---

(١) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/٨٨

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٢٩/٩

أن كان ذا مال " ويجوز كسرها، فتكون شرطا وجوابه محذوف. أو إن عزم الخليط رحيلا: أي عزم على الرحيل، فحذف الجار كقول عنترة.

ولقد أبيت على الطوى وأظله

أي أظل عليه. ومحولا: يجوز أن يكون مصدرا، ويجوز أن يكون جمع محل مثل كعب وكعوب. والخليط: المخالط، ويقع على الواحد والجمع.

والمعنى: إن في خدي من أجل فراق أحبائي، دمعا متقاطرا كالمطر في التقاطر والسيلان، ولكنه يخالف المطر في الفعل؛ لأن المطر يخصب المحول وينبت البقول، ودمعي يجري على خدي الناضر، فيبطل نضرته ويغير حسنه ويزيد ذبوله. وهو المراد بالمحول.

يا نظرة نفت الرقاد وغادرت ... في حد قلبي ما حييت فلولا

نصب نظرة؛ لأنها منادى نكرة. ومعناه: التعجب كقوله تعالى: " يا حسرة على العباد " وفلول: جمع فل، وهو الأثر في الحد، من السكين وغيره.

يقول: يا نظرة عند الوداع ما أعظمها! فإنها نفت الرقاد عني، وغادرت في قلبي أثرا لا يندمل ما دمت حيا.

كانت من الكحلاء سؤلي إنما ... أجلي تمثل في فؤادي سولا

كانت: راجعة إلى النظرة. والكحلاء: يجوز أن يكون من التكحل، ويجوز أن يكون من الكحل: الذي هو خلقة.

يقول: كانت تلك النظرة من هذه الجارية الكحلاء سؤلي وأمنيتي، فلما نظرت إليها كانت تلك النظرة أجلا لي في الحقيقة لا سؤلا! وترك الهمزة من سولا، لأن الواو ردف فلا يجوز غير ذلك.

أجد الجفاء على سواك مروءة ... والصبر إلا في نواك جميلا

المصراع الأول له معنيان: أحدهما: أن من المروءة ترك جفائك، إلا على غيرك. فقد أمنت جفاءك لأنني لا أراه مروءة وليس ترك المروءة من عادتي، فلا أجفوك أبدا.

والثاني: أن جفاء الناس إياي، على سواك لا أحتمله لأن احتماله ليس من المروءة، فإذا كان احتماله من المروءة لأجلك، فاحتمال الصبر في كل حادثة جميل، إلا في بعدك وهجرك، فإنه قبيح.

فأول البيت مأخوذ من قول أبي عبادة البحتري:

ألام على هواك، وليس عدلا ... إذا أحببت مثلك أن ألاما

وآخره من قول الآخر:

والصبر يحسن في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

وأرى تدللك الكثر محببا ... وأرى قليل تدلل مملولا

التدلل: الدلال والغنج.

يقول: إن الدلال الكثير منك محبب، وأنا أمل القليل من غيرك ومثله:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا." (١)

"٣٤٢ – وحدثنا والدي رضي الله تعالى عنه قال: حدثني أبو سعد عبد الله بن فهد النصراني الكاتب قال: لما تقلد أبو القاسم بن فسانجس أعمال النهروانات في أيام الوزير فخر الملك أبي غالب، وأبو العلاء سعيد بن الحسن بن يزيد النصراني يتولى يومئذ ديوانها، اتفق أن رفع أبو القاسم من حسابها ما احتيج إلى الموافقة عليه وحضر بحضرة فخر الملك وجرى من الخطاب ما خرج فيه أبو العلاء إلى سوء الأدب واستعمال السرف، وعادته بذاك جارية، وثقل على أبي القاسم ما سمعه منه، وإمساك فخر الملك عن إنكاره عليه ومنعه منه، وانقضى المجلس على غيظ من أبي القاسم تجرعه وكظمه، وامتعاض أسره وكتمه، ومضت الأيام وقتل فخر الملك، ووزر أبو القاسم لسلطان الدولة بواسط، فقامت قيامة أبي العلاء من ذاك، وضاقت به الأرض بما رحبت، وبقي متحيرا بين الاستتار والتغيب أو المقام والتجلد، وورد أبو القاسم إلى بغداد فحمل بنفسه على أن لقيه، فلم ير منه ما ظنه به، ونفسه تحدثه بضد ما يظهره له ويشاهده، فلما كان في بعض الأيام وقد خرج من بين يديه منعه الحاجب وقال له: الوزير يأمرك ألا تنصرف إلا بعد استئذانه فما شك أنه الذي خافه وتوقعه. قال: فأقمت ساعة، ثم استدعاني فوجدته جالسا على الفاكهة وهو يأكل منها، فجلست وظننت أن ما بين يدي منها مسموم، فلم أزل أقلبه وأولع به ولا أتعرض له، وأحس بفعلي فأخذ كمثراة وقطعها وأكل منها ثم أعطاني باقيها فأكلته، وأنست قليلا، وقمنا إلى الطعام فجرت حالي على مثل ذاك، وهو يطعمني مما يأكل، ويقدم إلي مما بين يديه تأنيسا بي وفرغنا، وخرجت لغسل يدي، واستدعاني وقال لي: أراك منقبضا متجعدا وجلا منزعجا، وأظن ذاك لتذكرك ذلك اليوم هيهات ما الأمر على ما تظن وإني لك على ما تحب وتهوى، **وليس من المروءة** ذكر ما مضى فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه، ودعوت له وانصرفت ساكنا مطمنا.

؟

٣٤٣ – وحدثنا رضي الله عنه قال: كان الوزير أبو القاسم العلاء بن الحسن قد لقبه الديلم سياه سبال لقبا اشتهر به بينهم وفشا فيهم، إما لأنه كان أسود السبال دون لحيته، أو لأنه كان يخضبه، حتى إن أحد الديلم المتقدمين قال له في كلام دار بينهما: يا وزير سياه سبال بار خداه، فضحك منه وعلم الديلمي بما جناه عليه، فنهض خجلا عجلا، واستعيد فلم يعد ثم راسله بالاعتذار الشديد، وبقي مدة لا يلقاه حياء.

٣٤٤ – وحدثنا رضي الله عنه قال: حدثني الوزير مؤيد الملك أبو علي الرخجي قال: عاد فخر الملك من الأهواز في خرجته الأولى للقاء سلطان الدولة أبي شجاع بن بويه، فاتفق أن حضر عيد أو فصل، وحضر أبو الفضل بن أبي أحمد الشيرازي لخدمته فيه على رسمه، وأنشده قصيدة مدحه بها وهناه بذلك اليوم فيها، ثم وصل آخر القصيدة بحديث جعفر

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٢٦

بن يحيى بن خالد بن برمك مع الرشيد في قتله إياه، وقرأه عليه مسندا له عمن رواه، ف ا ستطرفنا إيراده ما أورده منه من غير أمر يقتضيه، وثقل على فخر الملك ما سمعه، وعلينا ما أورده وتطيرنا على فخر الملك من اتفاق ما اتفق، وأقبل بعضنا على بعض يعجب من ذلك، وندم أبو الفضل على ما كان منه، وانحدر فخر الملك عائدا إلى الأهواز، فكان من أمره ما كان وجرت حاله مجرى جعفر بن يحيى في قتله، فسبحان الله ما أطرف هذا الاتفاق.

٣٤٥ - وحدثنا رضي الله عنه قال: حدثني نجم الكفاة أبو عبد الله الحسين بن الحسن النسوي النائب قال: حدثني أبو القاسم البلخي المنجم قال: كان أبو الفضل عبد المسيح بن العلاء النصراني الكاتب صديقا للوزير أبي الفضل بن سودميذ، ومختلطا به، فاجتمعا على الرأي والسعي في نكبة الوزير فخر الملك أبي غالب، وتقلد أبو الفضل موضعه، وقبض على فخر الملك فاتفق أن كنت يوما حاضرا عند ابن سودميذ وقد جاءه عبد المسيح، وتحدثا وأطالا السرار والإفصاح، فضرب ابن سودميذ في عرض حديثهما إلى دفتر كان بين يديه وفتحه ليتفاءل بأول ما يقع طرفه عليه منه، فوقع نظره على بيت من قصيدة لأبي تمام، على قوله:

وصرت وزيرا والوزارة مكرع ... يغص به بعد اللذاذة كارعه

فرماه من يده، ثم أخذه بعد ساعة وفتحه، فخرج عليه البيت بعينه، فتطير منه ورماه في كانون تار كان بحضرته.." (١)

"وقال بعضهم: إذا كان لك أخ صافي الود فلا تتمنى له منزلة، ففي ذلك تغير له عن الوداد.

قال شاعر:

وكل إمارة إلا قليلا ... مغيرة الصديق عن الصديق

وقال آخر:

إذا ما أردت وداد امرئ ... فلا تدعون له بارتقاء

* نهي من بلغ صديقه منزلة من التدلل عليه

قال منصور:

إذا رأيت امرأ في حال عسرته ... صافي المودة ما في وده وغل «١»

فلا تمن له حالا يسر بها ... فإنه بانتقال الدهر ينتقل

قيل: لا تنظر إلى صديقك إذا بلغ منزلة بعينك الذي نظرت إليه بها قبل، وإذا جعلك أبا فاتخذه ربا. وقيل: ذو الحرمة ملوم على الإفراط في الدالة كما أن المحترم له ملوم على تناسي المودة والحرمة.

وقال أبو عباد يوما لأبي بكر المقري: إياك والدالة في غير مكانها فنحن بالليل إخوان وبالنهار ذوو سلطان. فرط الادلال يدعو إلى الملال.

* مدح من لم يتغير لمنزلة نالها

---

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٨٧

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة ... إذا غير السلطان كل خليل

وقال الموسوي:

وغيري إذا ما طار خلف صحبه ... دوين المعالي واقعين وحلقا

ولما بشر هشام بالخلافة سجد من حوله شكرا لذلك، غير الأبرش الكلبي فقال له هشام: ما منعك أن تسجد معي؟ قال: إني معك ليلا ونهارا وغدا ترقى إلى السماء فتنكرني. قال: بل أصعد بك، فقال: أما الآن فإني أسجد عشرين سجدة.

* مدح من نزه إخوانه عن استخدامهم في سلطانه

كان هشام يعتم فقام إليه الأبرش ليسوي عمامته، فقال: مه «٢» فإنا لا نتخذ الإخوان خولا «٣» .

وقام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بنفسه فأصلح سراجه، فقال واحد من جلسائه: ألا أمرتني، فكنت أكفيك. **قال**: **ليس من المروءة أن** يستخدم الرجل جليسه.." (١)

"ولما نكب علي بن عيسى لم يطر بناحيته أحد، فلما ردت إليه الوزارة رأى الناس حوله، فأنشد:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فأينما انقلبت يوما به انقلبوا

وقال عبد الملك لأصحابه: أيكم يصف لي عامة الناس؟ فقال الوليد ابنة: إخوان طمع وأعداء نعم.

وقيل: إذا احتاج إليك عدوك أحب بقاءك، وإذا استغنى عنك وليك هان عليه موتك.

الإخوان عند الجفان كثير وعند الحقائق قليل.

* ذم المودة التي يجلبها الطمع

كل مودة عقدها الطمع حلها اليأس. وقيل: إياك ومن مودته لك لحاجة.

قال إبراهيم بن العباس:

وكنت أخي كالدهر حتى إذا نبا ... نبوت فلما عاد عدت مع الدهر «١»

فلا يوم إقبالي عددتك طائلا ... ولا يوم إدباري عددتك من أمري

* حمد الغيرة على الإخوان

سأل الرشيد رجلا عن بني أمية فقال: كانوا يتغايرون على الإخوان كتغايرهم على القيان «٢» . وقيل: لتكن غيرتك على صديقك كغيرتك على صديقتك.

وقال شاعر:

وكن عالما أني أغار على أخي ... وخلي كما أني أغار على عرسي «٣»

ووفر علي الحظ منك فإنني ... خصصتك بالحظ الموفر من نفسي

* ذم من يصاحب من أصدقائك أعداءك

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٨/٢

في كتاب الهند: من علامة الصديق أن يكون لصديقه صدوقا ولعدوه عدوا. قال شاعر:

تؤاخي عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك إن الرأي منك لعازب

وقيل: ليس من المروءة أن تحب ما يبغضه حبيبك. وقيل: لا يحبك من يحب عدوك.

وقال أيوب بن جعفر للمأمون: أنا أودك مودة حرة وأبغض أعداءك بغضة مرة، فقال:

إنك تقول فتحسن وتحضر فتزين وتغيب فتؤمن.." (١)

"والسماء ذات البروج. ثم قال: توفى في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة بنيسابور.

١١٥٦- الحسينى

بفتح الحاء وكسر السين المهملتين بعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى حسين وهو بطن من طيئ قال ابن حبيب: في طيئ حسين بن عمرو بن الغوث بن طيئ.

١١٥٧- الحسينى

بضم الحاء وفتح السين المهملتين وبعدهما الياء آخر الحروف وفي آخرها النون، هذه النسبة لجماعة من العلوية السادة نسبوا إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وفيهم كثرة، ولهم شهرة.

باب الحاء والشين [١]

١١٥٨- الحشانى

بكسر الحاء المهملة والشين المعجمة المشددة بعدهما

---

[١] (٦٥٠- الحشاء) في صلة ابن بشكوال رقم ٩٢٨ «عيسى بن محمد بن عبد الرحمن، يعرف بالحشاء، من أهل قرطبة، يكنى أبا الأصبع، روى بالمشرق والأندلس، وحج، وكان ورعا منقبضا، دعي إلى القضاء مرتين فأبى.... توفى في شهر رجب من سنة اثنتين وأربعمائة....» وفيها رقم ٧٢٨ «عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن يعرف بابن الحشاء قاضى طليطلة وأصله من قرطبة يكنى أبا زيد، روى بالمشرق عن أبى ذر الهروي بمكة ... » ثم ذكر وفاته «سنة ٤٧٣» وفي الترجمة «وقرأت بخط أبى الحسن بن الإلبيري المقرئ قال سألت القاضي أبا زيد عن سنه فقال: لا أعرفك بسنى، لأني سألت أبا عبد الله محمد بن منصور التستري عن سنه **فقال ليس من المروءة أن** أخبرك بسنى فانى....» سلسل ذلك." (٢)

"قال: فو الله ما زاد على أن ضحك، وقال لي: يا أصمعي إنما يريد البائس «أخلفت» ، قال الأصمعي: وإذا هو قد رضي ب «أخلفت» .

«٤٦٥» - قيل كان المهتدي [١] يصلي الصلوات كلها في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يوما

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٠/٢

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ١٦٨/٤

فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين لست على طهر وقد رغبت إلى الله تعالى في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء أن ينظروني، قال: انتظروه رحمكم الله، ودخل المحراب فوقف إلى أن أقبل وقيل له قد جاء الرجل، فعجب الناس من سماحة أخلاقه.

«٤٦٦» - قال يحيى بن أكثم: ماشيت المأمون في بستانه ويده في يدي، فكان في الظل وأنا في الشمس، فلما بلغنا ما أردنا ورجعنا صرت أنا في الفيء وصار هو في الشمس، فدرت أنا إلى الشمس فقال: لا ليس هذا بإنصاف، كما كنت أنا في الفيء ذاهبا فكن أنت في الفيء راجعا.

٤٦٧- ووقع إلى علي بن هشام وقد شكاه غريم له: ليس من المروءة أن تكون آنيتك [٢] من ذهب وفضة ويكون غريمك عاريا [٣] وضيفك طاويا.

٤٦٨- كان أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي من أفاضل العلويين، وبقي في الاستتار ستين سنة، (فلما قام المنتصر وأظهر الميل إلى العلوية أراد أن يظهر فاعتل وتوفي بالبصرة) ؛ فبينا هو في استتاره مر به رجلان

---

[١] ع م: المهدي.

[٢] م: يكون بيتك.

[٣] ر ع م: عاويا.." (١)

"٥٧٣ - أخبرنا أحمد، حدثنا عمر بن محمد بن علي الزيات، حدثنا أبو بكر أحمد ابن عبد العزيز الجوهري (١) ، حدثني أبو يعلى زكريا بن يحيى المنقري (٢) ، حدثنا الأصمعي، حدثنا أيوب بن واقد (٣) ، عن المغيرة (٤) ، عن إبراهيم (٥) قال: ((ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطرق)) (٦) .

---

(١) لم أجد ترجمته، ولكن روى عنه العسكري في "تصحيفات المحدثين"، وروى فيه عن عمر بن شبة.

(٢) الساجي، ذكره الهروي في "مشتبه أسامي المحدثين" (ص١٢٧) وقال: "روى عن الأصمعي وغيره".

وذكره ابن حبان في "الثقات" (٢٥٥/٨) وقال: "كان من جلساء الأصمعي".

(٣) هو أيوب بن واقد، أبو الحسن الكوفي، ويقال: أبو سهل، سكن البصرة، متروك، مجمع على ضعفه.

انظر التاريخ الكبير (٤٢٦/١) ، والضعفاء والمتروكين للنسائي (ص١٥) ، والجرح والتعديل (٢٦٠/٢) ، والضعفاء للعقيلي (١١٥/١) ، والكامل لابن عدي (٣٥٥/١) ، وتهذيب الكمال (٥٠٢/٣) ، والتهذيب (٣٦٣/١) .

(٤) هو ابن مقسم الضبي، ثقة متقن، إلا أنه كان يدلس، ولا سيما عن إبراهيم، قاله الحافظ في "التقريب" (٥٤٣/ت٦٨٥١) .

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٩٥/٢

(٥) هو ابن يزيد النخعي.

(٦) إسناده ضعيف جدا من أجل أيوب بن واقد.." (١)

"ومن منثور الآداب

قال جالينوس: كما أنه يعرض للبدن المرض والقيح- فالمرض مثل الصرع والشوصة، «١» والقيح مثل الجرب وتساقط شعر الرأس وقرعه-: فكذلك يعرض للنفس مرض وقيح، فمرضها كالغضب، وقيحها كالجهل.

وقال أرسطا طاليس: العلم دليل العقل، والعقل قائد الخير.

وقال: العالم يعرف الجاهل، لأنه قد كان جاهلا. والجاهل لا يعرف العالم، لأنه لم يكن عالما.

وقال: من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما.

ومر أرسطا طاليس برجل قد قطعت يده، فقال: أخذ ما ليس له، فأخذ ماله.

وقال: كفى بالتجارب تأدبا، وبتقلب الأيام عظة «٢» .

وقيل لأرسطاطاليس: ما يزين المرء بين إخوانه أيها الحكيم؟ فقال: الأدب يزين غنى الغني، ويشتر فقر الفقير. فقيل له: وما البلاغة؟ فقال: إقلال في إنجاز، وصواب مع سرعة جواب.

وقال أرسطا طاليس: كما **أنه ليس من المروءة أن** تقتصر من الأموال والعقد «٣» على ما فيه الحاجة وتدعو إليه الضرورة-: بل أن تتخذ الأشياء الشريفة التي للبهاء والتجمل-: فكذلك **العلوم: ليس من المروءة أن** تقتصر منها على ما تحتاج لضرب من التفقه دون أن تكتسب تشريف السناء بها.." (٢)

"٨٥ - قال عبيد الله بن محمد التيمي: سمعت ذا النون يقول بمصر: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لما حملت إلى بغداد، رمي بي على باب السلطان مقيدا، فمر بي رجل متزر بمنديل مصري، معتم بمنديل دبيقي، بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي: لا ﴿هذا ساقي العامة؛ فأومأت إليه اسقني، فتقدم وسقاني، فشممت من الكوز رائحة المسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه دينارا؛ فأعطاه الدينار، فأبى، وقال: لست آخذ شيئا﴾ فقلت له: ولم؟ فقال: أنت أسير، **وليس من المروءة** أن آخذ منك شيئا؛ فقلت: كمل الظرف في هذا.

٨٦ - قال نسيم الكاتب: قيل لأشعب: جالست الناس وطلبت العلم، فلو جلست لنا؟ فجلس، فقالوا: حدثنا! فقال: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول " خلتان لا يجتمعان في مؤمن ". ثم سكت، فقالوا: ما الخلتان؟ فقال: نسي عكرمة واحدة، ونسيت أنا الأخرى.." (٣)

---

(١) الطيوريات أبو طاهر السِّلَفي ٢/٦٣٩

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٢٣٥

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين ابن الجوزي ص/٦٨

"فقال الوزير: يا سيدي لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا، وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا، فقال الأمير: ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم، **وليس من المروءة** أن يثقل مثلنا على مثلهم، ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار، ثم قال لأصحابه: من أحبني، فليلق منطقته، فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم، ثم انصرفوا، فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت، لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق، فلما أنزل الأمير رجع إليهم الوزير، ودفع إليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم، فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا، فقالوا لها: ما هذا البكاء؟ إنما يجب أن تفرحي، فإن الله قد وسع علينا، فقالت: يا أم، والله إنما بكائي كيف بتنا البارحة جياعا، فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة، فأغنانا بعد فقرنا، فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد طرفة عين، اللهم انظر إلى أبينا، ودبره بأحسن التدبير، هذا ما كان من أمرهم.

وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم، فإنه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع أمير الركب، فطلبوا له طبيبا، فلم يجدوا، فقال: هل من عبد صالح، فدل على حاتم، فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الأمير من وقته، فأمر له بما يركب، وما يأكل، وما يشرب، فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله، فقيل له في منامه: يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه، ثم أخبر بما كان من أمر عياله، فأكثر الثناء على الله تعالى، فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده، فعانق الصبية الصغيرة وبكى، ثم قال: صغار قوم كبار قوم آخرين. إن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به، فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فإنه من توكل على الله فهو حسبه.

ومن كلام الحكماء:

من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة، ومن علم أن الذي قضي عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع، ومن علم أن مولاه خير له من العبادة، فقصده كفاه همه وجمع شمله.

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات:

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن تنفعك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن تضرك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الصحف وجفت الأقلام.

ورفع إلى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند، يخشى على المملكة منه، وكان الرشيد يومئذ بالكوفة. قال منارة خادم الرشيد:

فاستدعاني الرشيد وقال: اركب الساعة إلى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الأموي، وهذا كتابي إلى العامل لا توصله له إلا إذا امتنع عليك، فإذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به، واذكر لي حاله ومآله، وقد أجلتك لذهابك ستا، ولمجيئك ستا، ولإقامتك يوما، أفهمت؟ قلت: نعم. قال: فسر على بركة الله، فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا لا أنزل إلا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق، فلما فتح الباب

دخلت قاصدا نحو دار الأموي، فإذا هي دار عظيمة هائلة، ونعمة طائلة، وخدم وحشم، وهيبة ظاهرة، وحشمة وافرة، ومصاطب متسعة، وغلمان فيها جلوس، فهجمت على الدار بغير إذن، فبهتوا وسألوا عني، فقيل لهم: إن هذا رسول أمير المؤمنين، فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين، فظننت أن المطلوب فيهم، فسألت عنه، فقيل لي: هو في الحمام، فأكرموني، وأجلسوني، وأمروا بمن معي ومن صحبني إلى مكان آخر، وأنا أنتقد الدار، وأتأمل الأحوال، حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان، فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين، فأخبرته وأنه بعافية، فحمد الله تعالى، ثم أحضرت له أطباق الفاكهة فقال: تقدم يا منارة كل معنا، فتأملت تأملا كثيرا إذ لم يكنني، فقلت: ما آكل، فلم يعاودني.

ورأيت ما لم أره إلا في دار الخلافة، ثم قدم الطعام، فو الله ما رأيت أحسن ترتيبا، ولا أعطر رائحة، ولا أكثر آنية منه، فقال: تقدم يا منارة، فكل. قلت: ليس لي به حاجة، فلم يعاودني.

ونظرت إلى أصحابي فلم أجد أحدا منهم عندي، فحرت لكثرة حفدته، وعدم من عندي، فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر، ثم قام فصلى الظهر، فأتم الركوع والسجود، وأكثر من الركوع بعدها، فلما فرغ استقبلني وقال: ما أقدمك يا منارة؟

فناولته كتاب أمير المؤمنين، فقبله ووضعه على رأسه، ثم فضه وقرأه، فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله، فضاقت الدار بهم." (١)

"بعينك التي نظرته بها قبل، وإذا جعلك أبا فاجعله ربا «١» . ولما بشر هشام بن عبد الملك بالخلافة سجد وسجد من حوله شكرا غير الأبرش الكلبي، فقال له: ما منعك؟ قال: إني معك ليلا ونهارا وغدا ترتقي إلى السماء فأين أجدك؟ قال:

أصعد بك معي، فقال: الآن أسجد عشرين سجدة.

إذا لم أنل في دولة المرء غبطة ... ولم يغشني إحسانه ورعايته

فسيان عندي موته وحياته ... وسيان عندي عزله وولايته

كان هشام يعتم فقام إليه الأبرش ليسوي عمامته فقال: مه إنا لا نتخذ الإخوان خولا «٢» . قام عمر بن عبد العزيز فأصلح سراجه، فقال بعض من حضر: لم لا أمرتني بإصلاحه يا أمير المؤمنين؟ **فقال: ليس من المروءة استخدام** المرء جليسه. قيل لبعض الفضلاء: كم لك من صديق؟ فقال: ما أعلم، لأن الدنيا مقبلة علي، والأموال موجودة لدي، وإنما يعرف ذلك إذا ولت الدنيا:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا

قيل: إذا احتاج إليك عدوك أحب بقاءك، وإذا استغنى عنك وليك هان عليه موتك. سأل الرشيد رجلا عن بني أمية فقال: كانوا يتغايرون على الإخوان كتغايرهم على القيان. قيل: لتكن غيرتك على صديقك كغيرتك على صديقتك.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٧٧

في كتب الهند: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا، ولعدو صديقه عدوا. **قيل: ليس من المروءة أن** لا تحب من يبغضه عدوك. قيل: لا يحبك من يحب عدوك. علي رضي الله عنه: لا تتخذن عدو صديقك صديقا:." (١)

"رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن ابن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا الفتح ابن زيان عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال: أقبل على **شأنك، ليس من المروءة للرجل** أن يخبر بسنه؛ انتهى.

قلت: ولما تذاكرت مع مولاي العم الإمام – صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام – هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى أنشدني لبعضهم (١) :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلي بثلاثة ... بمكفر وبحاسد (٢) ومكذب قال الونشريسي بحق الجد ما نصه: القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقري، التلمساني المولد والمنشأ، الفاسي المسكن، كان رحمه الله تعالى عالما عاملا ظريفا نبيها (٣) ذكيا نبيلا فهما متيقظا جزلا محصلا؛ انتهى.

وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرف فيه بمولاي الجد، وذكر جملة من أحواله، وذلك أن طلبه بعض أهل عصره في تأليف أخبار الجد، فألف فيه ما ذكر.

---

(١) أوردهما ابن الجوزي في صيد الخاطر: ٣٤٦ قال: وقد أنشدنا محمد بن عبد الباقي البزار.

(٢) صيد الخاطر: بمموه ومحرف.

(٣) نبيها: سقطت من ق.." (٢)

"العسقلاني عن عمر بن محمد بن أحمد بن سليمان عن أبيه عن أبي القاسم عن عبد الرحمن بن مكي عن أبي طاهر قائلا كل واحد منهم سألت فلانا عن سنه فقال اقبل على شأنك قال السلفي سألت أبا الفتح بن زبان عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت عليا بن محمد اللبان عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي فقال اقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت أبا عيسى الترمذي عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال اقبل

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/١٧٠

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/٢٠٧

على شأنك فإني سألت الشافعي عن سنه فقال اقبل على شأنك فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال اقبل على شأنك **وقال ليس من المروءة إخبار** الرجل عن سنه وإن كان صغيرا استحقروه وإن كان كبيرا استهرموه

قال ابن الطيب أورده غير واحد في أخبار مالك منهم أبو الحسن محمد بن علي الأزدي المالكي فيما أفرده من حديث مالك والمراد ببعض أصحاب الشافعي هو البوطي كما ورد مصرحا به في مسلسلات الشرف ابن أبي عصرون وفي الجزء الأول من فوائد أبي الحسن الحلبي وغيرها ولكن ذكر أبو الحسن النيسابوري أن الذي سأل الشافعي هو المزني وأسنده الشافعي عن مالك عن ربيعة والأول أشهر قال البيهقي قال لنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ في قول الشافعي هذا صيانة كبيرة للمروءة وأخذ في بسط ما يترتب على ذلك انتهى المسلسل بالسؤال بالاسم وتوابعه

رلقيت العلامة الشيخ عبد الله بن محمد غازي المكي بمكة فسألني عن اسمي وكنيتي ونسبي وبلدي وأين أنزل فأخبرته بذلك عن شيخه عبد الله بن عودة القدومي بالمدينة المنورة عن سعيد بن حسن الفراء بدمشق عن محمد بن عثمان البطائحي بحلب الشهباء عن خليل أفندي بن علي بن مراد البخاري بدمشق عن عثمان بن محمد الشهير بالشمعة ببعلبك عن أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي بدمشق عن أبيه عبد الباقي البعلي عن أبي العباس أحمد بن علي البقاعي بدمشق عن الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي بمكة عن السيد يوسف بن عبد الله الأرميوني عن الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي بمصر عن أم الفضل." (١)

١-"""""""" صفحة رقم ١٤٤ """""""

سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك **، ليس من المروءة إخبار** الرجل عن سنه .

وفاته

توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة وأراه توفي في ذي حجة من العام قبله . ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله .

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبتة ، حفيد القاضي الإمام أبي الفضل عياض ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . كان من عدول القضاة . وجلة سراتهم . وأهل النزاهة فيهم . شديد التحري في الأحكام ، والاحتياط ، صابرا على الضعيف فيهم والملهوف ، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوي السطوة فاضلا وقورا ، حسن السمت ، يعرفه كلامه أبدا ، ويزينه ذلك لكثرة وقاره ، محبا في العلم وأهله ، مقربا لأصاغر الطلبة ، ومكرما لهم ، ومعتنيا بهم ، معملا جهده في الدفع عنهم ، لما عسى أن يسوءهم . ليحبب إليهم العلم وأهله ، ما رأينا بعده في هذا مثله . سكن مالقة مع أبيه ، عند انتقال أبيه إليها ، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستماية .

---

(١) العجالة في الأحاديث المسلسلة علم الدين الفاداني ص/٨٧

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجياب ، وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه ، قال دخلت على القاضي المذكور ، فسأل أحدنا عن أبيه ، فقال ابن فلان ؛ وذكر معرفة مشتركة بين تجار فاس . فقال أيهما الذي ينحت في الخشب ، والذي يعمل في السلاح ، فما فطن لقصده لسذاجته وحدثني عن ذكر جزالته . أنها كانت تقع له مع السلطان مستقضية ، مع كونه مرهوبا ، شديد السطوة ، وقايع تنبي عن تصميمه ، وبعده عن الهوادة . منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس ، كان قد سجنه فأنفذ بين يدي السلطان الأمر للسجان بحبسه ، وتوعده إن أطلقه . ومنها إذاعة ثبوت العيد ، في أخريات يوم ، كان قد أمل السلطان البروز إلى العيد في صباحه ، فنزل عن القلعة ينادي ، عبد الله يا ميمون ، إخبر الناس عن عيدهم اليوم ، وأمثال ذلك .

مشيخته قرأ بسبتة ، وأسنديها ، فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري وغيره ، ورحل إلى الجزيرة الخضراء . فأخذ بها كتاب سيبويه وغيره تفقيها على النحوي الجليل أبي القاسم عبد الرحمن ، ابن القاسم القاضي المتقنن . وأخذ بها أيضا كتاب إيضاح الفارسي عن الأستاذ أبي الحجاج بن مغرور ، وأخذ بإشبيلية وغيرها". (١)

٢-"كانت لرسول الله (ص) هدية فأما نحن فهي لنا رشوة قالوا وكان يوسع على عماله في النفقة يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار ومائتي دينار وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين فقالوا له لو أنفقت على عيالك كما تنفق عل عمالك فقال لا أمنعهم حقا لهم ولا أعطيهم حق غيرهم وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفا كثيرا من قبل ذلك وقال يوما لرجل من ولد علي إني لأستحي من الله أن تقف ببابي ولا يؤذن لك وقال لآخر منهم إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدنيا لما أكرمكم الله به وقال أيضا كنا نحن وبنو عمنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا نلجأ إليهم ويلجئون إلينا حتى طلعت شمس الرسالة فأكسدت كل نافق وأخرست كل منافق وأسكتت كل ناطق

وقال أحمد بن مروان ثنا أبو بكر ابن أخي خطاب ثنا خالد بن خداش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة قال كانت الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت إنا لله ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة ورواه غره عن حماد فقال كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوه وله شاهد من وجه آخر ومن دعائه اللهم إن رجالا أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم اللهم وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك فوفقني ومنه اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر وقال له رجل أبقاك الله ما كان البقاء خيرا لك فقال هذا شيء قد فرغ منه ولكن قل أحياك اله حياة طيبة وتوفاك مع الأبرار وقال له رجل كيف أصبحت يا أمير المؤمنين فقال أصبحت بطيئا بطينا متلوثا بالخطايا أتمنى على الله عز و جل ودخل عليه رجل فقال يا أمير المؤمنين إن من كان

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ٢/١٤٤

قبلك كانت الخلافة لهم زين وأنت زين الخلافة وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر ... وإذا الدر زان حسن وجوه ... *كان للدر حسن وجهك زينا ...

قال فأعرض عنه عمر وقال رجاء بن حيوة سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعشى السراج فقلت يا أمير المؤمنين ألا أنبه هذا الغلام يصلحه فقال لا دعه ينام لا أحب أن أجمع عليه عملين فقلت أفلا أقوم أصلحه فقال **لا ليس من المروءة استخدام** الضيف ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتا ثم جاء وقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر ابن عبد العزيز وقال أكثر ذكر النعم فإن ذكرها شكرها وقال إنه ليمنعني من كثرة ذكرها مخافة المباهاة وبلغه أن رجلا من أصحابه توفي فجاء إلى أهله ليغزيهم فيه فصرخوا في وجهه ". (١)

٣-"فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه، فادعت عليه أنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها، فتناظرا ساعة فجعل صوتها يعلو على صوته فزجرها بعض الحاضرين، فقال له المأمون: اسكت فإن الحق أنطقها، والباطل أسكته. ثم حكم لها بحقها وأغرم لها ولده بعشرة آلاف درهم، وكتب إلى بعض **الأمراء: ليس من المروءة أن** يكون آنيتك من ذهب وفضة، وغريمك عار، وجارك طاو.

ووقف رجل بين يديه، فقال له المأمون: والله لأقتلنك. فقال له: يا أمير المؤمنين، تأن علي فإن الرفق نصف العفو. فقال: ويلك ويحك! قد حلفت لأقتلنك. فقال: يا أمير المؤمنين، أن تلق الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلا. فعفا عنه. وكان يقول: ليت أهل الجرائم يعرفون أن مذهبي العفو، حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم، وركب يوما في حراقة فسمع ملاحا يقول لأصحابه: ترون هذا المأمون ينبل في عيني، وقد قتل أخاه الأمين ؟ يقول ذلك، وهو لا يشعر بمكان المأمون فجعل المأمون يتبسم ويقول: كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل ؟

وحضر عند المأمون هدبة بن خالد ليتغدى عنده، فلما رفعت المائدة جعل هدبة يلتقط ما تناثر منها، فقال له المأمون: أما شبعت يا شيخ ؟ فقال بلى،". (٢)

٤-"قال: فدخل بهما الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك، وأمر بالمزودين ففرغا، وملئا دنانير، وبعث بهما إلى ذلك الأديب.

وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنئونه بصنوف التهاني، ودخل عليه بعض الشعراء، فقال له يهنئه بولده:

مد لك الله الحياة مدا حتى ترى ابنك هذا جدا

ثم يفدي مثل ما تفدى كأنه أنت إذا تبدى

أشبه منك قامة وقدا مؤزرا بمجده مردا

---

(١) البداية والنهاية ٩/٢٠٣

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٤/٢٢٤

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقدم عليه، وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المعتصم ذلك، فوردت عليه خزائن من خراسان وبها ثلاثون ألف ألف درهم، فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال ومعه يحيى بن أكثم القاضي، فلما دخلت البلد، **قال: ليس من المروءة أن** نحوز نحن هذا كله، والناس ينظرون. ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه.

ومن لطيف شعره قوله:

لساني كتوم لأسراركم ودمعي نموم لسري مذيع". (١)

٥-" وخمسين واربعمائة وقرأ القرآن بروايات وكان حسن التلاوة وسمع الحديث من ابي الغنائم ابن المأمون وابي جعفر ابن المسلمة وابي محمد الصريفيني وابي الحسين ابن النقور وابي بكر الخطيب وغيرهم وقرأ شيئا من الفقه على ابي اسحاق وكان له سمت ووقار وبهاء توفي يوم الثلاثاء سابع عشر صفر من هذه السنة ودفن بمقبرة باب ابرز

١٢٣ - محمد بن عبد الباقي

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري احد الثلاثة الذين تيب عليهم في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا ابو بكر بن ابي طاهر ويعرف ابوه بصهر هبة الله البزار ولد بالبصرة ونشأ بها وكنا نسأله عن مولده فقال أقبلوا على شأنكم فأني سألت القاضي ابا المظفر هناد بن ابراهيم النسفي عن سنه فقال أقبل على شأنك فأني سألت ابا الفضل محمد بن احمد الجارودي عن سنه فقال لي أقبل على شأنك فأني سألت ابا بكر محمد بن علي بن زحر المنقري عن سنه فقال اقبل على شأنك فاني سألت ابا ايوب الهاشمي عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فاني سألت ابا اسمعيل الترمذي عن سنه فقال لي أقبل على شأنك فاني سألت البويطي عن سنه فقال لي أقبل على شأنك فأني سألت الشافعي عن سنه فقال لي أقبل على شأنك فاني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال ري أقبل على شأنك ثم قال **لي ليس من المروءة ان** يخبر الرجل عن سنه قال لنا شيخنا محمد بن عبد الباقي ووجدت في طريق آخر قيل له قال لأنه ان كان صغيرا استحقروه وان كان كبيرا استهرموه ثم قال لنا مولدي في يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة اثنتين واربعين واربعمائة وذكر لنا ان منجمين حضرا حين ولدت فأجمعا أن العمر اثنتان وخمسون سنة قال وها انا قد جاوزت التسعين وانشدني ... احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما ستطعت ومذهب ... فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمموه ومكفر ومكذب ". (٢)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ٢٢٦/١٤

(٢) المنتظم ٩٢/١٠

٦-"وقال: ولي برهان الدين القضاء بالقاهرة وأعمالها. وتدريس المدرسة المنصورية القطبية مضافا إلى ما بيده من تدريس المدرسة المعزية، ومدرسة الإمام الشافعي رحمة الله عليه بالقرافة الصغرى، ومدرسة القاضي بدر الدين، وخلع عليه. وباشر منتصف المحرم سنة ست وثمانين، وتوفي في تاسع صفر، فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوما، وولي بعده القضاء والتدريس بالمنصورية، والشافعي، والقطبية القاضي تقي الدين بن بنت الأعز يوم وفاته، وخلع عليه، وباشر ليومه مضافا إلى ما بيده وهو القضاء بمصر وأعمالها، والخطابة بالجامع الأزهر، وتدريس الصالحية ونظرها، والشريفية، ونظر الخزانة، والنظر على أولاد الملك الظاهر ودواوينهم، وجميع ما كان للصاحب برهان الدين مباشرة من القضاء والمدارس سوى المعزية والبدرية بالقرافة، فإن نظرهما لورثته، ورتبهم أن يكون تدريسها لهم ويقيموا عنهم فيها نائبا إلى أن تأهلوا.

سليمان بن بليمان بن أبي الجيش بن عبد الجبار بن بليمان أبو الربيع شرف الدين الهمذاني الأصل الرعياني المولد الإربلي المنشأ الشاعر المشهور صاحب النوادر والزوائد. كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد رحمه الله تعالى قدم دمشق واستوطنها إلى أن توفي بها في ليلة الجمعة عاشر صفر سنة ست وثمانين وست مائة. مولده سنة ست وتسعين، وقيل: سنة تسعين وخمس مائة. ذكره شرف الدين بن المستوفي وزير إربل، وصاحب تاريخها. فقال: أبو الربيع سليمان بن بليمان بن أبي الجيش أبوه صائغ، وهو صائغ من أنشاء إربل، وهو ممن ولد بها، له طبع حسن في نظم الشعر، ويحفظ منه جملة، وله بديهة حسنة، وأجوبة مسكتة، أنشدني لنفسه:

رويدك إن عذلك غير مجد ... فلا تذكي بقولك نار وجدي

ففي أذني وقر عن سماع الملام وفي الهوى عني ورشدي

عذولي لا تزد بلواي بلوى ... فسقمي قد تجاوز كل حد

وليس من المروءة عذل صب ... تطير بلبه نفحات نجد

أسير لا يفك له قياد ... بنرجس مقلة وبورد خد

يعيد غرامه ذكر الليالي ... التي سلفت بنعمان وبيدي

ألا يا صاحبي إن كنت ترعى ... مواثيقي الأولى وقديم عهدي

علام إذا تألق برق نجد ... يؤرقني خلاف الركب وجدي

واسكب في تلمعه شؤونا ... تفوق السحب إذا هطلت برغد

وإن نسمت نسيم الغور تهدي ... إلى أرنج حوذان ورند

أو ارتفعت بأعلى الغور نار ... تؤرقني على قرب وبعد

أرحني صاح من ذكر البوادي ... وحل عن القباب قباب سعد

فقد ملكت بنو الأتراك رقي ... بهزل من تجنيهم وجد

ظبا صرعت أسود الغاب فاعجب ... لآرام لأسد الغاب تردي

يدور دجى أقلتها غصون ... غنوا عن كل خطي بقد
تحل عزيمتي من أن يصدوا ... بحل من بنودهم وشد
كلفت بهم ولا كلفي بمولي ... أمير البدر في حل وعقد
جدير المكرمات أبو العطايا ... إلى طرق الندى من ضل يهدي
فكم ستر لعرس الدين سارت ... عن العافين من شكر وحمد
له أيد على كل البرايا ... ولا سيما خلاف الناس عندي
سخا في المكرمات جدود صدق ... صناديد الوغى وثناة مجد
لهم في المبتدا حكم الرواسي ... ويوم الروع سطوة كل ورد
إذا ورد الذي لو لاه ضاقت ... لدي مذاهبي وأسبع وردي
ومن بمديحه ذهبت نحوسي ... وأقبل حيث يممت سعدي
أتاك العيد يأذن بالبقاء الطويل وكل إقبال وجد
تهن به ودم ما دام رضوى ... على رغم الحسود وكل ضد
قال أبو البركات: وأنشدني أيضا لنفسه:
قم يا أخا المكارم.... نسعى ... لارتشاف الطلي وغصن الخدود
واغتنم غفلة الزمان وحاذر ... أن تبيع الموجود بالمفقود". (١)

٧-"أنبأنا سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن غسان بن غافل الأنصاري قال: أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد الخالق بن أسد بن ثابت قال: أخبرني ضحاك بن يزيد قال: حدثنا وريزه بن محمد قال: حدثنا خصيب بن إبراهيم قال: حدثنا أبو هريرة إمام مسجد عرفة قال: قدم عبد الله بن صالح الحدث، فخرجت أسلم عليه، فلم أر طعاما من حر وبارد أكثر من طعامه، قال: فقلت له: أيها الأمير العدس يرق القلب، ويحدر الدمعة، قال: فأمر طباخه أن يغير لنا ألوان الطعام العدس، فلما مر يوم واثنين، قلت للطباخ: أين ألوانك تلك الطيبة؟ قال: هذا فعلك حدثت الأمير حديثا فأخذ به، قال: فقمت فدخلت إليه، قلت: أصلح الله الأمير، الحديث الذي حدثتك في العدس إسناده ضعيف، قال: فضحك ودعا بالطباخ فقال: أعد لهم الطعام الأول.
أبو همام الشعباني:
كان مرابطا بقورس من أعمال حلب، روى عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خثعم، روى عنه أبو سلام الدمشقي، ويحيى بن أبي كثير.
أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن مميل الشيرازي فيما أذن لنا في روايته عنه، عن علي بن أبي محمد بن

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١٢٩/٢

هبة الله قال: أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد قال: أخبرنا شجاع بن علي قال: أخبرنا أبو عبد الله بن مندة قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد البغدادي قال: حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع قال: حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو همام الشعباني أنه كان مرابطا بقورس، وكان فينا رجل من خثعم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم....مقبلين إلى تبوك فذكر الحديث لم يزد هذا.

أبو هنيدة:

كان من الغزاة، غزا عمورية، واجتاز بحلب في دخوله إلى الغزاة من دابق، حكى عنه خالد بن دهقان.

أبو هلال الراغبي الخادم:

مولى راغب مولى الموفق بالله، كان من الغزاة المجاهدين في سبيل الله، الموصوفين بالشجاعة والنجدة والشهامة، وكان مقيما بطرسوس بدار راغب مولاه وهي الدار الكبرى.

نقلت من خط أبي عمرو عثمان بن عبد الله إبراهيم الطرسوسي القاضي، من كتاب سير الثغور، الذي ألفه لابن الفرات، قال: وفي هذه الدار يعني دار راغب الكبرى خدم وشيوخ من الفرسان المتقدمين، منهم: أبو هلال الراغبي، أدركته أنا وهو ابن قريب من مائة سنة.

قال أبو عمرو: وحدثني أبو الطيب يمن بن عبد الله الريداني أحد فرسان طرسوس وقوادها أنهم كانوا في بعض المغازي فوافقوا العدو فظفر أبو هلال الخادم الراغبي بالمرلس أحد فرسان الروم، فأخذه أسيرا فعرفه المرلس نفسه، وقال: أبق علي فأنا المرلس فدفعه إلى بعض السواس أو المكاريين، وقال له: امض له إلى الأمير ثمل وعرفه أنك أنت أسرته ليدفع إليك ما جرى الرسم بمثله فيمن أخذ أخيذا، فلما حصل عند ثمل قال له: من أسرك؟ قال: رجل خادم من حاله وعلامته، وجدته على فرس من شيته وآله وسلاح، هو كذا وكذا، قال له ثمل: وما أخذك هذا السائس؟ قال: لا والله، فأذن ثمل للناس في المقام في ذلك المنزل، وكان إذا أقام العسكر في بلاد الروم بمكان نودي: ألا إن الأمير مقيم ليتسع الناس في الذبائح وغيرها من المآكل، ومن عرض له قبل الأمير مهم قصده في مضربه، فقضى وطره، فلما أقام أتاه المسلمون بالتهنية بالفتح وبالظفر بالمرلس، والمرلس جالس بقرب ثمل بحيث يرى الناس ولا يرونه، ويسمع ثمل مناجاته، فكلما دخل رجل للسلام قال له ثمل: أهذا الذي أسرك؟ فيقول: لا حتى جاء أبو هلال الراغبي، فقام المرلس قائما وسجد لأبي هلال تعظيما، وقال لثمل: أيها الأمير هذا الذي أسرني، فقال أبو هلال: ما أعرف شيئا مما تقول ولا هو أخيذتي فاستحلفه ثمل بحياته، فقال: نعم إلا **أنه ليس من المروءة أن** يظهر الرجل أحسن أفعاله، وإنما يحسن بالإنسان أن يتحدث عنه غيره بما يأتي من الجميل، قال ثمل: يا أبا هلال لو غيرك أخذ المرلس لم يسعنا معه أرض النصرانية، ولا أرض الإسلام، قال أبو هلال: فأطلق للسائس أن يتكلم، قال: ثمل لا رونق للكذب ولا نفاذ.

أبو الهيثم بن القاضي أبي حصين:

علي بن عبد الملك بن بدر بن الهيثم، ولي الوزارة لشريف بن سيف الدولة، وكان له شعر حسن، وروى عن أبي فراس

بن حمدان، روى عنه أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان.". (١)

٨-"١٩٤ عبد الرحمن صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وقال حفيده المقري في كتابه التعريف بابن الخطيب وقد ألف علم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري وهذا بناء منه على مذهبه أنه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح بذلك في شرح الألفية عند قوله ووضعوا لبعض الأجناس علم وضبطه غيره وهم الأكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول أكثر المتأخرين وهما لغتان في البلد التي نسب إليها وهي قرية من قرى زاب أقريقة وقال مولاي الجد مولدي بتلمسان أيام أبي حم موسى بن عثمان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت أبا الفتح بن رويان عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال لي اقبل عىل شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سأت أبا إسمعيل الترمذي عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سأت بعض أصحاب الشافعي عن سنة فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنة فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت الشافعي عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال اقبل على **شأنك ليس من المروءة للرجل** أن يخبر بسنه انتهى وأنشد لبعضهم في المعنى (احفظ لسانك لا تبح بثلاثة * سن ومال ما استطعت ومذهب) (فعلى الثلاثة تبتلي بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب) وقال في الإحاطة في ترجمة الفقيه المقري هذا هذا الرجل مشار إليه بالعدو الغريبة اجتهادا وأدبا وحفظا وعناية واضطلاعا ونقلا ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط الخفة ظاهر السذاجة ذاهب أقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل مثابر على". (٢)

٩-" عبد الرحمن صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وقال حفيده المقري في كتابه التعريف بابن الخطيب وقد ألف علم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري وهذا بناء منه على مذهبه أنه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح بذلك في شرح الألفية عند قوله ووضعوا لبعض الأجناس علم وضبطه غيره وهم الأكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول أكثر المتأخرين وهما لغتان في البلدة التي نسب إليها وهي قرية من قرى زاب أفريقية وقال مولاي الجد مولدي بتلمسان أيام أبي حم موسى بن عثمان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت أبا الفتح بن رويان عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٣٩٨/٤

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد ١٩٣/٦

سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت أبا إسمعيل الترمذي عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنة فقال لي اقبل على فإني سألت الشافعي عن سنه فقال لي اقبل على شأنك فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال اقبل على شأنك **ليس من المروءة للرجل** أن يخبر بسنه انتهى وأنشد لبعضهم في المعنى

(احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ** سن ومال ما استطعت ومذهب)

(فعلى الثلاثة تبتلي بثلاثة ** بمكفر وبحاسد ومكذب)

وقال في الإحاطة في ترجمة الفقيه المقري هذا هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهادا وأدبا وحفظا وعناية واضطلاعا ونقلا ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط الخفة ظاهر السذاجة ذاهب أقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل مثابر على الانقطاع حريص على العبادة قديم النعمة

". (١)

١٠-" وعنه قال سمعت الشافعي يقول من ضحك منه في مسألة لم ينسها أبدا

وعنه قال لي الشافعي يا ربيع رضا الناس غاية لاتدرك فعليك بما يصلحك فالزمه فإنه لاسبيل إلى رضاهم واعلم أنه من تعلم القرآن جل في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأية ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وملاك ذلك كله التقوى

وعن المزني قال سمعت الشافعي يقول من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر في الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعة ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه

وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل

وعن أبي الوليد الجارودي قال سمعت الشافعي يقول لو علمت أن الماء البارد ينقص من مروءتي ماشربته

وعن الربيع قال سأل رجل الشافعي عن سنه **قال ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه سأل رجل مالكا عن سنه فقال أقبل على شأنك ". (٢)

١١-" قال لنا أبو بكر بن أبي طاهر وجدت في هذه الحكاية زيادة من رواية **أخرى ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه لأنه إن كان صغيرا استحقروه وإن كان كبيرا إستهرموه

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ١٩٤/٦

(٢) صفة الصفوة ٢٥٤/٢

وعنه قال كان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء الثلث الأول يكتب والثلث الثاني يصلي والثلث الثالث ينام

وعنه قال كان الشافعي للشافعي في رمضان ستون ختمة لايحسب منها مايقرأ في الصلاة

أبو بكر النيسابوري قال سمعت الربيع يقول كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة

وعن نهشل بن كثير عن أبيه قال أدخل الشافعي يوما إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن له ومعه سراج الخادم فأقعده عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد فقال سراج للشافعي يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم فأقبل عليه فقال ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ماتستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه علمهم كتاب الله ولاتكرههم عليه فيملوه ولا ". (١)

١٢-"""" صفحة رقم ١٦٦ """

ومن الفوائد عن أبى يعقوب

قال أبو جعفر الترمذى سمعت البويطى يحكى عن الشافعى أنه **قال ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه روى ذلك الحاكم أبو عبد الله بن البيع فى مناقب الشافعى ورواه غيره أيضا

قال البويطى سئل الشافعى كم أصول الأحكام قال خمسمائة قيل له وكم أصول السنة قال خمسمائة قيل له كم منها عند مالك قال كلها إلا خمسة وثلاثين قيل له كم عند ابن عيينة منها قال كلها إلا خمسة

وهذه غرائب استخرجها النووى رحمه الله من مختصر البويطى

قال الشافعى رضى الله عنه فى باب النشوز من البويطى إذا تزوج الحر أمة ثم خالعه سيدها على نفس الأمة فجعلها عوض الخلع لم يصح الخلع وهى امرأته بحالها لأن الخلع لا يتم إلا بملكه وإذا ملكها انفسخ النكاح وصارت ملكا له ولا يقع الطلاق على ملك

وفى باب الدعوى والبينات منه لو ادعى رجل على رجل أو امرأة بالعبودية وهما معروفان بالحرية فأقرا بذلك لم يجز

وفى الباب المذكور منه أيضا لو قال رجل من رمانى أو من دخل المسجد أو البيت فهو ابن الزانية فرماه رجل أو دخل رجل لم يجب عليه حد القذف وكذا لو قال ذلك لإنسان بعينه لم يجب عليه الحد لأنه يعرف كذبه فإنه لا يكون بدخوله أو رميه زانيا

وفى باب طلاق الحر والأمة الحرة ثلاثا إذا كانت الأمة تحت عبد فطلقها وأراد سيدها أن يسافر بها سافر". (٢)

---

(١) صفة الصفوة ٢/٢٥٥

(٢) طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع ٢/١٦٦

١٣-" قيل للمأمون يوما : يا أمير المؤمنين لو نصبت للناس رجلا وأقمته لحوائجهم فتشاغل بهم واقتصرت عليه بينك وبين الرعية ولم تشغل نفسك بالاستماع إلى كل داخل فقال المأمون : إني بسطت للناس في الكلام وأذنت لهم علي وجعلت حوائجهم بيني وبينهم لتصل إلي أخبارهم وأعرف مبلغ عقولهم وأعطي كل امرئ منهم على قدره فيكون كل إنسان وجميل حاجته ولسان طلبته خارجا عن يدي شكله والطلب إلى مبلغ ولو جعلت ذلك إلى أحد لضاق على الرعية المذهب وخفيت علي أمورهم وحبست عني أخبارهم وموطلوا بحوائجهم وتآمر عليهم غيري وكان الحمد والمن لواحد في زمانهم دوني ودون أوليائي وخفت مع هذا أن لو نصبت لهم رجلا لا أشكر على صنيعة فينسون نعمتي أوليائي ويستعبدهم غيري فأكون قد صبرت أحرارا أرقاء

قال قحطبة بن حميد بن الحسن بن قحطبة : كنت واقفا على رأس المأمون أمير المؤمنين يوما وقد قعد للمظالم فأطال الجلوس حتى زالت الشمس فإذا امرأة قد أقبلت تعثر في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم فأقبل يحيى عليها فقال : تكلمي فقالت : يا أمير المؤمنين قد حيل بيني وبين ضيعتي وليس لي ناصر إلا الله تبارك وتعالى فقال لها يحيى بن أكثم : إن الوقت قد فات ولكن عودي يوم المجلس قال : فرجعت . فلما كان يوم المجلس قال المأمون : أول من يدعى المرأة المظلومة فدعا بها فقال لها : أين خصمك ؟ قالت : واقف على رأسك يا أمير المؤمنين قد حيل بيني وبينه وأومأت إلى العباس ابنه فقال لأحمد بن أبي خالد : خذه بيده وأقعده معها ففعل فتناظر ساعة حتى علا صوتها عليه فقال لها أحمد بن أبي خالد : أيتها المرأة إنك تناظرين ،لأمير أعزه الله بحضرة أمير المؤمنين فاخفضي عليك فقال المأمون : دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه فلم تزل تناظره حتى حكم لها المامون عليه وأمره برد ضيعتها وأمر ابن أبي خالد أن يدفع إليها عشرة آلاف درهم

وقد حكي عن هذه المرأة أنها دخلت على المأمون وقد أذن المؤذن فقالت : البسيط

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... ويا إماما به قد أشرق البلد

تشكو إليك عقيد الملك أرملة ... عدا عليها فلم تقوبه أسد

فابتز مني ضياعي بعد منعتها ... وقد تفرق عني الأهل والولد

فأجابها المأمون :

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد ... مني ودام به من قلبي الكمد

هذا أوان صلى الله عليه و سلم ى الله عليه وسلمى الله عليه وسلماة الظهر فانصرفيوأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ... أنصفك منه وإلا المجلس الأحد

وساق بقية الحديث بمعناه

قال أحمد بن يوسف القاضي : قلت للمامون : يا أمير المؤمنين إن رجلا ليس بينه وبين الله أحد يخشاه لحقيق أن يتقي الله عز و جل فقال المأمون : صدقت

قال محمد بن منصور : وقع المأمون في رقعة متظلم من علي بن هشام : علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من هو دونه فأخبر أمير المؤمنين : أي الرجلين أنت ؟

ووقع في قضية رجل يظلم من بعض أصحابه : **ليس من المروءة أن** تكون ابنتك من ذهب وفضة وغريمك عار وجارك طاو

قال أبو عيسى الهاشمي : حدثني أبي قال : كنت بحضرة المأمون فأحضر رجلا فأمر بضرب عنقه وكان الرجل من ذوي العقول فقال ليحيى بن أكثم : إن أمير المؤمنين قد أمر بضرب عنقي وإن دمي عليه لحرام فهل لي في حاجة أسأله إياها لا تضر بدينه ولا مروءته ؟ فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمي فأظهر المأمون تحرجا فقال ليحيى بن أكثم : سله عنها فقال الرجل : يضع يده في يدي إلى الموضع الذي يضرب فيه عنقي فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمي فقالم المأمون من مجلسه وضرب بيده إلى يد الرجل فلم يزل يخبره وينشده ويحدثه حتى كأنه من بعض أسرته فلما أن رأى السياف والسيف والموضع الذي يكون فيه مثل هذه الحال انعطف فقال للمأمون : بحق هذه الصحبة والمحادثة لما عفوت فعفا عنه وأجزل له الجائزة ". (١)

١٤-" من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار

قال ميسرة : قدمت بصدقة قومي طائعين ونحن على الإسلام لم نبال وما بعث علينا أحد حتى أدخلتها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجزاني وجزى قومي خيرا وعقد لنا لواء وقال : سيروا مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة وأوصى بنا خالدا فكنا إذا زحفت الزحوف نأخذ اللواء فنقاتل به بأبانين واليمامة ومع خالد بالشام لقد نظر إلي خالد بن الوليد يوم اليرموك فصاح بأبي عبيدة بن الجراح : ادفع رايتك إلى ميسرة ففعل ففتح الله علي

حدث وابصة العبسي عن أبيه قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنى فوقف علينا يدعونا إلى الإسلام فلم يستجب له منا أحد فقال ميسرة بن مسروق : ما أحسن كلامك وأنوره ولكن قومي يخالفونني وإنما الرجل بقومه

فلما حج رسول الله صلى الله عليه و سلم حجة الوداع لقيه ميسرة بن مسروق فعرفه فقال : يا رسول الله ما زلت حريصا على اتباعك منذ أنخت بنا حتى كان ما كان ويأبى الله إلا ما ترى من تأخر إسلامي فأسلم فحسن إسلامه وقال : الحمد لله الذي ينقذني من النار وكان له عند أبي بكر الصديق مكان

قال أبو وجزة : مر أبو بكر بالناس في معسكرهم بالجرف ينسب القبائل حتى مر فزارة فقام إليه رجل منهم فقال : مرحبا بكم فقالوا : يا خليفة رسول الله نحن أحلاس الخيل وقد قدنا الخيول معنا فقال : بارك الله فيكم قالوا : فاجعل اللواء الأكبر معنا فقال أبو بكر : لا آخذه عن موضعه هو في بني عبس فقال الفزاري : أتقدم علي من أنا خير منهم ؟ فقال أبو بكر : اسكت يا لكع هم خير منك أقدم إسلاما ولم يرجع منهم رجل وقد رجعت وقومك عن الإسلام

فقال العبسي – وهو ميسرة بن مسروق – : ألا تسمع ما يقول يا خليفة رسول الله ؟ فقال : اسكت فقد كفيت

---

(١) مختصر تاريخ دمشق – مفهرس ص/١٩١٩

وكان ميسرة بن مسروق وأصحابه أول جيش دخل أرض الروم دخلها في ستة آلاف فغنم وسبى وجمعت له الروم فلقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا فهزمهم الله وكانت فيهم مقتلة عظيمة

قال ابن جابر : أدركت عظامهم تلوح في مرج القنابل وهي إحدى ملاحم الروم التي أبيروا فيها

ميسرة مولى فضالة

حدث عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته

وحدث ميسرة عن أبي الدرداء : أنه كان إذا ذكر حديث أبي هريرة عنده يقول : أولم يقل الله في كتابه : " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون " . قال أبو الدرداء : فنحن الصالحون

ميمون بن أحمد بن عمار بن نصير السلمي

حدث عن نصر بن منصور الطرسوسي بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار

ميمون بن إبراهيم

أبو إسحاق البغدادي الكاتب كان على الزبد للمتوكل

حدث عن محمد بن حماد بن سعيد الكاتب قال : كنت أجالس أبا يوسف القاضي وكان في الحلقة رجل يطيل الصمت فجاء إلى أبي يوسف رجل فقال : ما تقول في رجل دخل إلى بيت مظلم وفيه إنسان فخرج وسيفه مخضب دما والرجل الذي داخل مقتول ؟ فابتدره الرجل الصامت فقال : أرأيت إن كان مع الذي داخل سيف فخرجا ورأس كل واحد منهما في يد صاحبه ؟ فنظر أبو يوسف إلى أصحابه وقال : ما كان أحسن صمته لو زين بعقل

ميمون بن إسماعيل الدمشقي

حدث عن سلم بن جنادة بسنده إلى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : **ليس من المروءة الربح** على الإخوان

ميمون بن الحسن بن سهل البصري الدباس

حدث عن أبي علي الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عواذ الأسيدي بسنده إلى أبي جزء قال : الناسخ والمنسوخ على ثلاثة أوجه : فمنه ما رفع وما أثبت خطه وبدل حكمه ومنه ما نسخ حكمه ونسخت تلاوته وبقي ذكره على ألسنة الناس

ميمون بن علي بن يعقوب

ابن علي بن أبي البختري وهب بن وهب القرشي الأسدي من أهل صيدا

حدث عن جده أبي البختري قال : ". (1)

١٥-"(2) هذا أوان صلى الله عليه وسلمى الله عليه وسلمى الله عليه وسلماة الظهر فانصرفيوأحضري الخصم في اليوم الذي أعد والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا أنصفك منه وإلا المجلس الأحد وساق بقية الحديث بمعناه قال أحمد بن يوسف القاضي قلت للمامون يا أمير المؤمنين إن رجلا ليس بينه وبين الله أحد يخشاه لحقيق أن يتقي الله عز وجل فقال المأمون صدقت قال محمد بن منصور وقع المأمون في رقعة متظلم من علي بن هشام علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من هو دونه فأخبر أمير المؤمنين أي الرجلين أنت ووقع في قضية رجل يظلم من بعض **أصحابه ليس من المروءة أن** تكون ابنتك من ذهب وفضة وغريمك عار وجارك طاو قال أبو عيسى الهاشمي حدثني أبي قال كنت بحضرة المأمون فأحضر رجلا فأمر بضرب عنقه وكان الرجل من ذوي العقول فقال ليحيى بن أكثم إن أمير المؤمنين قد أمر بضرب عنقي وإن دمي عليه لحرام فهل لي في حاجة أسألـه إياها لا تضر بدينه ولا مروءته فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمي فأظهر المأمون تحرجا فقال ليحيى بن أكثم سله عنها فقال الرجل يضع يده في يدي إلى الموضع الذي يضرب فيه عنقي فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمي فقالم المأمون من مجلسه وضرب بيده إلى يد الرجل فلم يزل يخبره وينشده ويحدثه حتى كأنه من بعض أسرته فلما أن رأى السياف والسيف والموضع الذي يكون فيه مثل هذه الحال انعطف فقال للمأمون بحق هذه الصحبة والمحادثة لما عفوت فعفا عنه وأجزل له الجائزة وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية فقال له والله لأقتلنك فقال الرجل يا أمير المؤمنين تأن علي فإن الرفق نصف العفو فقال فكيف وقد حلفت ﷺ". (3)

١٦-"(4) مع الذي داخل سيف فخرجا ورأس كل واحد منهما في يد صاحبه فنظر أبو يوسف إلى أصحابه وقال ما كان أحسن صمته لو زين بعقل ميمون بن إسماعيل الدمشقي حدث عن سلم بن جنادة بسنده إلى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال ليس من المروءة الربح** على الإخوان ميمون بن الحسن بن سهل البصري الدباس حدث عن أبي علي الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عواذ الأسيدي بسنده إلى أبي جزء قال الناسخ والمنسوخ على ثلاثة أوجه فمنه ما رفع وما أثبت خطه وبدل حكمه ومنه ما نسخ حكمه ونسخت تلاوته وبقي ذكره على ألسنة الناس ميمون بن علي بن يعقوب ابن علي بن أبي البختري وهب بن وهب القرشي الأسدي من أهل صيدا حدث عن جده أبي البختري قال قال لي هارون الرشيد أين أنخت لولدك من بعدك قلت يا أمير المؤمنين بالشام

---

(1) مختصر تاريخ دمشق – مفهرس ص/٣٤٨٨

(2) ١١٠

(3) مختصر تاريخ دمشق – موافق ومحقق ١١٠/١٤

(4) ٥٥

قال وأي موضع بالشام قلت بساحل دمشق بحصن يقال له صيدا قال وكيف أنخته الشام وهو ذكروا مأواة الفتن وفيه العصبية فقلت له يا أمير المؤمنين إنه بلد أرضه طعام وسماؤه إدام قال لي فتحملنا أن نصير إليه قال قلت فما نحملك يا أمير المؤمنين ﷺ". (١)

١٧-"وقال رضا الناس غاية لا تدرك فعليك بما يصلحك فالزمه فانه لا سبيل الى رضاهم واعلم انه من تعلم القرآن جل في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وملاك ذلك كله التقوى.

قال الشافعي من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر في الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

قال الشافعي لو علمت ان الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته.

سال رجل الشافعي عن سنه **قال ليس من المروءة ان** يخبر الرجل بسنه لانه ان كان صغيرا استحقروه وان كان كبيرا استهرموه. سال رجل مالكا عن سنة فقال اقبل على شانك.

وعنه قال كان الشافعي قد جزا الليل ثلاثة اجزاء الثلث الاول يكتب والثلث الثاني يصلي والثلث الثالث ينام.

وعنه قال كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة

قال الربيع كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفي رمضان ستني ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة.

وعن نهشل بن كثير عن ابيه قال دخل الشافعي يوما الى بعض حجر هارون الرشيد ليستاذن له ومعه سراج الخادم اقعده عند ابي عبد الصمد مؤدب اولاد هارون الرشيد فقال سراج للشافعي يا ابا عبد الله هؤلاء اولاد امير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو اوصيته بهم فاقبل عليه فقال ليكن اول ما تبدا به من اصلاح اولاد امير المؤمنين اصلاحك نفسك فان اعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر اعفه ومن الحديث اشرفه ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.". (٢)

١٨-"أهل الفضل من لم تره فيما تقدم.

حدثني عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: سمعت علي بن عبد الله الهمذاني بمكة يقول: حدثنا علي بن محمد الفامي الوراق، قال: حدثني أبو الحسين المالكي، قال: حدثني عبد الله بن محمد التميمي، قال: سمعت ذا النون، يقول

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ٥٥/٢٦

(٢) مختصر صفة الصفوة ٨٥/١

بمصر: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف، فعليه بسقاة الماء ببغداد.

قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لما حملت إلى بغداد، رمي بي على باب السلطان مقيدا، فمر بي رجل متزر بمنديل مصري، معتم بمنديل ديبقي، بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط.

فسألت: هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي: لا، هذا ساقي العامة، فأومأت إليه ليسقيني، فتقدم وسقاني فشممت من الكوز رائحة مسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه دينارا، فأعطاه الدينار، فأبى، وقال: ليس آخذ شيئا.

فقلت له: ولم؟ فقال: أنت أسير **وليس من المروءة** أن آخذ منك شيئا.

فقلت: كمل الظرف في هذا.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان الدمشقي في كتابه إلينا، قال: أخبرنا أبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر البجلي، قال: حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو البصري، قال: حدثنا أبو مسهر، قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسي، قال: إذا كان علم الرجل حجازيا، وخلقه عراقيا، وطاعته شامية، فقد كمل.". (١)

"أن يتسع من وراء ذلك جاهه ونفوذه، ولم يكن لأجل العقيدة الصحيحة والدين الحق الذي يدعو إليه الشيخ، فإنه لم يكن قد نفذ إلى قلبه، ولا وصل إلى قرارة نفسه.

١٣٨ - فحين جاءه كتاب سليمان طارت نفسه هلعا، وأقبل عليه الشيطان بجنده يخيفه فوات ما يؤمل من الدنيا مستقبلا، وما بيده منها حالا ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران:١٧٥]

١٣٩ - ورأى الشيخ من ابن معمر ذلك الخوف مجسما، فحاول أن يثنيه فقال له: "إن هذا الذي أدعوا إليه كلمة لا إله إلا الله، وأركان الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله سبحانه يظهرك على عدوك، فلا يزعجك سليمان، ولا يفزعك تهديده، فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك به بلاده وما وراءها وما دونها إن شاء الله".

١٤٠ - فوقع ذلك من نفس عثمان، وأغضى عن تهديد سليمان، وسكت عن الشيخ، ولكنه لم يلبث أن عاوده الشيطان يثير مخاوفه، ويوسوس له بغضب سليمان، وضياع المال والرياسة من يده، فعاود الكلام مع الشيخ قائلا له: إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره، **وليس من المروءة** ولا كرم الأخلاق أن نقتلك، وأنت جارنا، فشأنك ونفسك وارحل عن بلادنا، وقرن الفعل بالقول، وفأنفذ في الحال من جنده الخيالة من أخرجه من البلد قسرا، وأوعز إليهم سرا أن يقتلوه إذا هم." (٢)

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار ٣٥٣/١

(٢) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها محمد حامد الفقي ص/٥٧

"سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه، فقال: أقبل على **شأنك، ليس من المروءة إخبار** الرجل عن سنه «١» .

وفاته: توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة، وأراه توفي في ذي حجة من العام قبله. ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله.

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبتة، حفيد القاضي الإمام أبي الفضل عياض، يكنى أبا عبد الله.

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان من عدول القضاة، وجلة سراتهم، وأهل النزاهة فيهم، شديد التحري في الأحكام والاحتياط، صابرا على الضعيف فيهم والملهوف، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوي السطوة، فاضلا، وقورا، حسن السمت، يعرفه كلامه أبدا، ويزينه ذلك لكثرة وقاره، محبا في العلم وأهله، مقربا لأصاغر الطلبة، ومكرما لهم، ومعتنيا بهم، معملا جهده في الدفع عنهم، لما عسى أن يسوءهم؛ ليحبب إليهم العلم وأهله، ما رأينا بعده في هذا مثله. سكن مالقة مع أبيه عند انتقال أبيه إليها، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستمائة.

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجياب، وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه، قال: دخلت على القاضي المذكور، فسأل أحدنا عن أبيه، فقال: ابن فلان.

وذكر معرفة مشتركة بين تجار فاس، فقال: أيهما الذي ينحت في الخشب، والذي يعمل في السلاح؟ فما فطن لقصده لسذاجته. وحدثني عن ذكر جزالته أنها كانت تقع له مع السلطان مستقضيه، مع كونه مرهوبا، شديد السطوة، وقائع تنبيء عن تصميمه، وبعده عن الهوادة؛ منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس كان قد سجنه، فأنفذ بين يدي السلطان الأمر للسجان بحبسه، وتوعده إن أطلقه. ومنها إذاعة ثبوت العيد في أخريات يوم كان قد أمل السلطان البروز إلى العيد في صباحه، فنزل عن القلعة ينادي: عبد الله، يا ميمون، أخبر الناس عن عيدهم اليوم، وأمثال ذلك.

مشيخته: قرأ بسبتة، وأسند بها، فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري وغيره، ورحل إلى الجزيرة الخضراء، فأخذ بها كتاب سيبويه وغيره تفقيها على النحوي الجليل أبي القاسم عبد الرحمن بن القاسم القاضي المتفنن. وأخذ بها أيضا كتاب «إيضاح الفارسي» عن الأستاذ أبي الحجاج بن مغرور، وأخذ بإشبيلية وغيرها." (١)

"ما نوى، ولكل عامل وجهة يقصدها، عليها يكون الجزاء، وليس في عمل العاملين ولاجد المجدين أبرأ ولا أفضل من نصيحة مستنصح، وإرشاد مسترشد، ومادام الكل في حاجة إلى التعاون والمشاركة، فلا غنى لهم عن تبادل الأفكار، ومعرفة الأخبار مما ينعو إليه صلاح شأنهم، وقوام معيشتهم، والناس رجلان، حاكم ومحكوم، وبينهما مطالب متبادلة، وحقوق متكاتفة، إن سكت عنها مديح المقال أبان عنها لسان الحال، ووظيفة الجرائد الصادقة في البلاد شرح مطالب الفريقين، وترجمة أفكار الهيئتين، و"المؤيد" جريدة وطنية، يقصد أن يكون على هذا المبدأ سفير الخير وبريد المطالب، وكما أنه سيشرح إحساساب الهيئة الحكومة مجتهدا في إظهار ما بزو إياها من خفايا الحاجات، بين يدي الهيئة

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٤٤/٢

الحاكمة، وإن كانت هي أوسع علما، وأصدق خبرا، وأطول باعا، وأدرى بطبائع الأوقات، وأعرف بمواقع الحاجات، فلذلك يبين للأمة ما يحسن فيه الطلب، وينال بـه الأدب، ويسمع به النداء، ويقبل عنده الدعاء، ويكون به استجلاب المنافع، ومنه دفع المضار غير ناكث عهد، أو لا خافر ذمة.

وكيف نحن بعض من نطالب بحاجاتهم، ونعمل للحصول على مرضاتهم، ومهما جد سوانا في خدمتنا واجتهد، أو هجرت عينه الغمض، فلا تقوم النافلة مقام الفرض، وليس من المروءة أن نشارك من جاد علينا بخدمة الوطن، وندع نواظرنا لفتور الوسن.

فما الناس إلا يقظة، فإذا غفت ... عيونهم داستهم حمر الناس

فبالعين يكفى المرء صدمة عاثر ... وفي العين يهوي من ثغا فلما الناس

فلا يسعنا إلا أن نقوم بهذا الواجب، معترفين لمن سبقنا له من فضل السبق، وأحقية الشكر على ما أدوه من الخدمة الجزيلة في هذه البلاد.

فإليكم يا بني مصر، جريدة نشأت في مهد الإخلاص، حميدة المبدأ والغاية، تناجيكم ولا تسر النجوى لسواكم.

ومما كتبه في المؤيد بعنوان: "لا تعصب في مصر":." (١)

"إذا ضيف زائر وليس من المروءة الاستخدام بالضيف الزائر ذكر أبو بكر بن محمد بن اللباد قال نا إبراهيم بن أبي داود البرلسى عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول قال أبو يوسف لأروحن الليلة إلى أمير المؤمنين يعني الرشيد بقاصمة الظهر على المدنيين في اليمين مع الشاهد فقال له رجل فتقول ماذا قال إنه لا يقضى إلا بشاهدين لأن الله قد أبى إلا الشاهدين وتلا الآية في الدين قال فإن قالوا لك فمن الشاهدان." (٢)

"شكرك ثم تنحى وضرب بيده إلى كمه أو جيبه فأخرج منه دنانير لا أدري خمسة أو عشرة أو أكثر وأكبر ظني عشرة وقال لي ادفعها إليه واعتذر عني عنده فإني لم يحضرني غيرها في هذا الوقت أخبرنا عيسى بن سعيد بن سعدان المقرئ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم ببغداد قال أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن سيف قال حدثنى القسم بن نجيح صاحب المزني قال قال لي المزني كنت عند الشافعي يوما ودخل عليه جار له خياط فأمره بإصلاح أزراره فأصلحها فأعطاه الشافعي دينارا فنظر إليه الخياط وضحك فقال له الشافعي خذه فلو حضرنا أكثر منه ما رضينا لك به فقال الخياط إنما دخلت اليك لاسلم عليك فقال الشافعى فأنت اذا زائر وضيف وليس من المروءة أن يستخدم بالزائر ولا بالضيف أخبرنا اسماعيل بن اسحق قال أنبأنا خالد بن سعد قال أنبأنا أبو عبيدة بن أحمد بن أبي عبيدة قال حدثنا الربيع بن سليمان قال سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء ومعه عشرة آلاف دينار في منديل فنزل قريبا من مكة وأتاه أصحابه يسلمون عليه فما برح ومعه منها شيء

باب ما امتحن به الشافعي مع هارون الرشيد وهو شاب

---

(١) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة محمد كامل الفقي ١٨٦/١

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ابن عبد البر ص/٨٥

أخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبادل قال حدثني أبو بكر محمد بن إبراهيم الحراني بمصر عن أبيه قال سمعت أبا ابراهيم المزنى يذكر عن الشافعي أنه قال رفع إلى هارون الرشيد أن بمكة قوما من قريش استدعوا رجلا علويا كان باليمن ثم قدم مكة مجاورا." (١)

"لأستحي من الله إن تقف ببابي ولا يؤذن لك، وقال لآخر منهم: إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدنيا لما أكرمك الله به.

وقال أيضا: كنا نحن وبنو عمنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا، نلجأ إليهم ويلجئون إلينا، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسدت كل نافق، وأخرست كل منافق، وأسكتت كل ناطق.

وقال أحمد بن مروان: ثنا أبو بكر ابن أخي خطاب، ثنا خالد بن خداش، ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي – وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة – قال: كانت الأسد والغنم والوحش

ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت: إنا لله، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك.

قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة.

ورواه غيره عن حماد فقال: كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوه، وله شاهد من وجه آخر، ومن دعائه: اللهم إن رجالا أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم، اللهم وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك، فوفقني.

ومنه: اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر.

وقال له رجل: أبقاك الله ما كان البقاء خيرا لك، فقال: هذا شئ قد فرغ منه، ولكن قل: أحياك الله حياة طيبة، وتوفاك مع الأبرار.

وقال له رجل: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت بطيئا بطينا، متلوثا بالخطايا، أتمنى على الله عزوجل.

ودخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين، وأنت زين الخلافة، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر: وإذا الدر زان حسن وجوه *كان للدر حسن وجهك زينا قال: فأعرض عنه عمر.

وقال رجاء بن حيوة: سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعشى السراج فقلت: يا أمير المؤمنين: ألا أنبه هذا الغلام يصلحه؟ فقال: لا! دعه ينام، لا أحب أن أجمع عليه عملين.

فقلت: أفلا أقوم أصلحه؟ فقال: **لا! ليس من المروءة استخدام** الضيف، ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتا ثم جاء وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز، وقال: أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها.

وقال: إنه ليمنعني من كثرة ذكرها مخافة المباهاة، وبلغه أن رجلا من أصحابه توفي، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه، فصرخوا في وجهه بالبكاء عليه، فقال: مه، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم، وإن الذي يرزقكم حي لا يموت، وإن صاحبكم هذا،

---

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ابن عبد البر ص/٩٥

لم يسد شيئا من حفركم، وإنما سد حفرة نفسه، ألا وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها، إن الله عزوجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب، وعلى أهلها بالفناء وما امتلأت دار خبرة إلا امتلأت عبرة، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها، فمن كان منكم باكيا فليبك على نفسه، فإن الذي صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا.." (١)

"ثم يفدى ما تفدى * كأنه أنت إذا تبدى أشبه منك قامة وقدا * مؤزرا بمجده مردا قال فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقدم عليه وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المعتصم ذلك، فوردت عليه خزائن من خراسان ثلاثون ألف ألف درهم، فخرج يسعرضها وقد زينت الجمال والأحمال، ومعه يحيى بن أكثم القاضي، فلما دخلت البلد **قال: ليس من المروءة أن** نحوز نحن هذا كله والناس ينظرون.

ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه.

ومن لطيف شعره: لساني كتوم لأسراركم * ودمعي نموم لسري مذيع فلولا دموعي كتمت الهوى * ولولا الهوى لم تكن لي دموع بعث خادما ليلة من الليالي ليأتيه بجارية فأطال الخادم عندما المكث، وتمنعت الجارية من المجئ إليه حتى يأتي إليها المأمون بنفسه، فأنشأ المأمون يقول: بعثتك مشتاقا (١) ففزت بنظرة * وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا فناجيت من أهوى وكنت مب ا عدا * فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى ورددت طرفا في محاسن وجهها * ومتعت باستسماع نغمتها أذنا أرى أثرا منه بعينيك بينا * لقد سرقت (٢) عيناك من عينها حسنا ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال، فرح بذلك بشر المريسي - وكان بشر هذا شيخ المأمون - فأنشأ يقول:

قد قال مأموننا وسيدنا * قولا له في الكتب تصديق إن عليا أعني أبا حسن * أفضل من قد أقلت النوق بعد نبي الهدى وإن لنا * أعمالنا، والقرآن مخلوق فأجابه بعض العشراء من أهل السنة: يا أيها الناس لا قول ولا عمل * لمن يقول: كلام الله مخلوق ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر * ولا النبي ولم يذكره صديق ولم يقل ذاك إلا كل مبتدع * على الرسول وعند الله زنديق

---

(١) في ابن الاثير ٦ / ٤٣٦ وفوات الوفيات ٢ / ٢٣٩: مرتادا.

(٢) في ابن الاثير: أخذت.

(*)."(٢)

"القدر؟ وحضر عند المأمون هدبة بن خالد ليتغدى عنده فلما رفعت المائدة جعل هدبة يلتقط ما تناثر منها من اللباب وغيره، فقال له المأمون: أما شبعت يا شيخ؟ فقال: بلى، حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٢٨/٩

(٢) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٠٥/١٠

الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل ما تحت مائدته أمن من الفقر» . قال فأمر له المأمون بألف دينار.

وروى ابن عساكر أن المأمون قال يوما لمحمد بن عباد بن المهلب: يا أبا عبد الله قد أعطيتك ألف ألف، وألف ألف، وألف ألف وأعطيك دينارا. فقال: يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء ظن بالمعبود. فقال: أحسنت يا أبا عبد الله! أعطوه ألف ألف وألف ألف وألف ألف. ولما أراد المأمون أن يدخل ببوران بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيها الأشياء النفيسة، وكان من جملة من يعتز به رجل من الأدباء. فأهدى إليه مزودا فيه ملح طيب، ومزودا فيه أشنان جيد، وكتب إليه: إني كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا أذكر فيها، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته، وبالمختوم به لطيبه ونظافته. وكتب إليه:

بضاعتي تقصر عن همتي ... وهمتي تقصر عن مالي

فالملح والأشنان يا سيدي ... أحسن ما يهديه أمثالي

قال: فدخل بها الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك وأمر بالمزودين ففرغا وملئا دنانير وبعث بهما إلى ذلك الأديب. وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنئونه بصنوف التهاني، ودخل بعض الشعراء فقال يهنيه بولده:

مد لك الله الحياة مدا ... حتى ترى ابنك هذا جدا

ثم يفدي مثل ما تفدى ... كأنه أنت إذا تبدى

أشبه منك قامة وقدا ... مؤزرا بمجده مردا

قال فأمر له بعشرة آلاف درهم. وقدم عليه وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المعتصم ذلك، فوردت عليه خزائن من خراسان ثلاثون ألف ألف درهم، فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال، ومعه يحيى بن أكثم القاضي، فلما دخلت البلد **قال: ليس من المروءة أن** نحوز نحن هذا كله والناس ينظرون. ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه. ومن لطيف شعره: -

لساني كتوم لأسراركم ... ودمعي نموم لسري مذيع

فلولا دموعي كتمت الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لي دموع

وقد بعث خادما ليلة من الليالي ليأتيه بجارية فأطال الخادم عندها المكث، وتمنعت الجارية من." (١)

"كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية، فأما نحن فهي لنا رشوة. قالوا: وكان يوسع على عماله في النفقة، يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار، ومائتي دينار، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين، فقالوا له: لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك؟ فقال: لا أمنعهم حقا لهم، ولا أعطيهم حق غيرهم. وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفا كثيرا من قبل ذلك، وقال يوما لرجل من ولد علي: إني لأستحي من الله أن تقف ببابي ولا يؤذن لك، وقال لآخر منهم:

إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدنيا لما أكرمكم الله به. وقال أيضا: كنا نحن وبنو عمنا بنو هاشم مرة

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٧٨/١٠

لنا ومرة علينا، نلجأ إليهم ويلجئون إلينا، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسدت كل نافق، وأخرست كل منافق، وأسكتت كل ناطق.

وقال أحمد بن مروان: ثنا أبو بكر ابن أخي خطاب ثنا خالد بن خداش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي– وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة– قال: كانت الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت: إنا لله، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك. قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة. ورواه غيره عن حماد فقال: كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوه، وله شاهد من وجه آخر، ومن دعائه: اللهم إن رجالا أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم، اللهم وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك، فوفقني.

ومنه: اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر. وقال له رجل:

أبقاك الله ما كان البقاء خيرا لك، فقال: هذا شيء قد فرغ منه، ولكن قل: أحياك الله حياة طيبة، وتوفاك مع الأبرار.

وقال له رجل: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت بطيئا بطينا، متلوثا بالخطايا، أتمنى على الله عز وجل.

ودخل عليه رجل [١] فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين، وأنت زين الخلافة، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر [٢]

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

قال: فأعرض عنه عمر. وقال رجاء بن حيوة: سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعشى السراج فقلت: يا أمير المؤمنين: ألا أنبه هذا الغلام يصلحه؟ فقال: لا! دعه ينام، لا أحب أن أجمع عليه عملين. فقلت: أفلا أقوم أصلحه؟ فقال: لا! ليس من المروءة استخدام الضيف، ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتا ثم جاء وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، وجلست وأنا عمر ابن عبد العزيز، وقال: أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها. وقال: إنه ليمنعني من كثرة ذكرها مخافة المباهاة، وبلغه أن رجلا من أصحابه توفي، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه، فصرخوا في وجهه

---

[١] هو بلال بن أبي بردة حفيد بن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه

[٢] هو مالك بن أسماء.." (١)

"فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه، فادعت عليه أنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها، فتناظرا ساعة فجعل صوتها يعلو على صوته فزجرها بعض الحاضرين، فقال له المأمون: اسكت فإن الحق أنطقها، والباطل أسكته. ثم حكم لها بحقها وأغرم لها ولده بعشرة آلاف درهم، وكتب إلى بعض الأمراء: ليس من المروءة أن يكون آنيتك من ذهب وفضة، وغريمك عار، وجارك طاو.

ووقف رجل بين يديه، فقال له المأمون: والله لأقتلنك. فقال له: يا أمير المؤمنين، تأن علي فإن الرفق نصف العفو. فقال: ويلك ويحك! قد حلفت لأقتلنك. فقال: يا أمير المؤمنين، أن تلق الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلا. فعفا عنه. وكان

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٠٣/٩

يقول: ليت أهل الجرائم يعرفون أن مذهبي العفو، حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم، وركب يوما في حراقة فسمع ملاحا يقول لأصحابه: ترون هذا المأمون ينبل في عيني، وقد قتل أخاه الأمين؟ يقول ذلك، وهو لا يشعر بمكان المأمون فجعل المأمون يتبسم ويقول: كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل؟

وحضر عند المأمون هدبة بن خالد ليتغدى عنده، فلما رفعت المائدة جعل هدبة يلتقط ما تناثر منها، فقال له المأمون: أما شبعت يا شيخ؟ فقال بلى،." (١)

"قال: فدخل بهما الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك، وأمر بالمزودين ففرغا، وملئا دنانير، وبعث بهما إلى ذلك الأديب.

وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنئونه بصنوف التهاني، ودخل عليه بعض الشعراء، فقال له يهنئه بولده:

مد لك الله الحياة مدا ... حتى ترى ابنك هذا جدا

ثم يفدي مثل ما تفدى ... كأنه أنت إذا تبدى

أشبه منك قامة وقدا ... مؤزرا بمجده مردا

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقدم عليه، وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المعتصم ذلك، فوردت عليه خزائن من خراسان وبها ثلاثون ألف ألف درهم، فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال ومعه يحيى بن أكثم القاضي، فلما دخلت البلد، **قال: ليس من المروءة أن** نحوز نحن هذا كله، والناس ينظرون. ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه.

ومن لطيف شعره قوله:

لساني كتوم لأسراركم ... ودمعي نموم لسري مذيع." (٢)

"قال الشيخ: ولإبراهيم بن هراسة حديث صالح يرويه، وبخاصة عن الثوري، ويعرف عن الثوري بأحاديث صالحة، وروى عن غيره ما لا يتابع عليه، وقد ضعفه الناس، والضعف على رواياته بين.

٧٦- إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي.

خراساني الأصل سكن واسط.

حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري، حدثني إسحاق بن شاهين قال: مات إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي خراساني الأصل، نزل واسط بعد هشيم، وكان هشيم يدلس عنه.

سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي الواسطي يروي عن يونس بن خباب وغيره،

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٢٤/١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٢٦/١٤

عنده مناكير، وكان هشيم يدلس عنه.

قال الشيخ: وقال النسائي، فيما أخبرني محمد بن العباس: عنه إبراهيم بن عطية واسطي، متروك الحديث.

وذكر عبد الرحمن بن أبي بكر، عن عباس، قال: سألت يحيى عن أحاديث يرويها هشيم عن مغيرة، عن إبراهيم؛ النظر في مرآة الحجام دناءة، وإذا بلي المصحف دفن، وأشباه هذه الأحاديث؟ فقال: سمعها هشيم من إبراهيم بن عطية الواسطي، عن مغيرة، قلت ليحيى: من إبراهيم هذا، سمع من مغيرة هذه الأحاديث؟ فقال: كان إبراهيم هذا لا يساوي شيئا.

وينبغي أن يكون قد سمع من مغيره وهشيم، إنما سمع هذه الأحاديث منه عن مغيرة، وكان يقول: مغيرة هكذا، قال يحيى: أو شبيها بهذا.

حدثنا أحمد بن محمد الضبعي، أخبرني إسحاق بن شاهين، حدثنا هشيم، عن محمد الأسدي، عن الشعبي، **قال: ليس من المروءة النظر** في مرآة الحجام.

أخبرنا أحمد بن محمد الضبعي، أخبرني إسحاق بن شاهين، حدثنا هشيم، حدثنا." (١)

"الصريفيني، وأبي الحسين ابن النقور، وأبي بكر الخطيب، وغيرهم، وقرأ شيئا من الفقه على أبي إسحاق، وكان له سمت ووقار وبهاء.

توفي يوم الثلاثاء سابع عشر صفر من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب أبرز.

٤٠٧١- محمد بن عبد الباقي

بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري أحد الثلاثة الذي تيب عليهم في قوله تعالى: وعلى الثلاثة الذين خلفوا ٩: ١١٨ [١] أبو بكر بن أبي طاهر ويعرف أبوه بصهر هبة الله [٢] البزار.

ولد بالبصرة ونشأ بها وكنا نسأله عن مولده [٣] ، فقال: أقبلوا على شأنكم فأني سألت القاضي/ أبا المظفر هناد بن إبراهيم النسفي عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، ٦/ أفاني سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فأني سألت أبا بكر محمد بن علي بن زحر المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فاني سألت أبا أيوب الهاشمي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فأني سألت البويطي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، ثم قال **لي: ليس من المروءة أن** يخبر الرجل عن سنه [٤] .

قال لنا شيخنا محمد بن عبد الباقي، ووجدت في طريق آخر قيل له: قال: لأنه إن كان صغيرا استحقروه وإن كان كبيرا استهرموه، ثم قال لنا: مولدي في يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة اثنتين وأربعين واربعمائة، وذكر لنا أن منجمين حضرا حين

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ابن عدي ٣٩٧/١

ولدت فأجمعا أن العمر اثنتان وخمسون سنة، قال: وها أنا قد جاوزت التسعين، وأنشدني:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

---

[١] سورة: التوبة، الآية: ١١٨.

[٢] انظر ترجمته في: (مرآة الزمان ٨/ ١٧٨، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٣٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٢١٧، ١٨، وشذرات الذهب ٤/ ١٠٨، والكامل ٩/ ٣١٨) .

[٣] في الأصل: «وكنا سألناه عن مولده» .

[٤] في الأصل: «أن يخبر الرجل عن سنه» .." (١)

"الوراق قال: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب الجرجاني يقول: سمعت أحمد بن يوسف بن موسى يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال لي محمد بن إدريس: دخلت بغداد؟ قلت: لا. قال: يا يونس ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس [١] .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا الجوهري قال:

حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا الصولي قال: حدثنا القاسم بن إسماعيل قال:

٤١/ أحدثنا أبو محلم قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: الإسلام/ ببغداد وإنها لصيادة تصيد الرجال، ومن لم يرها فلم ير الدنيا [٢] .

أخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا أحمد قال: حدثني عبد العزيز بن علي قال:

سمعت علي بن عبد الله الهمداني يقول: حدثنا علي بن محمد القاضي قال: حدثني أبو الحسين المالكي قال: حدثني عبد الله بن محمد التميمي قال: سمعت ذا النون يقول: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد. قيل: وكيف؟

قال: لما حملت إلى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيدا، فمر بي رجل مؤتزر بمنديل مصري، معتم بمنديل ديبقي، بيده كيزان وخزف رقاق، وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي: هذا ساقي العامة. فأومأت إليه: اسقني.

فسقاني، فشممت من الكوز رائحة مسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه دينارا. فأعطاه الدينار. فأبى. وقال: ليس آخذ شيئا. فقلت له: ولم؟ فقال: أنت أسير، **وليس من المروءة** أن آخذ منك شيئا. فقلت: كمل الظرف في هذا [٣] .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي [٤] الحافظ قال:

أخبرني [٥] أبو القاسم القاضي قال: حدثني علي بن المحسن التنوخي قال: قال لي أبو القاسم بزياش بن الحسن الديلمي- وهو شيخ يتعلق بعلوم فصيح العربية- قال:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٣/١٨

سافرت الآفاق، ودخلت البلدان من حد سمرقند إلى القيروان، ومن سر نديب إلى بلد الروم، فما وجدت بلدا أفضل ولا أطيب من بغداد. قال: وكان سبكتكين حاجب معز

---

[1] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٤٥.

[٢] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٤٧.

[٣] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١/ ٥٠.

[٤] في الأصل: «علي بن أحمد» .

[٥] في ت: «أخبرنا» .." (١)

"نقلت من خط أبي عمرو عثمان بن عبد الله إبراهيم الطرسوسي القاضي، من كتاب سير الثغور، الذي ألفه لابن الفرات، قال: وفي هذه الدار- يعني- دار راغب الكبرى خدم وشيوخ من الفرسان المتقدمين، منهم: أبو هلال الراغبي، أدركته أنا وهو ابن قريب من مائة سنة.

قال أبو عمرو: وحدثني أبو الطيب يمن بن عبد الله الريداني- أحد فرسان طرسوس وقوادها- أنهم كانوا في بعض المغازي فوافقوا العدو (٢١٢- و) فظفر أبو هلال الخادم الراغبي بالمرلس أحد فرسان الروم، فأخذه أسيرا فعرفه المرلس نفسه، وقال: أبق علي فأنا المرلس فدفعه الى بعض السواس أو المكاريين، وقال له: امض به إلى الأمير ثمل وعرفه أنك أنت أسرته ليدفع إليك ما جرى الرسم بمثله فيمن أخذ أخيذا، فلما حصل عند ثمل قال له: من أسرك؟ قال: رجل خادم من حاله وعلامته، وجدته على فرس من شيته وآله وسلاح، هو كذا وكذا، قال له ثمل:

وما أخذك هذا السائس؟ قال: ل ا والله، فأذن ثمل للناس في المقام في ذلك المنزل، وكان إذا أقام العسكر في بلاد الروم بمكان نودي: ألا إن الأمير مقيم ليتسع الناس في الذبائح وغيرها من المآكل، ومن عرض له قبل الأمير مهم قصده في مضربه، فقضى وطره، فلما أقام أتاه المسلمون بالتهنية بالفتح وبالظفر بالمرلس، والمرلس جالس بقرب ثمل بحيث يرى الناس ولا يرونه، ويسمع ثمل مناجاته، فكلما دخل رجل للسلام قال له ثمل: أهذا الذي أسرك؟ فيقول: لا حتى جاء أبو هلال الراغبي، فقام المرلس قائما وسجد لأبي هلال تعظيما، وقال لثمل: أيها الأمير هذا الذي أسرني، فقال أبو هلال: ما أعرف شيئا مما تقول ولا هو أخيذتي فاستحلفه ثمل بحياته، فقال: نعم إلا **أنه ليس من المروءة أن** يظهر الرجل أحسن أفعاله، وإنما يحسن بالإنسان (٢١٢- ظ) أن يتحدث عنه غيره بما يأتي من الجميل، قال ثمل: يا أبا هلال لو غيرك أخذ المرلس لم يسعنا معه أرض النصرانية، ولا أ رض الإسلام، قال أبو هلال: فأطلق للسائس أن يتكلم، قال: ثمل لا رونق للكذب ولا نفاذ.." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٨/٨٤

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١٠/٤٦٥٤

"أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال أخبرني أبي قال قال أبو القاسم بزياش بن الحسن الديلمي- وهو شيخ لقيته ببغداد يتعلق بعلوم فصيح بالعربية:

سافرت الآفاق، ودخلت البلدان من حد سمرقند إلى القيروان، ومن سر نديب إلى بلد الروم، فما وجدت بلدا أفضل ولا أطيب من بغداد. قال: وكان سبكتكين حاجب معز الدولة- المعروف بالحاجب الكبير- آنسا بي، فقال لي يوما: قد سافرت الأسفار الطويلة، فأي بلد وجدت أطيب وأفضل؟ فقلت له: أيها الحاجب إذا خرجت من العراق، فالدنيا كلها رستاق [١] .

حدثني أبو القاسم عبيد الله بن علي الرقي- وكان أحد الأدباء- قال: أخذ أبو العلاء المعري وهو ببغداد يوما يدي فغمزها، ثم قال لي: يا أبا القاسم هذا بلد عظيم، لا يأتي عليك يوم وأنت به إلا رأيت فيه من أهل الفضل من لم تره فيما تقدم [٢] .

حدثني عبد العزيز بن علي قال سمعت علي بن عبد الله الهمداني بمكة يقول نبأنا على بن محمد الفاني الوراق [٣] قال حدثني أبو الحسين المالكي قال حدثني عبيد الله ابن محمد التميمي قال: سمعت ذا النون يقول بمصر: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد. قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لما حملت إلى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيدا، فمر بي رجل متزر بمنديل مصري، معتم بمنديل دبيقي، بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط. فسألت: هذا ساقي السلطان؟ فقيل لي: لا هذا ساقي العامة، فأومأت إليه: اسقني، فتقدم وسقاني فشممت من الكوز رائحة مسك، فقلت لمن معي: ادفع إليه دينارا فأعطاه الدينار فأبى. وقال: ليس آخذ شيئا. فقلت له: ولم؟ فقال: أنت أسير **وليس من المروءة** أن آخذ منك شيئا. فقلت:

كمل الظرف في هذا [٤] .

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان الدمشقي في كتابه إلينا قال: أنبأنا أبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر البجلي قال نبأنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو النصري [٥] قال نا أبو مسهر قال نا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسي قال: إذا كان علم الرجل حجازيا، وخلقه عراقيا، وطاعته شامية، فقد كمل [٦] .

---

[١] انظر الخبر في: المنتظم ٨/٨٤، ٨٥.

[٢] انظر الخبر في: المنتظم ٨/٨٥.

[٣] في المنتظم: «القاضي» .

[٤] انظر الخبر في: المنتظم ٨/٨٤.

[٥] في المطبوعة والأصل: «البصري» تصحيف.

[٦] انظر الخبر في: تاريخ أبي زرعة ص ٣٦ ب مخطوط.." (١)

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٧٣/١

"أتتك حرى عقيد (١) الملك أرملة * بغي عليها – فلم تقوى به – أسد فابتز مني ضياعي بعد منعتها * قد (٣) تفرق الأهل والولد * وأنشأ المأمون مجيبا لها يقول (١) : من دون ما قلت عيل الصبر والجلد * وهاض من قولك الأحشاء والكبد هذا أوان صلاة الظهر فأنصرفني * وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد المجلس السبت إن يقض (٣) الجلوس لنا * أنصفك فيه وإلى المجلس الأحد * قال فانصرفت ثم عادت في الوقت الذي أمرها به فلما نظر من خصمك؟ فأومأت إلى ابن العباس فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد في مجلس الحكم أمر امؤمنين لالحكم ففعل ذلك فلما جلس جعلت المرأة تكلمه بكلام صحيح قال فقال له ابن أبي خالد تكلمين الأمير بين يدي أمير المؤمنين فقال له المأمون اسكت لا أم لك فالحق أنطقها والباطل أسكته ثم أمر برد ضياعها عليها أخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت عبد الله بن محمد الكعبي يقول سمعت محمد بن أيوب يقول سمعت أحمد بن يوسف القاضي يقول قلت للمأمون يا أمير المؤمنين إن رجلا ليس بينه وبين الله أحد يخشاه فحقيق أن يتقي الله عز وجل فقال المأمون صدقت أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا أحمد بن مروان نا أحمد بن عباد نا محمد بن منصور قال دفع المأمون في رقعة (٣) متظلم من علي بن هشام علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من هو دونه فأخبر أمير المؤمنين أي الرجلين أنت ووقع في قصة رجل تظلم من بعض **أصحابه ليس من المروءة أن** تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك عار وجارك طاو

---

(١) بالاصل: " يقول مجيبا " وفوق اللفظتين علامتا تقديم وتأخير

(٢) الاصل: " يقضي " والمثبت عن العقد الفريد

(٣) غير واضحة بالاصل والمثبت عن المختصر ١٤ / ١١٠." (١)

"ابن محمد بن محمد يقول سمعت أبا عصمة نوح بن نصر الفرغاني (١) يقول ح وأنبأنا أبو سعد (٢) المطرز أخبرنا أبو عصمة سمعت أبا الحسين الجرجاني البارع يقول سمعت أحمد بن منصور الشيرازي يقول سمعت أبا سعيد الحسن بن أحمد بن المبارك التستري يقول سمعت ميمون بن إسماعيل الدمشقي يقول سمعت سالم بن جنادة يقول سمعت أبي يروي عن أبي حنيفة عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي (صلى الله عليه وسلم) **قال ليس من المروءة الربح** على الاخوان قال ابن عساكر (٣) كذا قال والمحفوظ سالم بن جنادة (٤) أنبأنا أبو علي الحداد أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا الحسن بن أحمد بن المبارك حدثنا ميمون بن إسماعيل الدمشقي حدثنا أحمد بن محمد الزبيدي حدثنا أبي حدثنا المأمون حدثني هارون الرشيد حدثني مالك بن أنس عن سعيد (٥) عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السفر قطعة من العذاب الحديث

٧٨٠٣ – ميمون بن الحسن بن إسماعيل (٦) البصري الدباس قدم دمشق قافلا من الحج (٧) وحدث عن أبي علي الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عواد روى عنه علي بن محمد الحنائي (٨) قرأت بخط أبي الحسن الحنائي

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١٠/٣٣

أخبرنا ميمون بن الحسن بن إسماعيل (٩) الدباس

---

(١) بالاصل وم: " القوغاني " وفي " ز ": " أبو غاني " والمثبت عن د

(٢) تحرفت بالاصل إلى: سعيد والمثبت عن د و " ز " وم

(٣) زيادة منا

(٤) كذا بالاصل ود و " ز " وم وتقدم في المتن بالاصل وجميع النسخ: سالم بن جنادة فتعقيب المصنف في غير محله

(٥) كذا بالاصل وفي " ز ": " سفيان " وفي م: " سعير " وفي د: " سمي " وفوقها ضبة

(٦) كذا بالاصل وم وفي د: " سهل " وسقطت اللفظة من " ز "

(٧) قوله: " قافلا من الحج " استدرك على هامش " ز " متبوعا ب " صح "

(٨) استدركت اللفظة على هامش م

(٩) كذا بالاصل وم و " ز " وفي د: سهل." (١)

"سمع على الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي كتاب الحيل له والعلم للمرهبي وعلى علي بن عيسى بن القيم بعض الأول من حديث سفيان بن عيينة الثقفي وجزء اسماعيل الصفار.

وحدث بما سمعه على الدمياطي وتفرد بالسماع منه وهو ابن أخت الشيخ عماد الدين محمد بن محمد بن حرمي الدمياطي وبعنايته سمع الحديث.

ومما حدث به عن الحافظ شرف الدين الدمياطي من أول سنن الدارقطني إلى آخر الجزء السابع من تجزئة عشرين بقراءة شيخنا ابن ظهيرة.

مات في ١١ رجب سنة احدى وثمانين وسبعمائة بالقاهرة ومولده في ربيع الآخر سنة ٦٩٧ بثغر دمياط.

[وسمع من أبي علي الحسن بن عمر بن عيسى الكردي تفسير مالك بن أنس وقطعة من مسند الدارمي وجزء من حديث اسماعيل الصفار عن شيوخه وسمع من زينب بنت شكر قطعة من الدرامي وبعض جزء سفيان بن عينيه وحدث سمع منه البرهان الحلبي وأجاز لشيخنا أبي الفتح بن أبي بكر بن الحسين المراغي] ١.

٣٦١- محمد بن علي بن يوسف الأسنوي القاضي العلامة جمال الدين الشافعي الشهير بالخطيب.

ذكره شيخنا العلامة ولي الدين أبو زرعة أحمد ابن العراقي في تاريخه فقال سألته عن مولده **فقال ليس من المروءة ان** يخبر لرجل عن سنه.

سمع صحيح البخاري على أبي العباس الحجار وينص شيخنا بعد ذلك نحو سطر ثم قال وتفقه على الشيخ قطب الدين السنباطي والشيخ شمس الدين ابن عدلان والشيخ شمس الدين ابن القماح وغيرهم.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٢٥/٦١

١ زيادة من أ.

٣٦١- راجع ترجمته في: شذرات الذهب ٢٨٥/٦، طبقات ابن قاضي شهبة ١٧٠/٣، الدرر الكامنة ٩٨/٤، النجوم الزاهرة ٢٩٥/١١، ذيل العبر الورقة ٧٩.." (١)

"وليس من المروءة عذل صب ... تطير بلبه نفحات نجد

أسير لا يفك له قياد ... بنرجس مقلة وبورد خد

يعيد غرامه ذكر الليالي ... التي سلفت بنعمان ويبدي

ألا يا صاحبي إن كنت ترعى ... مواثيقي الأولى وقديم عهدي

علام إذا تألق برق نجد ... يؤرقني خلاف الركب وجدي

واسكب في تلمعه شؤونا ... تفوق السحب إذا هطلت برغد

وإن نسمت نسيم الغور تهدي ... إلى أرنج حوذان ورند

أو ارتفعت بأعلى الغور نار ... تؤرقني على قرب وبعد

أرحني صاح من ذكر البوادي ... وحل عن القباب قباب سعد

فقد ملكت بنو الأتراك رقي ... بهزل من تجنيهم وجد

ظبا صرعت أسود الغاب فاعجب ... لآرام لأسد الغاب تردي

يدور دجى أقلتها غصون ... غنوا عن كل خطي بقد

تحل عزيمتي من أن يصدوا ... بحل من بنودهم وشد

كلفت بهم ولا كلفي بمولي ... أمير البدر في حل وعقد

جدير المكرمات أبو العطايا ... إلى طرق الندى من ضل يهدي

فكم ستر لعرس الدين سارت ... عن العافين من شكر وحمد

له أيد على كل البرايا ... ولا سيما خلاف الناس عندي." (٢)

"وضبطه غيره وهم الأكثرون بفتح الميم وتشديد القاف، وعلى ذلك عول أكثر المتأخرين وهما لغتان في البلدة التي نسب إليها وهي قرية من قرى زاب إفريقية.

وقال مولاي الجد: مولدي بتلمسان أيام أبي حم موسى بن عثمان، وقد وقفت على تاريخ ذلك، ولكني رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه، فقال: أقبل على شأنك فإني سألت أبا الفتح بن رويان عن سنه، فقال لي: اقبل على شأنك فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري

---

(١) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد التقي الفاسي ١٩٤/١

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣٢٢/٤

عن سنه، فقال لي أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه، فقال لي:

أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه، فقال: أقبل على **شأنك ليس من المروءة للرجل** أن يخبر بسنه، انتهى.

وأنشد لبعضهم في المعنى:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمكفر وبحاسد ومكذب

وقال في «الإحاطة» في ترجمة الفقيه المقري هذا: هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية، اجتهادا، وأدبا، وحفظا، وعناية، واضطلاعا، ونقلا، ونزاهة، سليم الصدر، قريب الغور، صادق القول، مسلوب التصنع، كثير الهشة، مفرط الخفة، ظاهر السذاجة، ذاهب أقصى مذاهب التخلق، محافظ على العمل، مثابر على الانقطاع، حريص على العبادة، قديم النعمة متصل الخيرية، مكب على النظر والدرس، معلوم الصيانة والعدالة، منصف في المذاكرة، حاسر الذراع عند المباحثة، رحب الصدر في وطيس المناقشة، غير ضنين بالفائدة، كثير الالتفات، متقلب الحدقة، جهير بالحجة، بعيد عن المراء والمباهتة، قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة يقوم أتم القيام على العربية، والفقه، والتفسير، ويحفظ." (١)

"إلى أن قال: «وكان الفراغ منه يوم الاثنين تاسع عشر رمضان المعظم من شهور سنة (١٠٨٠) هـ» .

وقد ذكر في كل سنة من توفي خلالها من الملوك، والوزراء، والعلماء، بغاية الاختصار، مع سلاسة العبارة، فلا يخطر بالبال رجل من رجال الدولة، أو العلم، أو الأدب، أو التصوف، إلا وتوجد له فيه ترجمة تليق به.

ويوجد فيه أثناء التراجم بعض استطرادات مفيدة وغريبة في بابها:

منها: ما ذكره في ترجمة محمد المقري جد صاحب كتاب «نفح الطيب» المتوفى سنة (٧٦١) [١] ناقلا عن جده أنه قال: مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان، وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال: أقبل على شأنك فإني سألت أبا الفتح أزديان (كذا) [٢] عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال:

أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال: أقبل على **شأنك، ليس من المروءة للرجل** أن يخبر بسنه، وأنشد لبعضهم في المعنى:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٣٣/٨

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمكفر وبحاسد ومكذب

وفيها أيضا [٣] سأل ابن فرحون بن الحكم: هل تجد في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها في هذا البيت:

---

[١] انظر المجلد الثامن ص (٣٣٢- ٣٣٥) .

[٢] كذا أثبتها الكاتب في المقالة وفي الكتاب عندنا: «ابن رويان» .

[٣] أي في سنة (٨٦١) من «شذرات الذهب» .." (١)

"ومن الفوائد عن أبى يعقوب

قال أبو جعفر الترمذى سمعت البويطى يحكى عن الشافعى أنه **قال ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه روى ذلك الحاكم أبو عبد الله بن البيع فى مناقب الشافعى ورواه غيره أيضا

قال البويطى سئل الشافعى كم أصول الأحكام قال خمسمائة قيل له وكم أصول السنة قال خمسمائة قيل له كم منها عند مالك قال كلها إلا خمسة وثلاثين قيل له كم عند ابن عيينة منها قال كلها إلا خمسة

وهذه غرائب استخرجها النووى رحمه الله من مختصر البويطى

قال الشافعى رضى الله عنه فى باب النشوز من البويطى إذا تزوج الحر أمة ثم خالعه سيدها على نفس الأمة فجعلها عوض الخلع لم يصح الخلع وهى امرأته بحالها لأن الخلع لا يتم إلا بملكه وإذا ملكها انفسخ النكاح وصارت ملكا له ولا يقع الطلاق على ملك

وفى باب الدعوى والبينات منه لو ادعى رجل على رجل أو امرأة بالعبودية وهما معروفان بالحرية فأقرا بذلك لم يجز

وفى الباب المذكور منه أيضا لو قال رجل من رمانى أو من دخل المسجد أو البيت فهو ابن الزانية فرماه رجل أو دخل رجل لم يجب عليه حد القذف وكذا لو قال ذلك لإنسان بعينه لم يجب عليه الحد لأنه يعرف كذبه فإنه لا يكون بدخوله أو رميه زانيا

وفى باب طلاق الحر والأمة الحرة ثلاثا إذا كانت الأمة تحت عبد فطلقها وأراد سيدها أن يسافر بها سافر." (٢)

"هذا أوان صلى الله عليه وسلمى الله عليه وسلمى الله عليه وسلماة الظهر فانصرفيوأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ... أنصفك منه وإلا المجلس الأحد

وساق بقية الحديث بمعناه.

قال أحمد بن يوسف القاضي: قلت للمامون: يا أمير المؤمنين، إن رجلا ليس بينه وبين الله أحد يخشاه لحقيق أن يتقي الله عز وجل، فقال المأمون: صدقت.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي م ٦/١٠

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ١٦٦/٢

قال محمد بن منصور: وقع المأمون في رقعة متظلم من علي بن هشام: علامة الشريف أن يظلم من فوقه، ويظلمه من هو دونه، فأخبر أمير المؤمنين: أي الرجلين أنت؟.

ووقع في قضية رجل يظلم من بعض **أصحابه: ليس من المروءة أن** تكون ابنتك من ذهب وفضة وغريمك عار، وجارك طاو.

قال أبو عيسى الهاشمي: حدثني أبي قال: كنت بحضرة المأمون فأحضر رجلا، فأمر بضرب عنقه، وكان الرجل من ذوي العقول، فقال ليحيى بن أكثم: إن أمير المؤمنين قد أمر بضرب عنقي، وإن دمي عليه لحرام. فهل لي في حاجة أسأله إياها لا تضر بدينه ولا مروءته؟ فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمي، فأظهر المأمون تحرجا، فقال ليحيى بن أكثم: سله عنها، فقال الرجل: يضع يده في يدي إلى الموضع الذي يضرب فيه عنقي، فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمي، فقالم المأمون من مجلسه وضرب بيده إلى يد الرجل، فلم يزل يخبره وينشده، ويحدثه حتى كأنه من بعض أسرته، فلما أن رأى السياف والسيف والموضع الذي يكون فيه مثل هذه الحال انعطف فقال للمأمون: بحق هذه الصحبة والمحادثة لما عفوت، فعفا عنه، وأجزل له الجائزة.

وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية، فقال له: والله لأقتلنك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، تأن علي، فإن الرفق نصف العفو، فقال: فكيف وقد حلفت." (١)

"مع الذي داخل سيف، فخرجا ورأس كل واحد منهما في يد صاحبه؟ فنظر أبو يوسف إلى أصحابه وقال: ما كان أحسن صمته لو زين بعقل.

ميمون بن إسماعيل الدمشقي

حدث عن سلم بن جنادة بسنده إلى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال: ليس من المروءة الربح** على الإخوان.

ميمون بن الحسن بن سهل البصري الدباس

حدث عن أبي علي الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عواذ الأسيدي بسنده إلى أبي جزء قال: الناسخ والمنسوخ على ثلاثة أوجه: فمنه ما رفع، وما أثبت خطه وبدل حكمه، ومنه ما نسخ حكمه ونسخت تلاوته وبقي ذكره على ألسنة الناس.

ميمون بن علي بن يعقوب

ابن علي بن أبي البختري وهب بن وهب القرشي الأسدي من أهل صيدا.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٤/١١٠

حدث عن جده أبي البختري قال:

قال لي هارون الرشيد: أين أنخت لولدك من بعدك؟ قلت: يا أمير المؤمنين بالشام، قال: وأي موضع بالشام؟ قلت: بساحل دمشق بحصن يقال له صيدا، قال: وكيف أنخته الشام وهو – ذكروا – مأواة الفتن وفيه العصبية؟ فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه بلد أرضه طعام وسماؤه إدام، قال لي: فتحملنا أن نصير إليه؟ قال: قلت: فما نحملك يا أمير المؤمنين.." (١)

"شاه على حقيقة الحال وتعب

إلى الغاية وجلس للقضاء وأمضى في الملكين حكم القصاص، ولم يمنعه كونهما من عظماء ملوكه الخاصة به من أن يعمل الشريعة.

من مكارمه أنه استقل بالملك خمسا وخمسين سنة وجاهد في الله حق الجهاد ووسع حدود ملكه إلى مالوه وإلى بلاد السند كما علمت، ولكنه في تلك المدة الطويلة لم يطمح إلى بلاد المسلمين ولم يستشرف لها قط، وإذا استولى القوي منهم على الضعيف كما قام بنصرة الضعيف، كما وقع له في سنة ست وستين وثمانمائة إذ وصل إليه حاجب نظام شاه البهمني صاحب دكن يخبره أن محمود شاه الخلجي صاحب مالوه خرج إليه بعساكره، فعطف السلطان عنانه من الصيد وتوجه إلى سلطان بور بمن حضر معه، وأمر الوزير أن يلحقه بالعسكر، ولما نزل بسلطان بور قدم حاجب آخر يخبر بالحرب وأنه حاصر دار ملكه بيدر، فنهض السلطان من سلطان بور، ولما كان منزله تهالنير قدم حاجب آخر يخبر برجوع الخلجي، وذلك لأنه سمع بوصول محمود شاه الكجراتي فترك بيدر ورجع إلى مندو، وكذلك في سنة سبع وستين وثمانمائة وصل حاجب نظام شاه يخبر أن الخلجي خرج بتسعين ألف فارس إلى حدود نظام شاه، فنهض السلطان مع الحاجب وبلغ الخلجي ذلك بفتح آباد من أعمال تلنكانه فرجع إلى دار ملكه، فكتب السلطان إلى محمود شاه الخلجي ما معناه: **ليس من المروءة** قصد طفل لم يبلغ الحلم وقد التزمت حفظ ملكه إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، فإن دخلت في حده خرجت إلى حدك وفيما يليك من جهات الكفر ما يغني عنه ويرفع درجتك بالجهاد.

وإذا انتهيت إلى السلا مة في مداك فلا تجاوز

وكذلك لما بلغ محمود شاد سنة سبع وسبعين وثمانمائة خروج النوتك القواسه على سلطان السند بلغ عددهم أربعين ألفا، وهي طائفة بحرية تسكن الجزر بنواحي السند، لا تجتمع على طاعة أحد، إنما هي من لصوص البحر، فنهض من مصطفى آباد إرقالا يسير كل يوم ستين فرسخا، فلما قرب من السند تفرقوا، فتوقف السلطان بمنزله إلى أن وصل رسول ملك السند برسالة تتضمن شكره، فرجع إلى دار ملكه، وكذلك لما بلغه أن جماعة من الأمراء تغلبت في خانديس واختل بها نظام الملك نهض

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٥٥/٢٦

إلى برهانبور بعساكره، وولي عليها عالم خان بن أحسن خان الفاروقي أحد وارثي المملكة، ولقبه أعظم همايون عادل خان، وكان ابن بنته، وذلك في سنة أربع عشرة وتسعمائة.

ومن ذلك أنه لما توفى محمود شاه الخلجي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وبلغ وفاته ترحم عليه وعمل له زيارة فعرض عليه بعض أرباب الرأي الخروج إلى مندو، فأجابه: ليس من الفتوة اجتماع مصيبتين في وقت واحد على أهل بيته: فقد ذاته، وخلل جهاته.

ومن ذلك أنه لما سمع سنة ست وتسعمائة أن ناصر الدين شاه الخلجي سم أباه غياث الدين الخلجي خرج إلى مندو وقصد تأديبه لا ملكه، وبينما كان ينهض تواترت الرسل من ناصر الدين ببراءة ذمته فتركه، وفي كلها مفخرة عظيمة له.

ومن مكارمه قيامه بتعمير البلاد، وتأسيس المساج والمدارس والخوانق، وتكثير الزراعة، وغرس الأشجار المثمرة، وبناء الحدائق والبساتين وتحريض الناس على ذلك، وإعانتهم بحفر الآبار وإجراء العيون، ولذلك أقبل عليه الناس إقبالا كليا، ووفد عليه البناؤن والمعمارون وأهل الحرف والصنائع من بلاد العجم، فقاموا بحرفهم وصنائعهم، فصارت كجرات رياضا مخضرة بكثرة الحياض والآبار والحدائق والزروع والفواكه الطيبة، وصارت بلاد كجرات متجرة تجلب منها الثياب الرفيعة إلى بلاد أخرى، وذلك كله لميل سلطانها محمود شاه إلى ما يصلح به الملك والدولة ويترفه به رعاياه.

ومن مكارمه قيامه بتربية العلماء والصالحين لما كان مجبولا على حب العلم وأهله، فاجتمع في حضرته خلق كثير من أفاضل العرب والعجم، حتى صارت بلاد كجرات عامرة آهلة من العلماء، ووفد عليه المحدثون من بلاد العرب، وأقبل الناس على الحديث الشريف، فتشابهت باليمن الميمون، وفاقت على سائر بلاد الهند في ذلك.

وقد وفد عليه العلامة جلال الدين محمد بن محمد." (١)

١-"أخذ المال منهن بدون ذلك يوهم أنه أخذه في محل الإذن بأخذه، هذا أظهر الوجوه في جعل الأخذ بهتانا. وأما كونه إثما مبينا فقد جعل هنا حالا بعد الإنكار، وشأن مثل هذا الحال أن تكون معلومة الانتساب إلى صاحبها حتى يصبح الإنكار باعتبارها، فيحتمل أن كونها إثما مبينا قد صار معلوما للمخاطبين من قوله ﴿فلا تأخذوا منه شيئا﴾ ، أو من آية البقرة ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله. أو مما تقرر عندهم من أن حكم الشريعة في الأموال أن لا تحل إلا عن طيب نفس.

وقوله ﴿وكيف تأخذونه﴾ استفهام تعجبي بعد الإنكار، **أي ليس من المروءة أن** تطمعوا في أخذ عوض عن الفراق بعد معاشرة امتزاج وعهد متين. والإفضاء الوصول، مشتق من الفضاء، لأن الوصول قطع الفضاء بين المتواصلين والميثاق الغليظ عقدة النكاح على نية إخلاص النية ودوام الألفة، والمعنى أنكم كنتم على حال مودة وموالاة، فهي في المعنى

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٤/٤٢٧

كالميثاق على حسن المعاملة.
والغليظ صفة مشبهة من غلظ بضم اللام إذا صلب، والغلظة في الحقيقة صلابة الذوات، ثم استعيرت إلى صعوبة المعاني وشدتها في أنواعها، قال تعالى ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ [التوبة:١٢٣]. وقد ظهر أن مناط التحريم هو كون أخذ المال عند طلب استبدال الزوجة بأخرى، فليس هذا الحكم منسوخا بآية البقرة خلافا لجابر بن زيد إذ لا إبطال لمدلول هذا الآية.
﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ [٢٢].
عطف على جملة ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ [النساء:١٩]، والمناسبة أن من جملة أحوال إرثهم النساء كسرها، أن يكون ابن الميت لأولى بزوجة أبيه، إذا لم تكن أمه، فنهوا عن هذه الصورة نهيا خاصا وغلظا، وتخلص منه إلى إحصاء المحرمات.
و﴿ما نكح﴾ بمعنى الذي نكح مراد به الجنس، فلذلك حسن وقع ما عوض من لأن من تكثر في الموصول المعلوم، على أن البيان بقوله ﴿من النساء﴾ سوى بين ﴿ما﴾ ومن فرجحت ما لخفتها، والبيان أيضا يعين أن تكون ما موصولة. وعدل عن أن يقال: لا تنكحوا نساء آبائكم ليدل بلفظ نكح على أن عقد الأب على المرأة كاف". (١)

٢-"﴿ ١٠٤ ﴾ ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴾ .
أي: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لوهن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم.
ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيئين:
الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، **فليس من المروءة** الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى.
الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية و آمال رفيعة من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين

---
(١) التحرير والتنوير ٤/٧٤

العباد وفرق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ كامل العلم كامل الحكمة.". [١]

٣-" صفحة رقم ٢٥

مرتان ( ) ٧

[البقرة : ٢٢٩] و (الطلاق أبغض الحلال إلى الله) كما رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما فأبغضه إليه أنهاه (وما حلف به ولا استحلف إلا منافق) كما في الفردوس عن أنس رضي الله عنه .

ولما كان نظر الشارع إلى العدة شديدا لما فيها من الحكم بالتأني لاحتمال الندم وبالظن لبراءة الرحم احتياطا للأنساب وبقطع المنازعات والمشاجرات المفضية إلى ذهاب الأموال والارواح ، وقد أفهمه التعبير باللام ، صرح به بصيغة الأمر فقال : (وأحصوا) أي اضبطوا ضبطا كأنه في إتقانه محسوس بعد الحصي) العدة (لتكملوها ثلاثة أقراء كما تقدم الأمر به ليعرف زمان النفقة والرجعة والسكنى وحل النكاح لأخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة .

ولما كان الطلاق على غير هذا الوجه حراما للضرار ومخالفة الأمر وكذا التهاون في الضبط حتى يحتمل أن تنكح المرأة قبل الان قضاء ، أمر بمجانبة ذلك كله بقوله : (واتقوا) أي في ذلك) الله (أي الملك الأعظم الذي له الخلق والأمر لذاته في الزمن والإحصار لأن في ذلك ما هو حقه) ربكم (أي لإحسانه في تربيتكم في حملكم على الحنيفية السمحة ودفع جميع الآصار عنكم .

ولما أمر بالتقوى وناط بعضها بصفة الإحسان فسره بقوله : (لا تخرجوهن) أي أيها الرجال في حال العدة) من بيوتهن (أي المساكن التي وقع وهي سكنهن ، وكأنه عبر بذلك إشارة إلى أن استحقاقها لإيقاء العدة به في العظمة كاستحقاق المالك ، ولأنها كانت في حال العصمة كأنها مالكة له ، **فليس من المروءة** إظهار الجفاء بمعنها منه ، ولأنها إن روجعت كانت حاصلة في الحوزة ولم يفحش الزوج في المقاطعة ، وإن لم يحصل ذلك فظهر أنها حامل لم تحصل شبهة في الحمل .

ولما كان ذلك ربما أفهم أنه لحقهن فقط نفاه بقوله : (ولا يخرجن) أي بأنفسهن إن أردن ذلك من غير مخرج من جهة الزوج أو غيره ، فعلم من ذلك تحتم ا ستكمال العدة في موضع السكنى وأن الإسكان على الزوج ، وتخرج لضرورة بيع الغزل وجذاذ". [٢]

٤-"١ – مرض الزوجة مرضا مزمنا يجعل الزوج ينفر منها بحيث يجعلها غير صالحة للملامسة والتمتع وليس لها من يعولها إذا طلقها ولا تستطيع الكسب ولا يمكن أن تتزوج بغيره **فليس من المروءة** والإنسانية طلاقها وليس من الحكمة منعه من التزوج لئلا يتعطل نسله أو تميل به الشهوات الطبيعية إلى الزنا، وقد حدث مثل ذلك بالضبط لأحد

---

(١) تفسير السعدي ص/١٩٩

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٢٥/٨

الصالحين وكان قاضيا بالمحاكم الأهلية رحمه الله تعالى فإنه بعد أن تزوج بمدة يسيرة أصيبت زوجته بالشلل فكانت حالتها منفرة ولا تستطيع الحركة ولا تناول الطعام بيدها وليس لها من يعولها إذا طلقها بل يستحيل عليه ذلك لما جبل عليه من المروءة والشفقة، ولما كان متمسكا بدينه تزوج غيرها بعد أن قرر الأطباء عدم شفائها وخصص لها خادمة وكان يخدمها بنفسه وقد طال مرضها وبقيت على هذه الحال إلى أن توفيت.

٢ – امتناع الرجل عن الاتصال بزوجته مدة الوضع والنفاس وما ينالها بسبب ذلك من ا لآلام والضعف.

٣ – جاذبية المرأة وجمالها وتأثيرها في الرجل مع قدرته على التعدد من الوجهة الجسمانية والمالية.

٤ – بلوغ الزوجة سن الشيخوخة.

٥ – عقم المرأة مع رغبة الرجل في الذرية.

٦ – الرغبة في كثرة النسل رغبة في النفوذ والجاه.

٧ – الأسباب الاقتصادية فإن النساء والأولاد يساعدون الرجل في عمله وهذا مشاهد في البلاد الزراعية كالقطر المصري، وقد يضطر الرجل أن يتزوج امرأة غنية بسبب سوء حالته المالية.

وقد كان تعدد الزوجات شائعا عند العرب ولم يكن في الجاهلية قانون يحدد عدد الزوجات، وقد أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمسك أربعا وفارق باقيهن".

قال الأستاذ جوستاف لوبون:". (١)

٥–" – إن الدين الإسلامي لما كان دينا عاما فقد أباح تعدد الزوجات قال تعالى ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ وذلك لضرورات اجتماعية وشخصية :

فأما الضرورات الإجتماعية فهو نقص عدد الرجال عن النساء بسبب قتل الرجال في ميادين الحرب . هذا ولم يستطع رؤساء الحكومات ولا علماء الإجتماع ولا المصلحون ولا المؤتمرات الدولية منع الحروب . فقد نشبت الحرب العالمية وذهب ضحيتها الملايين من النفوس البشرية وها هي تستعد الآن للحرب أخذا بالثأر وطمعا في التوسع والاستعمار وتنشئ الطيارات والأساطيل والمدافع وقد فشل مؤتمر نزع السلاح

ولا تزال القبائل في إفريقية وأمريكا وآسيا تشن الغارات ويقتل عدد كبير من رجالها . ونتيجة هذه الحروب والغارات نقص عدد الرجال عن النساء نقصا يقدر بحسب فظاعتها

ونقص الرجال عن النساء خصوصا إذا كان النقص عظيما ضار بالأمة من جملة وجوه منها نقص الثروة لقلة الأيدي العاملة وضعف قوتها من الوجهة الحربية وتعرضها لغارات المغيرين ومطامع الطامعين من الأمم القوية فلا يعيد مثل هذه الأمة التي أصيبت بنقص رجالها إلى قوتها وكثرة مواليدها إلا تعدد الزوجات

(١) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٥٥/٢

وقد كتب العالم الإنكليزي هربرت سبنسر في كتاب أصول علم الإجتماع : " إذا طرأ على الأمة حالة اجتاحت رجالها بالحروب ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة وبقيت نساء عديدات بلا أزواج ينتج من ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة ولا يكون عددهم مساويا لعدد الوفيات فإذا تقابلت أمتان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية وكانت إحداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد فلا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نسائها وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمم المعددة للزوجات "

ثم أن زيادة عدد النساء بلا أزواج مدعاة لانتشار الفسق والفجور والفاقة ولا شك أن إباحة تعدد الزوجات للقادرين عليه علاج لكل ما تقدم

فأما الضرورات الشخصية فمعلوم أن الزنا محرم شرعا فلو أن الإسلام حرم التعدد لضاقت السبل أمام المتدين الذي يعبد الله ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه لأن هناك ظروفا شتى قاهرة تضطر الإنسان إلى الزواج بغير امرأة واحدة نذكر منها :

– ١ – مرض الزوجة مرضا مزمنا يجعل الزوج ينفر منها بحيث يجعلها غير صالحة للملامسة والتمتع وليس لها من يعولها إذا طلقها ولا تستطيع الكسب ولا يمكن أن تتزوج بغيره **فليس من المروءة** والإنسانية طلاقها ولا تستطيع الكسب ولا يمكن أن تتزوج بغيره **فليس من المروءة** والإنسانية طلاقها وليس من الحكمة منعه من التزوج لئلا يتعطل نسله أو تميل به الشهوات الطبيعية إلى الزنا (١) وقد حدث مثل ذلك بالضبط لأحد الصالحين وكان قاضيا بالمحاكم الأهلية رحمه الله تعالى فإنه بعد أن تزوج بمدة يسيرة أصيبت زوجته بالشلل فكانت حالتها منفرة ولا تستطيع الحركة ولا تناول الطعام بنفسها وليس لها من يعولها غذ طلقها بل يستحيل عليه ذلك لما جبل عليه من المروءة والشفقة . ولما كان متمسكا بدينه تزوج غيرها بعد أن قرر الأطباء عدم شفائها وخصص لها خادمة وكان يخدمها بنفسه وقد طال مرضها وبقيت على هذه الحال إلى أن توفيت

– ٢ – امتناع الرجل عن الاتصال بزوجته مدة الوضع والنفاس وما ينالها بسبب ذلك من الآلام والضعف

– ٣ – جاذبية المرأة وجمالها وتأثيرها في الرجل مع قدرته على التعدد

– ٤ – بلوغ الزوجة سن الشيخوخة

– ٥ – عقم المرأة مع رغبة الرجل في الذرية

– ٦ – الرغبة في كثر النسل رغبة في النفوذ والجاه

– ٧ – الأسباب الاقتصادية فإن النساء والأولاد يساعدون الرجل في الزراعة وهذا مشاهد في البلاد الزراعية كالقطر المصري وقد يضطر الرجل أن يتزوج امرأة غنية بسبب سوء حالته المالية

وقد كان تعدد الزوجات شائعا عند العرب ولم يكن في الجاهلية قانون يحدد عدد الزوجات وقد أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم " أمسك أربعا وفارق باقيهن "

قال الأستاذ جوستاف لوبون :

إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام من أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به وأوثقها للأسرة عقدا وأشدها لأسرتها أزرا وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأنا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية

وقال " ولست أدري على أي قاعدة يبني الأوربيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام نظام تعدد الزوجات عن نظام التفرد المشوب بين الأوربيين بالكذب والنفاق ؟

على حين أرى هنالك أسبابا تحملني على ايثار نظام تعدد الزوجات على ما سواه . وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الشرقيين الذين ينتجعون إلينا وينتقلون بين مدائننا يحارون من قسوتنا في الحكم على نظام تعدد الزوجات فيهم (٢)

وقد حبذ شو بنهور الفيلسوف الألماني تعدد الزوجات فقال :

أما آن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حسنة حقيقية لنوع النساء بأسره ؟

قال ذلك بعد أن شرح مضار الاقتصار على زوجة واحدة فمما قال " في مدينة لندرة وحدها ثمانون الف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ونتيجة تعنت السيدة الأوربية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل "

وقال : " إذا رجعنا إلى أصول الأشياء وحقيقتها لا نجد سببا يمنع الرجل من التزوج بثانية إذا أصيبت امرأته بمرض مزمن تألم منه أو كانت عقيما أو أصبحت على توالي السنين عجوزا "

إن الرجل المتزوج في الأمم المسيحية التي لا تبيح تعدد الزوجات لا يقتصر في الحقيقة على امرأة واحدة بل نراه يتخذ كثيرا من الخليلات ويبيح لنفسه التمتع بمن أحب منهن . فإذا أبدى رأيه أو كتب في موضوع الزواج طعن على تعدد الزوجات ورمى المسلمين بالهمجية والتعدي على حقوق الزوجة وزعم أنهم شهوانيون . ولذلك قال الأستاذ لوبون عن نظام تفرد " الزوجة " بين الأوربيين أنه مشوب بالكذب والنفاق . . . . وصرح بذلك أيضا شوبنهور فقال :

أين لنا بمن يقتصر حقيقة [على ؟ ؟] زوجة واحدة بل لا ننكر أننا في بعض أيامنا أو في معظمها كلنا أو جلنا نتخذ كثيرا من النساء

على أن الشريعة الإسلامية كما هو واضح من نص القرآن الكريم لم تبح تعدد الزوجات بلا قيد ولا شرط بل اشترطت العدل . قال تعالى : ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ والمعنى إن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فاكتفوا بزوجة واحدة ﴿ ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ والمعنى ذلك أقرب من أن لا تعولوا أي لا تجوروا ولا تميلوا

والذي يؤخذ من مجموع نصوص القرآن والسنة أن الزوج يعتبر آثما إذا تزوج على امرأته لمجرد الإضرار بها (٣) قال تعالى ﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾

---

(١) كتاب المختارات الفتحية في التشريع وأصول الفقه للأستاذ أحمد أبي الفتح بك الطبعة الرابعة صفحة ٢٠

(٢) راجع الجزء الثاني من كتاب المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها تأليف الأستاذ عفيفي ص ٦٩ و ٧١
(٣) المختارات الفتحية ص ٢٠ ". (١)

٦-"ولذلك فإنه لما أبغض بعض الناس بعض التشريعات بغضا دينيا جعل الله ذلك منهم ردة وخروجا عن الإسلام ولم يقل الحب والبغض شعور يهجم على القلب لاحيلة له فيه! كما قال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) [محمد:٩]

وأما قول بعضهم (بعض الكفار يحسنون إلينا، فكيف نكرههم وهم يحسنون إلينا، ولايوجد إنسان سوي إلا وهو يحب من أحسن إليه، ويجد ذلك في نفسه ضرورة).فهؤلاء المعترضين بمثل ذلك لم يتفطنوا إلى أن الحب هو حصيلة أفعال المحبوب، والبغض هو حصيلة أفعال المبغوض، فهذا الكافر أحسن إليك بمال أو هدية أو ابتسامة لكنه أساء إلى ربك بالكفر، وربك أغلى عليك من نفسك، ولذلك فإساءته لك أعظم أضعافا مضاعفة من إحسانه المادي إليك، إلا إن كانت نفسك أغلى عليك من ربك وخالقك، وصرت ترى أن من أساء إليك فهو مستحق للبغض، لكن من أحسن إليك واساء لخالقك فهو مستحق للحب، فقائل هذا قد جعل نفسه أعظم من الله ولاحول ولاقوة إلا بالله، وإلى هذا المعنى أشار السبكي إشارة بديعة للغاية حين قال في فتاواه:

(والذي يظهر أن النفوس الطاهرة السليمة لا تبغض أحدا ولا تعاديه إلا بسبب، إما واصل إليها، أو إلى من تحبه أو يحبها، ومن هذا الباب عداوتنا للكفار بسبب تعرضهم إلى من هو أحب إلينا من أنفسنا) [انظر فتاوى السبكي،٢/ ٤٧٦]

فمن اعترض بالقول **أنه ليس من المروءة أن** أبغض كافرا أحسن إلي؟ فيقال له: **بل ليس من المروءة أن** تحب كافرا أساء لخالقك لمجرد أنه رشاك بلعاعة من الدنيا، فخالقك قد أحسن إليك أضعاف أضعاف ما يقدمه لك هذا الكافر، بل لانسبة للنعم التي أعطاك إياها خالقك ولعاعة الدنيا التي أعطاك إياها هذا الكافر.

وعلى أية حال فإن من يستحضر أن هذا الكافر يسئ إلى الله بجحد إلهيته أو نبوة محمد ولم يهجم على قلبه بغضه قلبيا فهذا يعني أنه قلب ميت، فليبك على قلبه، فإن القلب الحي لايرضى بأن يساء لخالقه ومولاه، إلا إن كان يعتبر الكفر وجهة نظر شخصية لاتغضب الله!". (٢)

"الموحش

والموحش: هو رب المنزل الذي يحرد على غلمانه، أو يهدد الطباخ، أو يضرب في داره جارية أو غلاما عند اجتماع ندمائه أو حضور مائدتهم.

---

(١) محمد رسول الله ص/٥٩٢

(٢) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة ص/٤٤٩

المتشكي

والمتشكي: هو رب المنزل إذا اشتكى السنة وغلاء الأسعار، واعتذر إلى ضيفه بشدة ضيقه؛ وأقبح ذلك ما يكون في حال الأكل أو قبله. حكى أبو العيناء، قال: استضفت بعض العرب، وكانت سنة مجدبة، فاعتذرت إليه، وذكرت غلاء الأسعار، وأكثرت من ذلك، فرفع يده، **وقال: ليس من المروءة أن** يذكر غلاء الأسعار للأضياف عند حضور الطعام، فاعتذرت إليه، وناشدته الله أن يأكل، فلم يفعل، ورحل من الغد.

المستأذن

والمستأذن: هو الذي يستأذن ضيفه في إحضار الطعام كما قال أبو العلاء:

لا تسأل الضيف إن أطعمته ظهرا... بالليل هل لك في بعض القرى أرب." (١)

"من ثقيف: ما المروءة قال الصلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس وصلة الرحم. فقال هكذا هي عندنا في حكمة آل داود» تذاكروا المروءة عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «أما مروءتنا فأن نغفر لمن ظلمنا، ونعطي من حرمنا. ونصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا» سئل عبد الله بن عمر عن المروءة فقال: العفاف وإصلاح المال.

سأل معاوية الحسن بن علي عن المروءة والكرم والنجدة، فقال: أما المروءة فحفظ الرجل نفسه، وإحرازه دينه وحسن قيامه بصنعته، وترك المنازعة، وإفشاء السلام. وأما الكرم فالتبرع بالمعروف، وإعطاؤك قبل السؤال، وإطعام في المحل، وأما النجدة فالذب عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام على الكريهة قال طلحة بن عبيد الله جلوس الرجل ببابه من المروءة **وليس من المروءة** حمل الكيس في الكم.

وسئل الأحنف، عن المروءة فقال التفقه في الدين وبر الوالدين والصبر على النوائب، ويروى عن الأحنف قال: لا مروءة لكذوب، ولا إخاء لملول، ولا سؤدد لسيئ الخلق. سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة فقال اجتناب الريب وإصلاح المال والقيام بحوائج الأهل.

وقال الزهري أيضا: الفصاحة من المروءة وقال إبراهيم **النخعي ليس من المروءة كثرة** الالتفات في الطريق وقال غيره من كمال المروءة أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتقيل في منزلك.

وذكرت الفتوة عند سفيان الثوري فقال: ليست الفتوة بالفسق ولا الفجور، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد طعام موضوع، وحجاب مرفوع ونائل مبذول وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.." (٢)

"قال ابن عمر: لقد رأيتنا وما أحدنا بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم.

وقال الحسن: كنا نعد البخيل الذي يقرض أخاه!

---

(١) آداب المواكلة الغزي، أبو البركات ص/٥٢

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/ ٢٢٠

وقال: ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه.
وقال أبو جعفرالباقر لأصحابه: هل يدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ منه ما يريد؟ قالوا: لا. قال: فلستم بإخوان.
وقد كان بعضهم يتلطف في إيصال البر إلى إخوانه فيأتي بالصرة فيها الأربعمائة والخمسمائة فيودعها أحدهم ثم يلقاه بعد فيقول: انتفعوا بها فهي لكم.
وعلى هذا لا ينبغي للأخ أن يجحف بأخيه فيما يأخذ منه وإن علم أنه لا كلفة عليه في ذلك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر زمن الهجرة: قد علفت ناقتين فخذ إحداهما فقال: بالثمن.
هيهات! رحل الإخوان وأقام الخوان، وقل أن ترى في الزمان إلا من إذا دعي مان.......
)

الكلام على البسملة)
(أجد الديار كما عهدت وإنما ... شكواي أني أفقد الجيرانا)
(يا وحدتي ما أكثر الإخوان لي ... نظرا وأكثر فيهم الخوانا!)
(في كل مطرح نظرة حولي أخ ... صنو إذا هز الغنى الأفنانا)
(راع معي أبدا فإن هي أعجفت ... إبلي تقلب أو يعدن سمانا)
(أشريه من خفض المعيشة غاليا ... ويبيعني في ضنكها مجانا)
(ألقاهم عدد الكواكب كثرة ... حولي وألقى وحدي الحدثانا)
إخواني: إن البخل والجهل للقلوب قد خالط، فما يعرف من يخالط.
كان السلف يتعاشرون بنزع الغل على مناصحة النفوس، فصارت عشرة." (١)

"وأخرج الحاكم: «ما بين السرة والركبة عورة» . وسموية. «عورة المؤمن ما بين سرته إلى ركبته» . والدارقطني والبيهقي: «ما فوق الركبتين من العورة وما أسفل السرة من العورة» . والطبراني: «فخذ المرء المسلم من عورته» . والحاكم: «غط فخذك فإن الفخذ عورة» . والترمذي: «الفخذ عورة» ، وأحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم «يا جرهد غط فخذك فإن الفخذ عورة» . وأبو داود وابن ماجه والحاكم: «لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت» . والحاكم: «عورة الرجل على الرجل كعورة المرأة على الرجل، وعورة المرأة على المرأة كعورة المرأة على الرجل» .
تنبيه: مقتضى ما مر من أحاديث «فإن الله يمقت على ذلك» أي كشف العورة، إذ الكلام مباح فلا يترتب المقت عليه.
وما مر في أحاديث دخول الحمام يشهد لما ذكرته من أن كشف العورة الصغرى أو الكبرى بحضرة غير زوجته أو أمته التي تحل له كبيرة. وبه صرح من أصحابنا إبراهيم بن محمد العتبي حيث قال: كشفها فسق بين الناس، المغلظة – أي وهي السوأتان – والمخففة في الحمام وغيرها، وكلام الشافعي – رضي الله عنه – يقتضيه، ففي طبقات العبادي أن

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٢/٢٧٨

المزني روى عن الشافعي: أنه قال في رجل في الحمام يرى مكشوفا: إنه لا تقبل شهادته، فإن الستر فرض انتهى. وكذا حكاه التوحيدي في البصائر عن رواية المزني وقال بدل مكشوفا السابق مكشوف العورة، وقضيته أنه يفسق بالمرة الواحدة من ذلك وهذا شأن الكبيرة، ويوافق ذلك ما في أدب القضاء للحسن بن أحمد الحداد البصري أدرك أصحاب ابن شريح أن زكريا الساجي قال: لا تجوز شهادة من دخل الحمام بغير مئزر أو وقع في نهر بغير مئزر، ونقله أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف السختياني عن المزني عن الشافعي نصا. ثم قال الحداد إن زكريا قال يشبه أن يكون ذلك وإن لم يحضره من يرى عورته لأنه ليس من المروءة، وصوبه الحداد وقال هو مسقط للمروءة وإن لم يكن معصية انتهى. وصرح ابن سراقة في أدب الشاهد بأنه مسقط للشهادة غير أنه قيد ذلك بما إذا كشفها من غير ضرورة ولا بد منه، وفي فتاوى الشاشي كشف العورة في الحمام يقدح." (١)

"حدثنا محمد بن إدريس حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي عن أحمد بن بشير عن هشام عن الحسن قال ليس من المروءة الربح على أخيك

٤٠- أخبرنا محمد حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن سليمان بن عبد الله أنه قال وقف رجل من بني سعد مناة يقال له ... بن قيس هو وأصحابه ... على دغفل رجل من شيبان وذلك في الجاهلية فقال دغفل من القوم قال خيار مضر قال قريش أهل المروءة والقدم و ... والكرم وعامرة أكرم قال لا قال فغطفان أياما وأعظمها أحلاما وأسرعها إقداما قال لا قال فبنو حنظلة أرقها خدودا وأعظمها وفودا وخيرها جدودا قال لا قال فبنوا عامر أوسعها محاسن وأعظمها مجالس وخيرها ... قال لا قال فبنو عامر أوسعها محاسن وأعظمها مجالس وخيرها قال لا قال فلست من خيار مضر." (٢)

"ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام.

١٠١- أخبرنا محمد، حدثنا احمد بن بشير، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: ليس من المروءة النظر إلى مرآة الحجام.

١٠٢- أخبرنا محمد، حدثنا أبو جعفر اليمامي، حدثنا ابو الحسن المدائي قال: قال إبراهيم النخعي: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق، ولا سرعة المشي.

١٠٣- أخبرنا محمد، حدثنا أبو جعفر اليمامي، حدثنا أبو الحسن المدائني، أو عن شيخ من بكر بن وائل قال: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: -

تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلملوا النسب، قرب رحم مجهولة قد وصلت بنسبها.

١٠٤- أنشد الأصمعي لبعض الأعراب:." (٣)

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ١/٢١٥

(٢) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/٤٧

(٣) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/٧٨

"وفي رواية اخري: ان معاوية قال في مجلسة يوما لمن حرة من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة؟

فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة – وكان بعج عفوة عنة يحضر مجلسة – قال: يا امير المؤمنين، اما المروءة فالصلاح في الدين، والاصلاح في المال، والمحاماة عن الجار.

واما النجدة فالجراة علي الاقدام، والصبر عند ازورار الاقدام.

. قال طلحة بن عبيد الله:

جلوس الرجل ببابة من المروءة. وليس من المروءة حمل الكيس في الكم.

. سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة فقال:

اجتناب الريب، واصلاح المال، والقيام بحوائج الاهل.

. وقال الزهري ايضا:

الفصاحة من المروءة.

. وقال بعضهم:

من كمال المروءة ان تصرن عرضك، وتكرم اخوانك، وتقيل في منزلك.." (١)

"رأيت المعاصي نذالة، فتركتها مروءة، فاستحالت ديانة!.

. عن سلم بن قتيبة قال: كنت عند ابن هبيرة، فجري الحديث، حتي ذكروا العربية، فقال: والله ما استوي رجلان حسبهما واحد ومروءتهما واحدة، احدهما يلحن والاخر لا يلحن، الا ان افضلهما في الدنيا والاخرة الذي لا يلحن.

فقلت: اصلح الله الامير، هذا افضل في الدنيا لفضل فصاحتة وعربيتة، ارايت الاخرة ما بالة فضل فيهما؟.

قال: انة يقرا كتاب الله علي ما انزل، والذي يلحن يحملة لحنة علي ان يدخل في كتاب الله ما ليس فية، ويخرج منة ما هو فية.

فقلت: صدق الامير وبر

. وقال ابو جعفر المنصور (الخلفية العباسي) :

الخلفية لا يصلحة الا التقوي، والسلطان لا يقيمة الا الطاعة، والرعية لا يصلحها الا العدل، واولي الناس بالعفو اقدرهم علي العقوبة، وانقض الناس مروءة وعقلا من ظلم من هو دونة.

. وقع الواثق بالله (الخليفة) الي علي بن هاشم وقد شكاة غريم لة : ليس من المروءة ان تكون انيتك من ذهب وفضة، ولكن المروءة ان لا يكون غريمك عاويا، ولا جارك طاويا.." (٢)

"هذة واي حسرة تزيد عليها وقال ابوقلابة ليس من المروءة ان يريح الرجل على صديقة وروي ابن عائشة عن ابية قولة كان يقال مجالسة اهل الديانه تجلو من الغلب صداالذنوب ومجالسة ذوي المروءات وتدل على مكارم الاخلاق

---

(١) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/١٠٧

(٢) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/١١٠

ومجالسة العلماء تذكي القلوب قال معاوية بن أبي سفيان افه المروءة اخوان السوء قال ابن حبان الواجب على العاقل تفقد الاسباب المستحقرة عند العوام من نفسة حتى لايتلم مروءته فان المحقرات من ضد المروءات تؤذي الكامل في حال بالرجوع في القهقرى الى مراتب العوام واوباش الناس

قال ابن عباس رضي عنهما من قلة مروءة الرجل نظرة في بيت الحانك وحملة الفلوس في كمه وقال قتادة رحمة الله ما احد كان اكمل مروءة من الحسن البصري." (١)

"وعفوه عن كل من ... أسخطه أو ظلمه

وبره بنفسه ... وماله من حرمه

فما يراه معظم ... للحق إلا أعظمه

أبقى عليه الله ما ... أبقاه فينا نعمه

وزاد فيها عنده ... وحاطه وسلمه

من حديث عطاء عن ابن عباس، قال: رفع إلى عمر بن الخطاب رجل في جرم، فأراد أن يعاقبه، فأخبر أن له مروءة، فقال: استوهبوه من صاحبه.

سئل عبد الله بن عمر، عن المروءة والكرم والنجدة. فقال: أما المروءة: فحفظ الرجل نفسه، وإحرازه دينه، وحسن قيامه بصنعته، وحسن المنازعة، وإفشاء السلام، وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل. وأما النجدة: فالذب عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام على الكريهة.

وفي رواية أخرى، أن معاوية قال في مجلسه يوما لمن حضره: من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة، وكان بعده عفوه عنه يحضر مجلسه: قال: يا أمير المؤمنين! أما المروءة فا لصلاح في الدين، والإصلاح في المال، والمحاماة عن الجار. وأما النجدة فالجرأة على الإقدام، والصبر عند ازورار الأقدام.

قال طلحة بن عبيد الله: جلوس الرجل ببابه من المروءة، **وليس من المروءة** حمل الكيس في الكم.

سئل الأحنف عن المروءة، فقال: التفقه في الدين، وبر الوالدين، والصبر على النوائب.

ويروى عن الأحنف أيضا أنه قال: لا مروءة لكذوب، ولا أخ لملول، ولا سؤدد لسيئ الخلق.

سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة، فقال: اجتناب الريب، وإصلاح المال، والقيام بحوائج الأهل.

سئل إياس بن معاوية عن المروءة، فقال: أما حيث تعرف فالتقوى، وأما حيث لا تعرف فاللباس.

وقال الزهري أيضا: الفصاحة من المروءة.

قال إبراهيم **النخعى: ليس من المروءة كثرة** الالتفات في الطريق.

قال غيره: من كما المروءة أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك، وتقيل في منزلك.

قال منصور الفقيه:

---

(١) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/١١٧

من فارق الصبر والمرو ... ءة أمكن من نفسه عدوه

قال ربيعة بن عبد الرحمن: للسفر مروءة، وللحضر مروءة. فالمروءة في السفر: بذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مساخط الله. المروءة في الحضر: إدمان الاختلاف إلى المساجد، وتلاوة القرآن، وكثرة الإخوان في الله عز وجل.

وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال: المروءة ست خصال: ثلاث في الحضر، وثلاث في السفر، فأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، ومداعبة الرفيق. وأما التي في الحضر، فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد، وعفاف الفرج.

قيل لبعض الحكماء: من يجب لذى المروءة إخفاء نفسه وإظهارها؟ قال: على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكسادها.

كان يقال: صن عقلك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، وبجدتك بترك الحياء، وجهدك بالإجمال في الطب.

أخبرنا عيسى بن سعيد، حدثنا مقسم، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان،حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب، عن عبد يزيد بـن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف، قال: حدثني عمي عن إبراهيم بن محمد بن العباس، قال: سمعت سفيان بن عيينة، وقد سئل عن المروءة ماهي؟ فقال: الأنصاف من نفسك، والتفضل على غيرك، ألم تسمع قول الله تعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " لاتتم المروءة إلا بهما، العدل هو الإنصاف، والإحسان التفضل.

روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال: الكامل من بر والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسن خلقه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسن لسانه، ولزم بيته.

قال الشاعر:

إذا الفتى جمع المروءة والتقى ... وحوى مع الأدب الحياء فقد كمل

قال رجل من بني قريع:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

قال جعفر بن محمد: لا هين لمن لا مروءة له.

قال أحمد بن العدل: زعموا أن الأحنف بن قيس لم يسمع له شعر غير هذين البيتين، وهما:

فلو مد سروى بمال كثير ... لجدت وكنت له باذلا." (١)

"الإهراع هو مشي بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجمز ومن قبل يعنى ومن قبل مجيء الرسل إليهم قيل ومن قبل مجيئهم إلى لوط كانوا يعملون السيئات يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي إتيان الرجال في أدبارهم قال يعني: قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان من بني آدم يا قوم هؤلاء بناتي يعني أزوجكم إياهن وقى أضيافه ببناته قيل إنه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة تزويج المرأة المسلمة بالكافر، وقال الحسن بن الفضل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: أراد ببناته نساء قومه وأضافهن إلى نفسه لأن

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٣٩

كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح وأشبه بالصواب إن شاء الله تعالى والدليل عليه أن بنات لوط كانتا إثنتين وليستا بكافيتين للجماعة **وليس من المروءة** أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن إياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الأنبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل إنما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله هن أطهر لكم سؤال وهو أن يقال أن قوله هن أطهر لكم من باب أفعل التفضيل فيقتضي أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن أطهر لكم والجواب عن هذا السؤال إن هذا جار مجرى قوله ذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قال يوم أحد اعل هبل قال الله أعلى وأجل إذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم وإنما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة.

وقوله فاتقوا الله يعني خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون في ضيفي يعني ولا تسوءني في أضيافي ولا تفضحوني معهم أليس منكم رجل رشيد أي صالح سديد عاقل، وقال عكرمة: رجل يقول لا إله إلا الله، وقال محمد بن إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا بأزواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه مالنا في بناتك من حاجة لأنك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الإيمان ولا نريد ذلك وإنك لتعلم ما نريد يعني من إتيان الرجال في أدبارهم فعند ذلك قال لوط عليه السلام لو أن لي بكم قوة أي لو أني أقدر أن أتقوى عليكم أو آوي إلى ركن شديد يعني أو أنضم إلى عشيرة يمنعوني منكم، وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لوجدت عشيرة لانضممت إليهم قال أبو هريرة: ما بعث الله نبيا بعده إلا في منعة من عشيرته (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته» قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله: المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها ومعنى الحديث أن لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد خزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوي إلى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط إظهار العذر عند أضيافه وأنه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف إن شاء الله تعالى، قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط بسببهم.." (١)

"ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي ... احتل لنفسك أيها المحتال ... فمن المروءة أن يرى لك مال

كم ناطق وسط الرجال وإنما ... عنهم هناك تكلم الأموال ...

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٤٩٦

قال أبو حاتم رضي الله عنه الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر عليه ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال فمن رزق ذلك وضن بإنفاقه في إقامة مورءته فهو الذي خسر الدنيا والآخرة ولا آمن أن تفجأه المنية فتسلبه عما ملك كريها وتودعه قبرا وحيدا ثم يرث المال بعد من يأكله ولا يحمده وينفقه ولا يشكره فأي ندامة تشبه هذه وأي حسرة تزيد عليها

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي ... يا جامع المال في الدنيا لوارثه ... هل أنت بالمال قبل الموت منتفع

قدم لنفسك قبل الموت في مهل ... فإن حظك بعد الموت منقطع ...

أنبأنا المفضل بن محمد الجندي بمكة حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال ثلاثة ليست من المروءة الأكل في الأسواق والادهان عند العطار والنظر في مرآة الحجام

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي **قال ليس من المروءة النظر** في مرآة الحجام

حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمي ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب قال سمعت أبا قلابة **يقول ليس من المروءة أن** يربح الرجل على صديقه

وأنشدني البسامي ... اعلم بأنك لا أبالك في الذي ... أصبحت تجمعه لغيرك خازن

إن المنيه لا تؤامر من أتت ... في نفسه يوما ولا تستأذن ...

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال كان." (١)

"وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل. وعن ابي الوليد الجارودي قال سمعت الشافعي يقول لو علمت ان الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته.

وعن الربيعي قال سال رجل الشافعي عن سنه **قال ليس من المروءة ان** يخبر الرجل بسنه سال رجل مالكا عن سنة فقال اقبل على شانك.

قال لنا ابو بكر بن ابي طاهر وجدت في هذه الحكاية زيادة من رواية **اخرى: ليس من المروءة ان** يخبر الرجل بسنه لانه ان كان صغيرا استحقروه وان كان كبيرا استهرموه.

وعنه قال كان الشافعي قد جزا الليل ثلاثة اجزاء الثلث الاول يكتب والثلث الثاني يصلي والثلث الثالث ينام.

وعنه قال كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة: ابو بكر النيسابوري قال سمعت الربيع يقول كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفي رمضان ستني ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة.

وعن نهشل بن كثير عن ابيه قال دخل الشافعي يوما الى بعض حجر هارون الرشيد ليستاذن له ومعه سراج الخادم اقعده عند ابي عبد الصمد مؤدب اولاد هارون الرشيد.

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/٢٣٣

فقال سراج للشافعي يا ابا عبد الله هؤلاء اولاد امير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو اوصيته بهم فاقبل عليه فقال ليكن اول ما تبدا به من اصلاح اولاد امير المؤمنين اصلاحك نفسك فان اعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر اعفه ومن الحديث اشرفه ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.

وقال الحميدي قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون الف دينار فضرب خيمته خارجا من مكة فما قام حتى فرقها كلها.

وعن المزني قال سمعت الشافعي يقول من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله.

وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول لن يجفو فعل من يصفو.

وعنه قال سمعت الشافعي يقول وساله رجل عن مسالة فقال روي فيها كذا وكذا عن." (١)

"فأخبرناه بما أنشدنا ابن المعتز في السر، فاستوقفنا ثم أطرق مليا ثم قال سمعوا قولي:

وما السر في صدري كثاو بقبره ... لأني أرى المقبور ينتظر النشرا

ولكنني أنساه حتى كأنني ... بما كان منه لم أحط ساعة خبرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه ... عن السر والأحشا لم يعلم السرا

وقال علي عليه السلام: شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة، وألجأك إلى اعتذار، وقال أيضا: شر الأصدقاء من تكلف له، وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له ما لا يفعله كل واحد منهما في منزله، فيحشمه ذلك من الرجوع إليه، وروينا عن عائشة رضي الله عنها: المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحشمه، وروينا في الانبساط إلى الإخوان شيئا استظرفته ولولا أنه جاء عن إمام ما ذكرته، حدثنا الحرث بن محمد عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: أهدي لهشام فرو كثير الثمن فقال: اذهب بها إلى سعيد الجوهري فقل له: هذه فرو جاء به هشيم اشترها له قال: فذهب بها إليه فاشتراها، ثم بعث بها إلى هشيم فصارت له ودراهمها، وقال علي بن المديني: قال أحمد بن حنبل: إني أحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعني من ذلك إلا أني أخاف أن أملك أو تملني، لأنه يقال إن ملل الإخوان ليس من أخلاق الكرام وقال مكحول: قلت للحسن إني أريد الخروج إلى مكة فقال: لا تصحبن رجلا يكرم عليك فينقطع الذي بينك وبينه، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: يستحسن الصبر عن كل شيء إلا عن الصديق، وقال: أستحب للمتواخين في الله عز وجل أن يلتقيا في كل يوم مرتين وقال أنس بن مالك: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتماشون، فإذا استقبلهم صخرة أو أكمة فرقت بينهم فالتقوا من ورائها، سلم بعضهم على بعض، وقال الحسن وأبو **قلابة: ليس من المروءة أن** يربح الرجل على صديقه، وقال ابن سيرين لا تكرم أخاك بما يشق عليه.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره، وخرج ابن المبارك في سفر، فصحبه قوم فقال لهم: إن أنكر أحد منكم شيئا فليخبرني، فلما أرادوا أن

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ١/٤٣٧

يتفرقوا قال لهم: هل أنكرتم مني شيئا فقال شاب منهم: أنا قال: وما أنكرت قال: لم أرك تستاك فقال: ويحك وهل يستاك الرجل بين يدي صديقه، وكان بشر بن الحارث يقول: لا تخالط من الناس إلا حسن الخلق فإنه لا يأتي إلا بخير، ولا تخالط سئ الخلق فإنه لا يأتي إلا بشر، وقال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرضى فهو شيطان، وقال عمرو بن دينار: زهدك في راغب فيك نقص حظ، ورغبتك في زاهد فيك ذل." (١)

"-إن الدين الإسلامي لما كان دينا عاما فقد أباح تعدد الزوجات قال تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ وذلك لضرورات اجتماعية وشخصية:

فأما الضرورات الإجتماعية، فهو نقص عدد الرجال عن النساء بسبب قتل الرجال في ميادين الحرب. هذا ولم يستطع رؤساء الحكومات ولا علماء الإجتماع ولا المصلحون ولا المؤتمرات الدولية منع الحروب. فقد نشبت الحرب العالمية وذهب ضحيتها الملايين من النفوس البشرية وها هي تستعد الآن للحرب أخذا بالثأر، وطمعا في التوسع والاستعمار وتنشئ الطيارات والأساطيل والمدافع وقد فشل مؤتمر نزع السلاح.

ولا تزال القبائل في إفريقية وأمريكا وآسيا تشن الغارات ويقتل عدد كبير من رجالها. ونتيجة هذه الحروب والغارات نقص عدد الرجال عن النساء نقصا يقدر بحسب فظاعتها.

ونقص الرجال عن النساء خصوصا إذا كان النقص عظيما ضار بالأمة من جملة وجوه منها نقص الثروة لقلة الأيدي العاملة وضعف قوتها من الوجهة الحربية وتعرضها لغارات المغيرين ومطامع الطامعين من الأمم القوية فلا يعيد مثل هذه الأمة التي أصيبت بنقص رجالها، إلى قوتها وكثرة مواليدها إلا تعدد الزوجات.

وقد كتب العالم الإنكليزي هربرت سبنسر في كتاب أصول علم الإجتماع: "إذا طرأ على الأمة حالة اجتاحت رجالها بالحروب ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة وبقيت نساء عديدات بلا أزواج ينتج من ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة ولا يكون عددهم مساويا لعدد الوفيات فإذا تقابلت أمتان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية وكانت إحداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد فلا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نسائها وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمم المعددة للزوجات".

ثم أن زيادة عدد النساء بلا أزواج مدعاة لانتشار الفسق والفجور والفاقة ولا شك أن إباحة تعدد الزوجات للقادرين عليه علاج لكل ما تقدم.

فأما الضرورات الشخصية، فمعلوم أن الزنا محرم شرعا فلو أن الإسلام حرم التعدد لضاقت السبل أمام المتدين الذي يعبد الله ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه لأن هناك ظروفا شتى قاهرة تضطر الإنسان إلى الزواج بغير امرأة واحدة نذكر منها:

-١- مرض الزوجة مرضا مزمنا يجعل الزوج ينفر منها بحيث يجعلها غير صالحة للملامسة والتمتع وليس لها من يعولها إذا طلقها ولا تستطيع الكسب ولا يمكن أن تتزوج بغيره **فليس من المروءة** والإنسانية طلاقها ولا تستطيع الكسب ولا

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٣٧٧

يمكن أن تتزوج بغيره **فليس من المروءة** والإنسانية طلاقها وليس من الحكمة منعه من التزوج لئلا يتعطل نسله أو تميل به الشهوات الطبيعية إلى الزنا (١) وقد حدث مثل ذلك بالضبط لأحد الصالحين وكان قاضيا بالمحاكم الأهلية رحمه الله تعالى فإنه بعد أن تزوج بمدة يسيرة أصيبت زوجته بالشلل فكانت حالتها منفرة ولا تستطيع الحركة ولا تناول الطعام بنفسها وليس لها من يعولها غذ طلقها بل يستحيل عليه ذلك لما جبل عليه من المروءة والشفقة. ولما كان متمسكا بدينه تزوج غيرها بعد أن قرر الأطباء عدم شفائها وخصص لها خادمة وكان يخدمها بنفسه وقد طال مرضها وبقيت على هذه الحال إلى أن توفيت.

-٢- امتناع الرجل عن الاتصال بزوجته مدة الوضع والنفاس وما ينالها بسبب ذلك من الآلام والضعف.

-٣- جاذبية المرأة وجمالها وتأثيرها في الرجل مع قدرته على التعدد.

-٤- بلوغ الزوجة سن الشيخوخة.

-٥- عقم المرأة مع رغبة الرجل في الذرية.

-٦- الرغبة في كثر النسل رغبة في النفوذ والجاه.

-٧- الأسباب الاقتصادية فإن النساء والأولاد يساعدون الرجل في الزراعة وهذا مشاهد في البلاد الزراعية كالقطر المصري وقد يضطر الرجل أن يتزوج امرأة غنية بسبب سوء حالته المالية.

وقد كان تعدد الزوجات شائعا عند العرب ولم يكن في الجاهلية قانون يحدد عدد الزوجات وقد أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمسك أربعا وفارق باقيهن".

قال الأستاذ جوستاف لوبون:

"إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام من أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به وأوثقها للأسرة عقدا وأشدها لأسرتها أزرا وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأنا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية".

وقال "ولست أدري على أي قاعدة يبني الأوربيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام نظام تعدد الزوجات عن نظام التفرد المشوب بين الأوربيين بالكذب والنفاق؟

على حين أرى هنالك أسبابا تحملني على ايثار نظام تعدد الزوجات على ما سواه. وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الشرقيين الذين ينتجعون إلينا وينتقلون بين مدائننا يحارون من قسوتنا في الحكم على نظام تعدد الزوجات فيهم (٢) .

وقد حبذ شو بنهور الفيلسوف الألماني تعدد الزوجات فقال:

"أما آن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حسنة حقيقية لنوع النساء بأسره؟ ".

قال ذلك بعد أن شرح مضار الاقتصار على زوجة واحدة فمما قال "في مدينة لندرة وحدها ثمانون الف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ونتيجة تعنت السيدة الأوربية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل".

وقال: "إذا رجعنا إلى أصول الأشياء وحقيقتها لا نجد سببا يمنع الرجل من التزوج بثانية إذا أصيبت امرأته بمرض مزمن تألم منه أو كانت عقيما أو أصبحت على توالي السنين عجوزا".

إن الرجل المتزوج في الأمم المسيحية التي لا تبيح تعدد الزوجات، لا يقتصر في الحقيقة على امرأة واحدة بل نراه يتخذ كثيرا من الخليلات ويبيح لنفسه التمتع بمن أحب منهن. فإذا أبدى رأيه أو كتب في موضوع الزواج طعن على تعدد الزوجات ورمى المسلمين بالهمجية والتعدي على حقوق الزوجة وزعم أنهم شهوانيون. ولذلك قال الأستاذ لوبون عن نظام تفرد "الزوجة" بين الأوربيين أنه مشوب بالكذب والنفاق.... وصرح بذلك أيضا شوبنهور فقال:

"أين لنا بمن يقتصر حقيقة [على؟؟] زوجة واحدة بل لا ننكر أننا في بعض أيامنا أو في معظمها كلنا أو جلنا نتخذ كثيرا من النساء".

على أن الشريعة الإسلامية كما هو واضح من نص القرآن الكريم لم تبح تعدد الزوجات بلا قيد ولا شرط بل اشترطت العدل. قال تعالى: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ والمعنى إن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فاكتفوا بزوجة واحدة ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ والمعنى ذلك أقرب من أن لا تعولوا أي لا تجوروا ولا تميلوا. والذي يؤخذ من مجموع نصوص القرآن والسنة أن الزوج يعتبر آثما إذا تزوج على امرأته لمجرد الإضرار بها (٣) قال تعالى ﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ .

(١) كتاب المختارات الفتحية في التشريع وأصول الفقه للأستاذ أحمد أبي الفتح بك الطبعة الرابعة صفحة ٢٠.

(٢) راجع الجزء الثاني من كتاب المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها تأليف الأستاذ عفيفي ص ٦٩ و ٧١.

(٣) المختارات الفتحية ص ٢٠.." [1]

٢-"٧٢، أماري ديب ملحق ص٣، ٢٥ دي ساسي ديب ١١: ٤٦).

عدة الفرس: سرجها (هلو، محيط المحيط).

عدة: سلاح المدفعية (ألكالا).

عدة مدافع: قافلة مدفعية.

عدة: حماية، وقاية، إغاثة، معاونة، مساعدة، نجدة. (عباد ١: ٢٤٧: ٢٧٠ رقم ٧٢).

عدة: جنود، كتائب الجند، ففي كليلة ودمنة (ص٦): يا ملك الهند ابرز إلينا وأبق على عدتك وعيالك ولا تحملهم على الفناء **فانه ليس من المروءة أن** يرمي الملك بعدته في المهالك المتلفة.

عدية: عد، إحصاء (بوشر).

عدية: كمية، مقدار (بوشر).

عدد: مقدار كبير. ففي عباد (١: ٤١): أمر له بدنانير عددا.

(١) محمد صلى الله عليه وسلم محمد رضا ٩١/٢

العدد الأول في مصطلح الحساب: ما لا يعده غير الواحد كالثلاثة والخمسة والسبعة ويسمى بسيطا فان عده غير الواحد كالأربعة فهو المركب (محيط المحيط).

علم العدد: علم من أصول الرياضي يبحث عن العدد وخواصه (محيط المحيط) والعدد فقط يدل على هذا المعنى (المقدمة ١: ٢١٨).

عدد: مبلغ من الدراهم (المقري١: ٤٧١، أماري ديب ص٩٢، وفيه عدد بكسر العين وهو خطأ).

عدد: ذكرها فوك كما ذكر عدة بمعنى المدة التي تقضيها المطلقة والمتوفى عنها زوجها دون زواج بعد طلاقها أو وفاة زوجها.

عددي: كمي، رقمي، نسبة إلى العدد (بوشر).

عددي: عالم بالحساب، خبير في علم الحساب (فوك).

عددية: عدا ونقدا (بوشر).

عددية. كشمير بمائة عددية: كشميرة قيمته مائة قرش نقدا (أغنية في صفة مصر ١٤: ١٦٣) عداد. حائر من عداد البحور: غدير كبير مثل البحر (تاريخ البربر ١: ٤١٣).

عداد: زكاة تجبي عن المواشي من القبائل العربية البدوية وغيرها (مملوك ١، ١: ١٨٩).

عديد: معناها الأصلي عدد كبير من الجند.

(انظر عباد: ١: ٢٦٠ رقم ٨) وتطلق على الجند (عباد ١: ٢٤٢، تاريخ البربر ١: ١٦٦، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٨٦، ابن خلدون طبعة نوربنرج ص١٠) عديد: عدة، كثير. (بوشر) وفي كتاب الخطيب (ص٢٢ ق): ولى القضاء بأماكن عديدة.

عديد= تعديد نوح على الميت. ففي ألف ليلة (١: ٤٩): فقعدت في حزن وبكى وعديد سنة كاملة (في طبعة برسل عويل) ألف ليلة ٣: ٢٥٦).

عداد: آلة عد، حاسبة. (فوك، صفة مصر ١٦: ٤٧٠ رقم ٢).

عداد: ضيف يعد بأصابعه عدد الأطعمة ويشير إليها بيده (دوماس حياة العرب ص٣١٤).

عاد: عند الحسابين كل عدد يعد عددا آخر أي يثنيه بالقسمة كأربعة مع ثمانية فإذا عد العدد اكثر من عدد يقال له العاد المشترك كالاثنين مع الأربعة والثمانية (محيط المحيط).

تعداد: كان كثير العدد (المقدمة ٣: ٣٥٦).

تعديد: في مصطلح البديع= تعديد الأوصاف وذلك حين يوصف شخص أو شيء، بعدد من الصفات مستقل بعضها عن الأخر (ميهرن بلاغة ص١٦٥، محيط المحيط).

معد: دفة تعد عليها الفلوس. (الكالا) (بوشر، محيط المحيك).

معددة: نائحة، امرأة تستأجر لتنوح على الميت وتعدد مناقبه (بوشر).

معدود: عدا ونقدا (بوشر).

متعدد: متنوع، مختلف، شتى، عدة.

(بوشر، عباد ١: ٢٣٠ رقم ٧٨).
استعدادي: مهيىء، مجهز (بوشر).

عليه السلام عدر:". (١)

٣-"نبذ مما قيل في المروءة
قد رويت هذه الكلمة مرفوعة ذكر ذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار وأحسن ما قيل في المروءة قولهم اللذة ترك المروءة والمروءة ترك اللذة . و
في الحديث أن رجلا قام إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أ لست أفضل قومي فقال إن كان لك عقل فلك فضل وإن كان لك خلق فلك مروءة وإن كان لك مال فلك حسب وإن كان لك تقى فلك دين . وسئل الحسن عن المروءة فقال
جاء في الحديث المرفوع أن الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفسافها . وكان يقال من مروءة الرجل جلوسه بباب داره . وقال الحسن لا دين إلا بمروءة
[١٢٩]
و قيل لابن هبيرة ما المروءة فقال إصلاح المال والرزانة في المجلس والغداء والعشاء بالفناء . و
جاء أيضا في الحديث المرفوع حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروءته خلقه وكان يقال ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق . ويقال سرعة المشي تذهب بمروءة الرجل . وقال معاوية لعمرو ما ألذ الأشياء قال مر فتيان قريش أن يقوموا فلما قاموا قال إسقاط المروءة . وكان عروة بن الزبير يقول لبنيه يا بني العبوا فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب وقيل للأحنف ما المروءة قال العفة والحرفة تعف عما حرم الله وتحترف فيما أحل الله . وقال محمد بن عمران التيمي لا أشد من المروءة وهي ألا تعمل في السر شيئا تستحيي منه في العلانية وسئل النظام عن المروءة فأنشد بيت زهير
الستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من ستر
و قال عمر تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت به . وقال ميمون بن مهران أول المروءة طلاقة الوجه والثاني التودد إلى الناس والثالث قضاء الحوائج . وقال مسلمة بن عبد الملك مروءتان ظاهرتان الرياش والفصاحة . وكان يقال تعرف مروءة الرجل بكثرة ديونه . وكان يقال العقل يأمرك بالأنفع والمروءة تأمرك بالأجمل
.

(١) تكملة المعاجم العربية ٧/١٥٤

[١٣٠]". [1]

٤-"""""""" صفحة رقم ٨٨ """""""

العامل : اكفني أمره وإلا كفيته أمرك . ووقع إلى عامل : قد كثر شاكوك فأما اعتدلت وإلا اعتزلت . وكتب سوار بن عبد الله القاضي إليه أن عندنا رجلا شديد الترفض يدعى السيد الحميري ، فوقع في كتابه : إنا بعثناك قاضيا لا ساعيا . ووقع في كتاب بليغ استماحه : إن البلاغة والغنى إذا اجتمعا في رجل أطغياه ، وقد رزقت إحداهما فاكتف بها واقتصر عليها . ورقع إليه في بناء مسجد ، فوقع : عن من أشراط الساعة أن تكثر المساجد ، فزد في خطاك يزد في أجرك . المهدي : كتب إليه سلم بن قتيبة يسأله أن يشرفه بالإذن له في تقبيل يده ، فوقع إليه : يا ابن قتيبة إنا نصونك عنها ونصونها عن غيرك . الرشيد : وقع إلى علي بن عيسى بن ماهان وقد كتب إليه بقتل العمركي : ' بعد للقوم الظالمين ' ' هود : ٤٤ ' . ووقع إلى صاحب النصرانية بالروم أنا بالأثر وعلى الله الظفر وكتب إليه ينقفوز ملك الروم يتهدده ، فوقع في كتابه : الجواب ما تراه لا ما تقرأه . وكتب إليه صاحب السند بظهور العصبية ، فوقع : من أظهر العصبية فعاجله بالمنية . المأمون : وقع إلى الرستمي وقد تظلم منه غريم له : ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة وجارك طاو وغريمك عاو . ووقع في قصة متظلم من حميد : يا أبا حامد لا تتكل على حسن رأيي فيك ، فإنك وأحد رعيتي عندي في الحق سواء . ووقع في قصة متظلم من علي بن هشام : يا أبا الحسين : الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أي الرجلين أنت ووقع في رقعة إبراهيم بن المهدي ، وقد سأله تجديد الأمان : القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله . ووقع إلى الواقدي ، وقد كتب يذكر دينا عليه ويستمنح : فيك خصلتان : سخاء وحياء ؛ أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما ملكت ، وأما الحياء فهو الذي حملك على أن ذكرت بعض دينك دون كله ، وقد". [2]

٥-" ٢٢٢٨ – حدثني أبي قال حدثنا هشيم قال حدثنا محمد بن قيس عن مولى لقريش عن الشعبي قال ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام سمعت أبي يقول حديث غريب ". [3]

٦-"[4] قال الشيخ ولإبراهيم بن هراسة حديث صالح يرويه وبخاصة عن الثوري ويعرف عن الثوري بأحاديث صالحة وروى عن غيره ما لا يتابع عليه وقد ضعفه الناس والضعف على رواياته بين إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي خراساني الأصل سكن واسط حدثنا الجنيدي حدثنا البخاري حدثني إسحاق بن شاهين قال مات إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي خراساني الأصل نزل واسط بعد هشيم وكان هشيم يدلس عنه سمعت بن حماد يقول قال البخاري

---

(١) شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد ص/٥٠٩١

(٢) كتاب خاص الخاص ص/٨٨

(٣) العلل ومعرفة الرجال ٢/٢٧٣

(٤) ٣٩٧

إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي الواسطي يروي عن يونس بن خباب وغيره عنده مناكير وكان هشيم يدلس عنه قال الشيخ وقال النسائي فيما أخبرني محمد بن العباس عنه إبراهيم بن عطية واسطي متروك الحديث وذكر عبد الرحمن بن أبي بكر عن عباس قال سألت يحيى عن أحاديث يرويها هشيم عن مغيرة عن إبراهيم النظر في مرآة الحجام دناءة وإذا بلي المصحف دفن وأشباه هذه الأحاديث فقال سمعها هشيم من إبراهيم بن عطية الواسطي عن مغيرة قلت ليحيى من إبراهيم هذا سمع من مغيرة هذه الأحاديث فقال كان إبراهيم هذا لا يساوي شيئا وينبغي ان يكون هذا قد سمع من مغيره وهشيم إنما سمع هذه الأحاديث منه عن مغيرة وكان يقول مغيرة هكذا قال يحيى أو شبيها بهذا حدثنا احمد بن محمد الضبعي أخبرني إسحاق بن شاهين حدثنا هشيم عن محمد الأسدي عن الشعبي **قال ليس من المروءة النظر** في مرآة الحجام أنبأنا احمد بن محمد الضبعي أخبرني إسحاق بن شاهين حدثنا هشيم ﷺ". (١)

٧-" ٧٦ - إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي خراساني الأصل سكن واسط حدثنا الجنيدي حدثنا البخاري حدثني إسحاق بن شاهين قال مات إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي خراساني الأصل نزل واسط بعد هشيم وكان هشيم يدلس عنه سمعت بن حماد يقول قال البخاري إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي الواسطي يروي عن يونس بن خباب وغيره عنده مناكير وكان هشيم يدلس عنه قال الشيخ وقال النسائي فيما أخبرني محمد بن العباس عنه إبراهيم بن عطية واسطي متروك الحديث وذكر عبد الرحمن بن أبي بكر عن عباس قال سألت يحيى عن أحاديث يرويها هشيم عن مغيرة عن إبراهيم النظر في مرآة الحجام دناءة وإذا بلي المصحف دفن وأشباه هذه الأحاديث فقال سمعها هشيم من إبراهيم بن عطية الواسطي عن مغيرة قلت ليحيى من إبراهيم هذا سمع من مغيرة هذه الأحاديث فقال كان إبراهيم هذا لا يساوي شيئا وينبغي ان يكون هذا قد سمع من مغيره وهشيم إنما سمع هذه الأحاديث منه عن مغيرة وكان يقول مغيرة هكذا قال يحيى أو شبيها بهذا حدثنا احمد بن محمد الضبعي أخبرني إسحاق بن شاهين حدثنا هشيم عن محمد الأسدي عن الشعبي **قال ليس من المروءة النظر** في مرآة الحجام أنبأنا احمد بن محمد الضبعي أخبرني إسحاق بن شاهين حدثنا هشيم حدثنا بعض أصحابنا عن مغيرة عن إبراهيم قال النظر في مرآة الحجام دناءة حدثنا علي بن احمد بن مروان المقرىء حدثنا إبراهيم بن عطية عن مغيرة عن إبراهيم قال النظر في مرآة الحجام دناءة حدثنا علي بن احمد بن مروان المقرىء وعمر بن محمد بن عيسى السذابي قالا حدثنا أبو يوسف الفلوسي حدثنا عثمان بن مخلد الواسطي حدثنا إبراهيم بن عطية الثقفي قال حدثنا يونس بن خباب حدثنا المهاجر مولى بن عمر عن بن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال ألفي ألف ضعف حدثنا احمد بن حمدون بن أبي صالح النيسابوري حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقي حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن عطية الواسطي ثقة عن يحيى بن سعيد عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال من أدرك يوم الجمعة ركعة فليصلي إليها أخرى قال الشيخ وهذا الحديث من حديث يحيى بن سعيد عن الزهري عن سالم عن أبيه

---

(١) الكامل في الضعفاء - ط: العلمية ١/٣٩٧

غير محفوظ وانما نعرفه من حديث بقية عن يونس عن الزهري عن سالم عن أبيه والزهري روى هذا الحديث عن سعيد قال الشيخ وإبراهيم بن عطية هذا هو قليل الحديث ولعله يبلغ عشرة وكان هشيم يدلس عنه وانما اشتهر بهشيم لتدليسه عنه ". (١)

٨-" عظيم لا يأتي عليك يوم وأنت به الا رأيت فيه من أهل الفضل من لم تره فيما تقدم حدثني عبد العزيز بن علي قال سمعت علي بن عبد الله الهمداني بمكة يقول نبأنا علي بن محمد الفاني الوراق قال حدثني أبو الحسين المالكي قال حدثني عبيد الله بن محمد التميمي قال سمعت ذا النون يقول بمصر من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد قيل له وكيف ذاك فقال لما حملت إلى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيدا فمر بي رجل متزر بمنديل مصري معتم بمنديل ديبقي بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط فسألت هذا ساقي السلطان فقيل لي لا هذا ساقي العامة فأومأت إليه اسقني فتقدم وسقاني فشممت من الكوز رائحة مسك فقلت لمن معي ادفع إليه دينارا فأعطاه الدينار فأبى وقال ليس آخذ شيئا فقلت له ولم فقال أنت أسير **وليس من المروءة** أن آخذ منك شيئا فقلت كمل الظرف في هذا أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان الدمشقي في كتابه إلينا قال أنبأنا أبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر البجلي قال نبأنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو البصري قال نا أبو مسهر قال نا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسي قال إذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وطاعته شامية فقد كمل أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال انبانا احمد بن محمد بن موسي وأخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال أنبأنا محمد بن العباس قالا قال أبو الحسين احمد بن جعفر بن المنادى ثم ان بغداد سميت حين سكنت مدينة السلام فليس في الأرض مدينة علي هذا الاسم غيرها وكان بعض إخواننا إذا ذكرها يقرا قول الله بلدة طيبة ورب غفور قال أبو الحسين هذا الي تركنا ذكر أشياء كثيرة من مناقبها التي افردها الله بها دون سائر الدنيا شرقا وغربا وبين ذلك من الأخلاق الكريمة ". (٢)

٩-" أتتك حرى عقيد (١) الملك أرملة * بغي عليها - فلم تقوى به - أسد فابتز مني ضياعي بعد منعتها * قد (٣) تفرق الأهل والولد * وأنشأ المأمون مجيبا لها يقول (١) : من دون ما قلت عيل الصبر والجلد * وهاض من قولك الأحشاء والكبد هذا أوان صلاة الظهر فأنصرفني * وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد المجلس السبت إن يقض (٣) الجلوس لنا * أنصفك فيه وإلى المجلس الأحد * قال فانصرفت ثم عادت في الوقت الذي أمرها به فلما نظر من خصمك ؟ فأومأت إلى ابن العباس فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد في مجلس الحكم أمر امؤمنين لالحكم ففعل ذلك فلما جلس جعلت المرأة تكلمه بكلام صحيح قال فقال له ابن أبي خالد تكلمين الأمير بين يدي أمير المؤمنين فقال له المأمون اسكت لا أم لك فالحق أنطقها والباطل أسكته ثم أمر برد ضياعها عليها أخبرنا أبو القاسم الشحامي

---

(١) الكامل في الضعفاء - ط: الفكر ٢٤٥/١

(٢) تاريخ بغداد ٥٠/١

أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت عبد الله بن محمد الكعبي يقول سمعت محمد بن أيوب يقول سمعت أحمد بن يوسف القاضي يقول قلت للمأمون يا أمير المؤمنين إن رجلا ليس بينه وبين الله أحد يخشاه فحقيق أن يتقي الله D فقال المأمون صدقت أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا أحمد بن مروان نا أحمد بن عباد نا محمد بن منصور قال دفع المأمون في رقعة (٣) متظلم من علي بن هشام علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من هو دونه فأخبر أمير المؤمنين أي الرجلين أنت ووقع في قصة رجل تظلم من بعض أصحابه ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك عار وجارك طاو

---

(١) بالاصل : " يقول مجيبا " وفوق اللفظتين علامتا تقديم وتأخير

(٢) الاصل : " يقضي " والمثبت عن العقد الفريد

(٣) غير واضحة بالاصل والمثبت عن المختصر ١٤ / ١١٠ ". [1]

١٠-" ابن محمد بن محمد يقول سمعت أبا عصمة نوح بن نصر الفرغاني (١) يقول ح وأنبأنا أبو سعد (٢) المطرز أخبرنا أبو عصمة سمعت أبا الحسين الجرجاني البارع يقول سمعت أحمد بن منصور الشيرازي يقول سمعت أبا سعيد الحسن بن أحمد بن المبارك التستري يقول سمعت ميمون بن إسماعيل الدمشقي يقول سمعت سالم بن جنادة يقول سمعت أبي يروي عن أبي حنيفة عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي (A) قال ليس من المروءة الربح على الاخوان قال ابن عساكر (٣) كذا قال والمحفوظ سالم بن جنادة (٤) أنبأنا أبو علي الحداد أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا الحسن بن أحمد بن المبارك حدثنا ميمون بن إسماعيل الدمشقي حدثنا أحمد بن محمد الزبيدي حدثنا أبي حدثنا المأمون حدثني هارون الرشيد حدثني مالك بن أنس عن سعيد (٥) عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (A) السفر قطعة م ن العذاب الحديث ٧٨٠٣ ميمون بن الحسن بن إسماعيل (٦) البصري الدباس قدم دمشق قافلا من الحج (٧) وحدث عن أبي علي الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عواد روى عنه علي بن محمد الحنائي (٨) قرأت بخط أبي الحسن الحنائي أخبرنا ميمون بن الحسن بن إسماعيل (٩) الدباس

---

(١) بالاصل وم : " القوغاني " وفي " ز " : " أبو غاني " والمثبت عن د

(٢) تحرفت بالاصل إلى : سعيد والمثبت عن د و " ز " وم

(٣) زيادة منا

(٤) كذا بالاصل ود و " ز " وم وتقدم في المتن بالاصل وجميع النسخ : سالم بن جنادة فتعقيب المصنف في غير

---

(١) تاريخ دمشق ٣١٠/٣٣

محله

(٥) كذا بالاصل وفي " ز " : " سفيان " وفي م : " سعير " وفي د : " سمي " وفوقها ضبة

(٦) كذا بالاصل وم وفي د : " سهل " وسقطت اللفظة من " ز "

(٧) قوله : " قافلا من الحج " استدرك على هامش " ز " متبوعا ب " صح "

(٨) استدركت اللفظة على هام‌ش م

(٩) كذا بالاصل وم و " ز " وفي د : سهل ". [١]

"-١١

(أتتك حرى عقيد الملك أرملة ٪ بغى عليها فلم تقوى به أسد)

(فابتز مني ضياعي بعد منعتها ٪ وفارق العز مني الأهل والولد)

وأنشأ المأمون مجيبا لها يقول

(من دون ما قلت عيل الصبر والجلد ٪ وهاض من قولك الأحشاء والكبد)

(هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي ٪ وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد)

(المجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ٪ ننصفك فيه وإلى المجلس الأحد)

قال فانصرفت ثم عادت في الوقت الذي أمرها به فلما نظر لها قال لها من خصمك فأومأت إلى ابن العباس فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد أجلسه وإياها في مجلس الحكم ففعل ذلك فلما جلس جعلت المرأة تكلمه بكلام صحيح قال فقال له ابن أبي خالد تكلمين الأمير بين يدي أمير المؤمنين فقال له المأمون اسكت لا أم لك فالحق أنطقها والباطل أسكته ثم أمر برد ضياعها عليها

أخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت عبد الله بن محمد الكعبي يقول سمعت محمد بن أيوب يقول سمعت أحمد بن يوسف القاضي يقول

قلت للمأمون يا أمير المؤمنين إن رجلا ليس بينه وبين الله أحد يخشاه فحقيق أن يتقي الله عز وجل فقال المأمون صدقت

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا أحمد بن مروان نا أحمد بن عباد نا محمد بن منصور قال

دفع المأمون في رقعة متظلم من علي بن هشام علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من هو دونه فأخبر أمير المؤمنين أي الرجلين أنت

---

(١) تاريخ دمشق ٣٢٥/٦١

ووقع في قصة رجل تظلم من بعض **أصحابه ليس من المروءة أن** تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك عار وجارك طاو

". (١)

١٢-" ابن محمد بن محمد يقول سمعت أبا عصمة نوح بن نصر الفرغاني يقول

ح وأنبأنا أبو سعد المطرز أخبرنا أبو عصمة سمعت أبا الحسين الجرجاني البارع يقول سمعت أحمد بن منصور الشيرازي يقول سمعت أبا سعيد الحسن بن أحمد بن المبارك التستري يقول سمعت ميمون بن إسماعيل الدمشقي يقول سمعت سالم بن جنادة يقول سمعت أبي يروي عن أبي حنيفة عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال ليس من المروءة الربح** على الاخوان \ ح \

قال ابن عساكر كذا قال والمحفوظ سالم بن جنادة

أنبأنا أبو علي الحداد أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا الحسن بن أحمد بن المبارك حدثنا ميمون بن إسماعيل الدمشقي حدثنا أحمد بن محمد الزبيدي حدثنا أبي حدثنا المأمون حدثني هارون الرشيد حدثني مالك بن أنس عن سعيد عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب الحديث \ ح \

٧٨٠٣ ميمون بن الحسن بن إسماعيل البصري الدباس

قدم دمشق قافلا من الحج

وحدث عن أبي علي الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق بن عواد

روى عنه علي بن محمد الحنائي

قرأت بخط أبي الحسن الحنائي أخبرنا ميمون بن الحسن بن إسماعيل الدباس

". (٢)

١٣-"سمع على الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي كتاب الحيل له و العلم للمرهبي وعلى علي بن عيسى بن القيم بعض الأول من حديث سفيان بن عيينة الثقفي و جزء اسماعيل الصفار.

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣١٠/٣٣

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٢٥/٦١

وحدث بما سمعه على الدمياطي وتفرد بالسماع منه وهو ابن أخت الشيخ عماد الدين محمد بن محمد بن حرمي الدمياطي وبعنايته سمع الحديث.

ومما حدث به عن الحافظ شرف الدين الدمياطي من أول سنن الدارقطني إلى آخر الجزء السابع من تجزئة عشرين بقراءة شيخنا ابن ظهيرة.

مات في ١١ رجب سنة احدى وثمانين وسبعمائة بالقاهرة ومولده في ربيع الآخر سنة ٦٩٧ بثغر دمياط.

[وسمع من أبي علي الحسن بن عمر بن عيسى الكردي تفسير مالك بن أنس وقطعة من مسند الدارمي وجزء من حديث اسماعيل الصفار عن شيوخه وسمع من زينب بنت شكر قطعة من الدرامي وبعض جزء سفيان بن عينيه وحدث سمع منه البرهان الحلبي وأجاز لشيخنا أبي الفتح بن أبي بكر بن الحسين المراغي]١.

٣٦١- محمد بن علي بن يوسف الأسنوي القاضي العلامة جمال الدين الشافعي الشهير بالخطيب.

ذكره شيخنا العلامة ولي الدين أبو زرعة أحمد ابن العراقي في تاريخه فقال سألته عن مولده **فقال ليس من المروءة ان** يخبر لرجل عن سنه.

سمع صحيح البخاري على أبي العباس الحجار وينص شيخنا بعد ذلك نحو سطر ثم قال وتفقه على الشيخ قطب الدين السنباطي والشيخ شمس الدين ابن عدلان والشيخ شمس الدين ابن القماح وغيرهم.

---

١ زيادة من أ.

٣٦١- راجع ترجمته في: شذرات الذهب ٢٨٥/٦، طبقات ابن قاضي شهبة ١٧٠/٣، الدرر الكامنة ٩٨/٤، النجوم الزاهرة ٢٩٥/١١، ذيل العبر الورقة ٧٩.". (١)

١٤-"(ليس ليوم فضل على يوم في الصيام الاشهر رمضان ويوم عاشوراء) فان صوم رمضان فرض عين فهو الافضل مطلقا وعاشوراء متأكد الندب فله فضل على غيره الا ما خص بدليل (طب هب عن ابن عباس) ورجاله ثقات (ليس لي أن أدخل بيتا مزوقا) أي مزينا منقوشا سببه ان رجلا ضاف عليا فصنع له طعاما فقالت فاطمة لو دعونا رسول الله فأكل فجاء فرفع يديه على عضادتي الباب فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع وذكره (حم طب عن سفينة) مولى المصطفى ورواه عنه أبو داود وغيره واسناده حسن

(ليس من البر) بالكسر أي ليس من العبادة (الصيام في السفر) أي الصيام الذي يؤدي الى اجهاد النفس واضاراها بقرينة الحال ودلالة السياق فانه رأى رجلا ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم فذكره (حم ق د ن عن جابر) بن عبد الله (ه عن ابن عمر) بن الخطاب قال المؤلف متواتر

(ليس من الجنة في الارض شئ الا ثلاثة أشياء غرس الـعجوة والحجر) الاسود (واواق) جمع أوقية (تنزل في الفرات

---

(١) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١٩٤/١

) أي في نهر الفرات (كل يوم بركة من الجنة) ولم يرد نظير ذلك في غيره من الانهار (خط عن أبي هريرة) واسناده ضعيف

(ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما أحسب من شهدها منكم الا مغفورا له) أي الصغائر على قياس نظائره فيوم الجمعة هو اليوم الذي اصطفاه الله واستأثر به وصلاة الفجر يشهدها الله وملائكته ان قرآن الفجر كان مشهودا (الحكيم طب عن أبي عبيدة) بن الجراح واسناده حسن

(**ليس من المروءة الربح** على الاخوان) في الدين والمراد من بينك وبينه صداقة منهم فينبغي للتاجر ونحوه اذا اشترى منه صديقه شيأ أن يعطيه برأس ماله فإنه من مكارم الاخلاق (ابن عساكر عن ابن عمرو) بن العاص وهو حديث منكر

(ليس من اخلاق المؤمن التملق) أي الزيادة في التودد فوق ما ينبغي ليستخرج من الانسان مراده قال ابن المعتز من كثر تملقه لم يعرف شره ولم يؤمن مكره قال الشاعر

". (١)

١٥-"الفرق بين الخجل والحياء

Q ما الفرق بين الخجل والحياء؟

A أقول: يا إخوان! وخاصة طلبة العلم من أراد أن يعرف حقائق مفردات الأخلاق فليرجع إلى ابن مسكويه في كتابه: فلسفة الأخلاق.

الخجل والوجل متضادان؛ الوجل الخوف، والخجل الحياء من كل شيء، والأكثر ما يكون للنساء، ولذا الخجل للرجال ليس ممدوحا، بخلاف الحياء، فإنه من الغرائز والأخلاق الفاضلة.

فالحياء يمكن أن يراعي فيه الإنسان الإقدام والإحجام، ولكن الخجل لا يتملك المرء فيه، والحياء قابل للمقياس العقلي، أما الخجل فلا يقبل ذلك، فالشخص الخجول -كما يقولون- هو أشد ضعفا من الشخص الذي يقال فيه حيي؛ لأن الذي يستحي يأتي في أوقات وهو أشد ما يكون قوة وجرأة، بخلاف الذي يخجل، الخجل ضعف شخصي ولكنه في النساء كمال.

إذا: هناك فرق بين الخجل والحياء فيكون دقيقا جدا وهو: أن الخجول لا يملك من نفسه تصرفا، ولكن الحياء صاحبه قد يستحي ويقف عند حيائه، وقد يتخطى حواجز هذا الحياء فيما هو واجب عليه، والله تعالى أعلم.

فالذي أشرنا إليه أن الحياء قسمان: قسم مذموم وقسم ممدوح، وأشرنا إلى أن المذموم هو الذي يمنعك من فعل واجب عليك.

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى ٢/٦٣٦

فبعض الناس يخرج عن بلده ويأتي إلى بلد غير مسلم ويرى الساعة في يده، ويعلم أنه قد حان وقت الصلاة، وهو عنده زملاؤه في منتزه أو في بيت أو في مكان وعنده الآخرين يستحي أن يؤذن ويقيم ويصلي، لماذا؟ سمعنا بمن يفعل هذا، وأي شيء هذا! يقول: أستحي، يا سبحان الله! تستحي أن تؤدي حق الله؟ قد تكون صلاتك هذه أقوى فعالية مما لو وقفت محاضرا أسبوعا كاملا.

وكذلك يدخل المطاعم نحو ذلك، وتقدم له الأطعمة والأشربة ويستحي أن يمتنع مما حرم الله، يخشى أن يقال: متخلف! رجعي! يا سبحان الله! إذا تمسك الإنسان بدينه يقال: متخلف ورجعي! نعم رجعي عن هذا التيار الفاسد.

ومن عجب أيها الإخوة! أن أولئك القوم إذا وجدوا مسلما متمسكا بدينه وامتنع عن تلك المحرمات تدينا كان أعظم ما يكون في نفوسهم.

وبالمناسبة كنا مرة في رحلة على طائرة فرنسية في إفريقيا مع الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه، وكان مدة الرحلة ثلاث ساعات، فأقلعت قبل الفجر بربع ساعة، والمدة ثلاث ساعات، معنى ذلك ستنزل بعد طلوع الشمس، وكنا متوضئين، فقلت للشيخ: ماذا نفعل؟ أنتم المالكية تقولون: لا تصح الصلاة إلا على شيء متصل بالأرض، أتترك الصلاة في الطائرة؛ لأنها غير متصلة بالأرض أو تصلي الآن على خلاف المالكية؟ قال: لا، أصلي وأنا على مذهب المالكية، قلت: كيف؟! قال: إن الطائرة متصلة بالأرض بواسطة الهواء؛ لأن الفراغ الذي بينها وبين الأرض مملوء بالهواء والهواء هو الذي يرفعها، فقلت: الحمد لله! هل نؤذن؟ قال: يكفي أن نقيم الصلاة، فقمنا نصلي عند الباب، ولما رأونا وهم فرنسيون عند باب الطائرة وهي كبيرة جاءوا حالا بالفراش الذي يتغطى به الركاب وفرشوه لنا، وصلينا الصبح جماعة، ثم جاء وقت الإفطار فإذا بما قدموه شكل غريب، وليس فينا من يحسن الإنجليزية إلا بعض الكلمات، فسألنا أحدهم، فإذا هو لحم الخنزير فقلنا له: خذه، فقال: مسلم! فقلنا: نعم، فأصبح خجلا من نفسه، وفي أقرب وقت جمع كل الأطعمة التي أمامنا كلها وذهب بها، وجاء بفطور جديد ليس فيه ميتة، فهل نستحي ونأكل لحم خنزير أمامهم؟ هل نستحي ونترك الصلاة؟ لقد كان أداء صلاتنا تلك، وامتناعنا عن ذاك الطعام خيرا عظيما، يقول الشيخ رحمه الله: هذا الموقف مكننا من العمل بآية من كتاب الله بين السماء والأرض: ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ [المائدة:٣] فهل نقول: استحينا ونقول: مسلمين ونأكل؟ يعني: إذا وقع لبعض الأشخاص ظرف ما أمام زملاء أو أمام أصدقاء أو أمام غرباء، فإنه يأكل ويشرب ويستحي منهم، تستحي من الناس ولا تستحي من الله! سبحان الله العظيم! وهناك أشياء عديدة من هذا القبيل لا ينبغي للإنسان أن يقول: استحيت، لا والله ليس حياء ولكنه خور وضعف.

إذا: الحياء منه المذموم ومنه الممدوح، الحياء الممدوح أنك تستحي أن تأكل وأنت تمشي في الطريق، ما الذي منعك؟ الحياء، ويذكر بعض العلماء أن شخصا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب ماء يشرب، فستره النبي صلى الله عليه وسلم حتى يشرب، قالوا: (ما هذا يا رسول الله؟! قال: هؤلاء قوم يستحون) إلى هذا الحد، وكان يوجد جماعة في موريتانيا أو في أفريقيا لا يأكلون أمام الناس، ويقولون: الذي يأكل أمام الناس هذا (دهنيس)، الذئب هو الذي يأكل أمام الناس، أما الآدمي الذي يأكل أمام الناس ويرونه فهذا **ليس من المروءة**، قد يكون هذا الأمر زائدا

عن العادة، لكن العلماء رأوا بأن الشخص إذا كان لا يبالي بصغار الأمور قد يتدرج إلى كبارها، وإذا كان يستحي من صغارها ما يمكن أن يعمل الأشياء الكبار، الآن لو في جيبك تفاحة تقدر تخرجها وتأكلها أمام الناس! هل هو حرام، سواء كانت حارة أو مرة أو مالحة؟ لا، ما الذي يمنعك أن تأكلها أمامنا الآن؟ الحياء، فهذا هو الحياء الممدوح، ويكفي هذا القدر في بيان الحياء الممدوح والحياء المذموم، والله أعلم.". (١)

١٦-"شرح حديث: (ما رأيت رسول الله يصلي قط سبحة الضحى)

قال رحمه الله: [وله عنها رضي الله عنها أنها سئلت: (هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت: لا، إلا أن يجيء من مغيبه).

وله عنها رضي الله عنها (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه يصلي قط سبحة الضحى، وإني لأسبحها)].

هذا يا إخوان هو موقف العلماء، ومن شرح الله صدورهم، وأنار بصائرهم عندما يواجهون مثل هذه الأحاديث، الحديث الأول صحيح لا شك فيه، والحديث الثاني أيضا صحيح انفرد به مسلم ، وفي البخاري أيضا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: (ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى إلا إذا قدم من مغيبه)، يعني: إذا جاء من سفر، هل يوجد تعارض أم ليس هناك تعارض؟ هناك تقول: (كان يصلي أربعا)، وهنا: (ما كان يصلي)، فالنفي منصب على الصورة في غير المنصوص عليها وهي: قدومه من مغيبه.

إذا: عند قدومه من مغيبه يتفق مع الحديث الأول في إثبات الصلاة، وإذا لم يكن قادما من مغيبه يختلف مع الأول، ولقائل أن يقول: القادم من مغيبه السنة في حقه أمران: ألا يطرق أهله ليلا، وأن يسبق إعلامهم بقدومه، فإن لم يتمكن بدأ بالمسجد وأرسل من يعلمهم، وإذا بدأ بالمسجد سيصلي أم سيترك الصلاة؟ سيصلي، فهذا يذكره العلماء من آداب السفر، وبين صلى الله عليه وسلم السبب فقال: (حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة ...) حفاظا على كيان الأسرة، وإبعادا عن مظان السوء، إذا كان الإنسان غائبا عن زوجته فإنها لا تقدر زوجا عندها، فلم تتهيأ لاستقباله، وغالبا تكون في ثيابها الرثة، فإذا فاجأها على تلك الحالة ربما رأى ما لا يريد، فانطبعت تلك الصورة في ذهنه، فيحصل هناك تخلخل في الروابط الزوجية؛ لأن الزوجة كما قالت المرأة البدوية لابنتها: لا يرى منك إلا كل مليح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح -وتنصحها بعشر نصائح معروفة- وتعهدي وقت نومه، ووقت سروره، ووقت كذا وكذا إلخ.

فإذا فاجأ المرأة وهي في تلك الحالة ربما لا يعجبه هذا المنظر، وقد تلصق الصورة في الذهن، وربما تقول: الزوج غائب فرصة أذهب أزور أمي، فرصة أزور خالتي جارتي، احتاجت إلى حاجة وزوجها غائب بدلا من أن تتثاقل إلى إنسان تذهب هي بنفسها لتقضي حاجتها، فيصادف مجيء الزوج وهي غائبة، ويأتي الشيطان يوسوس: انظر من يوم ما ذهبت وهي ما تجلس في البيت، من يوم ما ذهبت وهي خراجة ولاجة، ويجد مجالا للإفساد، لكن عندما يخبر بأنه قادم تتهيأ.

---

(١) شرح الأربعين النووية ٤٦/١٠

وحكيت لنا قصة: كان رجل غائبا، وأرسل للزوجة ميعاد العودة، وكانوا كما تعرفون يسافرون على الإبل، فقبل أن يقدم بيومين رأى فيما يرى النائم أن كبشين ينتطحان على فرج امرأته، فاشمأز جدا، ولذا كما يقولون: تفسير المنام إلهام، لأنها موحية، ففزع وذهب إلى طالب علم يسأله فضحك، قال: لماذا تضحك؟ هل الناس يقتتلون عليها؟! قال: لا، قال: إنها علمت بمقدمك فاستعملت المقص فجرحها، إنها تتهيأ! ويحكى أن رجلا كان غائبا، فقدم وقال: الوقت ليل، وما عندي من أخبرهم، والمسجد الآن ما فيه أحد، فذهب وطرق الباب وكان حديث عهد بعرس، وفي البيت أبوه وأمه وزوجه، ترون هذا الليل الطويل من الذي يكون ساهرا يعد النجوم؟ ومن الذي هو نائم ومستريح؟ ومن اليقظان ومن النائم؟ الزوجة ساهرة كما يقولون: ساهرة الليالي، والأب والأم في حال النوم، وما عندهم شيء يشغلهم، فأول من سمع الطرق الزوجة، فحالا أسرعت، ففتحت لزوجه ا واستقبلته، وكانت أمه كلما طلع الفجر تذهب توقظها للصلاة، فذهبت في ذلك اليوم فإذا بالرجل في الفراش وهي لم تعلم أن ابنها قد جاء، فذهبت لزوجها وقالت: أدرك زوجة ولدك ومن معها في فراشه.

طبعا أمور مثل هذه كما يقال: تغلق الذهن، ما كان منه إلا أن فزع إلى السيف، وجاء وحز رأسه، ثم قامت الزوجة، وجاءت وطرقت على أبيه الباب، ثم قالت: قم وار ولدك، ذبح ولده بيده! فقالوا: هذه نتيجة مخالفة السنة، لو كان أهل البيت علموا بمجيئه لفرحوا وهللوا، ولكن لما فاجأهم ولم يعلم البقية إما أن يقع خطأ، وإما أن يقع سوء في العشرة بين الزوجين.

والآن الحجاج والزوار والعمار، والعمال الذين يسافرون ويرجعون يسر الله لهم الاتصالات، وشخص مسافر وشخص راجع، فليحذر الإنسان أن يفاجئ أهله، يقول: اتركني آتيها على غفلة أنظر ماذا تعمل! **هذا ليس من المروءة في** شيء! بل هي الدناءة في عينها، أنت لا تدري ما هي الظروف، وإذا كنت شاكا في أهلك فلا يستحقوا أن يكونوا معك، يجب أن تكون الثقة متبادلة، فإذا لم يتيسر له فليأت إلى المسجد، فسيجد الأولاد في المسجد أو الجيران، وقبل أن يصلي تحية المسجد يكلف أحد المارة: أخبر بيت فلان بأنه جاء وهو الآن في المسجد.

فهنا في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: (ما كان يصلي سبحة الضحى إلا إذا قدم من مغيبه)، كان صلى الله عليه وسلم في الغزوات يقدم من يأتي بالبشرى، كما في غزوة بدر، أرسل ابن رواحة و عبد الله بن زيد على راحلة رسول الله القصواء ببشرى الفتح والنصر ومجيء الأسارى، وكذلك في فتح مكة إلى غير ذلك.

فإذا قدم قلنا: على الإنسان أن يبدأ بالمسجد، وكان بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فإذا بدأ بالمسجد بطبيعة الحال علم أهل بيته، وإن كانوا سمعوا بالبشرى من أول، إذا: مقدمه من مغيبه هل هذا كان لصلاة الضحى أم كان لدخول المسجد ليبدأ به؟ ابن عمر رضي الله تعالى عنه -كما في رواية موطأ مالك برواية محمد بن الحسن - كان إذا أراد سفرا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه قبل أن يسافر، وإذا رجع من سفر بدأ بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه، وإذا أراد أن يسلم، سيدخل على طول يسلم أم تحية المسجد أولا؟ معروف في السنة بأن تحية المسجد تصلى أولا.

فإذا: إلى هنا حديث عائشة وسط بين الحديث الأول وحديثها الثالث، فهي سئلت: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت: لا، ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قط، يبقى هذا نفي صريح، والأول إثبات صريح، والوسط: (إلا إذا قدم من مغيبه)، ولكنها مع النفي تقول: (وإني لأسبحها) لم يصلها وأنت تصليها على أساس ماذا؟ أنت ما رأيتيه يصليها وتقولي: (وأنا أسبحها) لا تخالفيه! لا، هنا موقف العلماء: الجمع، هل هناك جمع بين النفي والإثبات أم ترجيح؟ وكما يقول العلماء: إذا تعارض الحديثان فلا طريق إلا الجمع بين الحديثين ما أمكن، أو ترجيح أحدهما على الآخر، فبعضهم سلك طريق الجمع، وقالوا: ما صلى سبحة الضحى قط، وأنا أستحبها، (ما صلى) بمعنى: ما داوم عليها في المسجد كما تفعلون اليوم في ذلك الوقت، وفي بعض الروايات -ويسوقها بكاملها صاحب طرح التثريب- تقول أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: (ما صلى، وكان يترك الشيء الذي يحب أن يفعله مخافة أن يكتب على الناس، وكان يطلب التخفيف وإني لأسبحها)، يعني تقول: ما كان يصلي وهو يحب صلاتها، ويترك ذلك مخافة أن تفرض لدوامه عليها، وأنت تصليها لماذا؟ قالوا: اتخذت طريق الجمع، تقول: ما رأيت، ولكن علمت بأنه يريد أن يصلي، فتخبر عن علمها بعدم رؤيتها، وتخبر عن رغبته بما سمعت من غيرها، هذا نوع من أنواع الجمع! وجمع آخر، قالوا: إن قولها: (ما صلى أبدا) -كما أشار ابن العربي وغيره- أي: ظاهرا وكان يخفيها، وبعضهم يقول: هي امرأة من تسع نسوة أمهات المؤمنين، وقد يكون وقت صلاة الضحى للنبي صلى الله عليه وسلم ليس عند زوجاته، ويكون في المسجد، فإذا جاء من يثبت صلاته كـ أبي هريرة وغيره و أنس فيكون: (من حفظ حجة على من لم يحفظ)، ويكون هذا إما طريق الجمع بأنها تنكر حالة صلاتهم التي يداومون عليها وفي المسجد، حتى قال البعض: إنها كانت تغلق عليها الباب وتصلي الضحى، إمعانا في إخفائها.

وعلى كل: مذهب الجمهور تقديم النصوص الواردة في مشروعية صلاة الضحى، وفي بيان فضلها وأجرها والوارد فيها بالأحاديث الصحيحة سواء كان في (كل يوم تطلع فيه الشمس صدقة) أو في حديث البعث الذين بعثهم رسول الله، أو في حديث: من صلى ركعتين أو صلى أربعا، أو صلى ثمان، أو حديث: (يا ابن آدم! اكفني ركعتين في أول النهار أكفك آخره)أو في حديث أبي هريرة : (أوصاني خليلي ...) كل هذه نصوص عند الجمهور تثبت مشروعية صلاة الضحى وتبين فضلها.". [١]

١٧-" ٧٦٧٠ - (ليس من المروءة الربح على الإخوان) المروءة صفة تحمل على التعاون والتعاضد مما يورث تألفا وتحببا لكنها قد تنفع وقد تضر لعدم العلم بسلامة العاقبة وقيل : المروءة حفظ الدين وصيانة النفس والجود بالموجود ورعاية الحقوق

---

(١) شرح بلوغ المرام ٣/٨٣

(ابن عساكر) [ص ٣٨٢] في تاريخه في ترجمة ميمون الدمشقي (عن ابن عمرو) بن العاص قال الذهبي في مختصر التاريخ : وهو منكر ". (١)

"٥ - حدثنا أبو القاسم بن الطوسي، حدثنا تاج الإسلام، حدثنا أبو بكر الطريثيثي، قثنا القاضي هناد، حدثنا أبو النجود زيد بن عدي بن محمد الحافظ، قثنا أبو بكر محمد بن علي بن عبد العزيز المصري ، بآمد، قثنا القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الشافعي، قثنا القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، قثنا القاضي إسماعيل بن إسحاق، قثنا القاضي محمد بن سلمة، قثنا القاضي مالك بن أنس الأصبحي، قثنا القاضي ربيعة، قثنا القاضي شريح، أنبا علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﷺ«شموا النرجس، ولو في اليوم مرة، ولو في الشهر مرة، ولو في السنة مرة، ولو في الدهر مرة؛ فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص، لا يقطعها إلا شم النرجس» حدثنا أبو القاسم بن الطوسي، وسألته عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، قال: حدثنا تاج الإسلام، وسألته عن سنه؟ قال لي: أقبل على شأنك، قال: حدثنا الطريثيثي، وسألته عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، قثنا القاضي هناد بن إبراهيم رحمه الله، وسألته عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، قال: سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي بن زحر المنقري البصري عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا أيوب الرياسي عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه؟ فقال لي: أقبل على شأنك، ثم **قال: ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه.." (٢)

"الصلاة في ذلك اليوم. (الحكيم (طب (١) عن أبي عبيدة) رمز المصنف لحسنه.

٧٦٥١ - "**ليس من المروءة** الربح على الإخوان" ابن عساكر عن ابن عمرو (ض) ".

(**ليس من المروءة**) قيل: المروءة حفظ الدين وصيانة النفس والجود بالموجود ورعاية الحقوق (٢) (الربح) بالراء والموحدة آخره مهملة (على الإخوان) وكأن المراد الربح في التجارة منهم، والمراد التقضي وعدم التسامح فإنه يقبح على الغير فكيف على الإخوان بل ينبغي للمؤمن أن يكون سمحا لإخوانه بذالا لإحسانه غير منقص في أموالهم وفي أخلاق السلف كثير من ذلك والحكايات فيه متسعة. (ابن عساكر (٣) عن ابن عمرو) رمز المصنف لضعفه. قال الذهبي في مختصر التاريخ: هو منكر.

٧٦٥٢ - "ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم. (هب) عن معاذ (ض) ".

(ليس من أخلاق المؤمن) لفظ مخرجه البيهقي: خلق بالإفراد. (التملق) الزيادة في التودد والتضرع فوق ما ينبغي فإنه

---

(١) فيض القدير ٥/٣٨١

(٢) أحاديث مسلسلات أَبُو بَكْرٍ الطُّرْطُوشِيُّ ص/٦

من خلق ذوي الوجهين في الأغلب. (ولا الحسد إلا في طلب العلم) الظاهر عوده إليهما فإنه ينبغي من طالب العلم زيادة التودد إلى مشايخة والضراعة لهم، وينبغي له أن يحسد في طلب العلم ليجد في نيله، والمراد بالحسد ما في حديث: "لا حسد إلا في اثنتين ... " الحديث، قال

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٥٦) رقم (٣٦٦)، وفي الأوسط (١٨٤)، والحكيم في نوادر الأصول (٢/ ٣١٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٢٨) والضعيفة (١٢٢١)، وقال ضعيف جدا.

(٢) جاء في الحاشية: "في العلقمي المروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات".

(٣) أخرجه الديلمى في الفردوس (٥١٥٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٣٤٨٨ مختصرة) وأورده العجلونى في كشف الخفا (٢/ ٢٢٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٢٩)، والضعيفة (١٧٦٩).." [١]

"يسكنه) أي محل يأوى اليه (وثوب يوارى عورته) أي يسترها عن العيون (وجلف الخبز والماء) أي كسرة خبز وشربة ماء بغير ادام وما سوى ذلك فهو مسؤل عنه يوم القيامة (ت ك عن عثمان) ابن عفان واسناده صحيح

(ليس لاحد على أحد فضل الا بالدين) وعنه ظهر من الصديق التسوية بين الصحابة والاعراب والاتباع في العطاء (أو عمل صالح) ان اكرمكم عند الله أتقاكم فلا ينبغي لاحد احتقار أحد فقد يكون المحتقر أطهر قلبا وأزكى عملا (حسن الرجل أن يكون فاحشا بذيا بخيلا جبانا) أي يكفيه من الشر والحرمان من الخير كونه متصفا بذلك (هب عن عقبة بن عامر) وفيه ابن لهيعة فقول المؤلف صحيح غير مقبول

(ليس لقاتل ميراث) لانه لو ورث لربما قتل بعض الاشرار مورثه (هـ عن رجل صحابي) قال ابن حجر ليس له في الصحبة مدخل

(ليس لقاتل وصية) فلا تصح الوصية عند الشافعي وجوزها الحنابلة (هق عن علي) ضعيف لضعف بشر بن عبيد

(ليس ليوم فضل على يوم في الصيام الاشهر رمضان ويوم عاشوراء) فان صوم رمضان فرض عين فهو الافضل مطلقا وعاشوراء متأكد الندب فله فضل على غيره الا ما خص بدليل (طب هب عن ابن عباس) ورجاله ثقات

(ليس لي أن أدخل بيتا مزوقا) أي مزينا منقوشا سببه ان رجلا ضاف عليا فصنع له طعاما فقالت فاطمة لو دعونا رسول الله فأكل فجاء فرفع يديه على عضادتي الباب فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع وذكره (حم طب عن سفينة) مولى المصطفى ورواه عنه أبو داود وغيره واسناده حسن

(ليس من البر) بالكسر أي ليس من العبادة (الصيام في السفر) أي الصيام الذي يؤدي الى اجهاد النفس واضاراها بقرينة الحال ودلالة السياق فانه رأى رجلا ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم فذكره (حم ق د ن عن جابر) بن عبد الله (هـ عن ابن عمر) بن الخطاب قال المؤلف متواتر

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغيـر الصنعاني ٢٧٤/٩

(ليس من الجنة في الارض شئ الا ثلاثة أشياء غرس العجوة والحجر) الاسود (واواق) جمع أوقية (تنزل في الفرات) أي في نهر الفرات (كل يوم بركة من الجنة) ولم يرد نظير ذلك في غيره من الانهار (خط عن أبي هريرة) واسناده ضعيف (ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما أحسب من شهدها منكم الا مغفورا له) أي الصغائر على قياس نظائره فيوم الجمعة هو اليوم الذي اصطفاه الله واستأثر به وصلاة الفجر يشهدها الله وملائكته ان قرآن الفجر كان مشهودا (الحكيم طب عن أبي عبيدة) بن الجراح واسناده حسن

(ليس من المروءة الربح على الاخوان) في الدين والمراد من بينك وبينه صداقة منهم فينبغي للتاجر ونحوه اذا اشترى منه صديقه شيأ أن يعطيه برأس ماله فإنه من مكارم الاخلاق (ابن عساكر عن ابن عمرو) بن العاص وهو حديث منكر

(ليس من اخلاق المؤمن التملق) أي الزيادة في التودد فوق ما ينبغي ليستخرج من الانسان مراده قال ابن المعتز من كثر تملقه لم يعرف شره ولم يؤمن مكره قال الشاعر

(يا ايها المنتحى غير شيمته ... ومن شمائله التبديل والملق)

(ارجع الى خلقك المعروف ديدنه ... ان التملق بأبى دونه الخلق)

وقال آخر

(لعمرك ما ود اللسان بنافع ... اذا لم يكن اصل المودة في القلب)." (١)

"٤٠٣ - ليس في الموت شماتة

من كلام أبي هريرة

٤٠٤ - ليس للمؤمن راحة دون لقاء ربه

من كلام وهب بن منبه وروي من كلام ابن مسعود

٤٠٥ - ليس من المروءة استخدام الضيف

من كلام عمر بن عبد العزيز." (٢)

"٢٢٢٨ - حدثني أبي قال حدثنا هشيم قال حدثنا محمد بن قيس عن مولى لقريش عن الشعبي قال ليس من المروءة النظر في مرأة الحجام سمعت أبي يقول حديث غريب." (٣)

"٥١٥٧ - معاوية بن حيدة

ليس من المروءة الربح على الإخوان

٥١٥٨ - أنس بن مالك

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٣٢٨/٢

(٢) الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث أحمد العامري ص/١٨٧

(٣) العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله أحمد بن حنبل ٢٧٣/٢

ليس من خلق المؤمن التملق

٥١٥٩ – معاذ بن جبل

ليس من المرؤة الالتفات في الطريق

٥١٦٠ – أبو سعيد

ليس من كل الماء يكون الولد وإن الله إذا أراد أن يخلق شيئا لم يمنعه شيء." (١)

"الدنيا، وتفضيل الآخرة عليها ... وكلا الغرضين مقصود باق على حالة، كقوله تعالى: ﴿كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة﴾ ١.

وكقولهم: "ليس من المروءة أن يتخلى الشريف عن أصدقائه ساعة الشدة: بل يقيهم بماله، ويدفع عنهم بنفسه".

وحكم الحرف: "بل" الداخل على الجملة أنه حرف ابتداء محض يفيد الإضراب٢ -كما أسلفنا- ولا يصح اعتباره حرف عطف ولا شيئا آخر غير الابتداء، فالجملة بعده مستقلة في إعرابها عما قبلها، ولا يصح إعرابها خبرا ولا غير خبر عن شيء سابق عليه٣ ...

---

١ غفلة، أو انهماك في الباطل، ووصفت القلوب بهذا مسايرة لاعتقاد العرب أن القلب هو مقر العقل والغرائز، ومصدر الخير والشر.

٢ سبقت إشارة -في رقم ٢ من هامش ص٥٩٧ إفي فروق بين "أم" المنقطعة حين تكون للإضراب، و"بل" منها: أن الذي بعد "بل" يقين غالبا، أما الذي بعد "أم" فظن ... ، جاء الكتاب: "المحتسب" لابن جني ج٢ ص ٢٩١ في الآية الكريمة من سورة الطور: ﴿أم هم قوم طاغون﴾ وقراءة من قرأها: ﴿بل هم قوم طاغون﴾ ما نصه: "قال أبو الفتوح: هذا هو الموضع الذي يقول أصحابنا فيه: إن "أم" المنقطعة بمعنى: إلا أن ما بعد "بل" متقين، وما بعد "أم" مشكوك فيه، مسؤول عنه، كقول علقمة بن عبدة:

هل ما علمت وما تستودعت مكتوم؟ ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم؟

سطر ممحى مشكوم: مجازى ...

ألا ترى إلى ظهور حرف الاستفهام وهو: "هل" في قوله: أم هل كبير بكى ... حتى كأنه قال: بل هو كبير ... ترك الكلام الأول وأخذ في استئناف مستأنف.

وقد توالت "أم" هذه في ها الموضع من هذه السورة؛ قال تعالى: ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ أي: بل أيقولون ذلك. وقوله تعالى: ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون؟﴾ أي: بل أهم قوم طاعون؟ ... أخرجه مخرج الاستفهام، وان كانوا عنده تعالى قوما طاغين؛ تلعبا بهم وتهكما عليهم. وهذا كقول الرجل لصاحبه الذي لا يشك في جهله: أجاهل أنت؟ توبيخا له، وتقبيحا عليه. ومعناه: إني قد نبهتك على حالك فانتبه لها، واحتط لنفسك منها، قال

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب الدَّيْلَمي ٣/٣٨١

صخر:

أرائح أنت يوم البين أم غادي ... ولم تسلم على ريحانة الوادي

ليس يستفهم نفسه عما هو أعلم به؛ ولكنه يقبح هذا الرأي لها، وينعاه عليها" ا. هـ.

٣ يقول السيوطي في الهمع - ج١ ص٩٦- ما نصه خاصا بالخبر: "لا يسوغ الإخبار بجملة ندائية؛ نحو: زيد يا أخاه، ولا مصدرة بلكن، أو: بل، أو: حتى -بالإجماع في كل ذلك".." (١)

"٧٦٧٠ - (ليس من المروءة الربح على الإخوان) المروءة صفة تحمل على التعاون والتعاضد مما يورث تألفا وتحببا لكنها قد تنفع وقد تضر لعدم العلم بسلامة العاقبة وقيل: المروءة حفظ الدين وصيانة النفس والجود بالموجود ورعاية الحقوق

(ابن عساكر) -[٣٨٢]- في تاريخه في ترجمة ميمون الدمشقي (عن ابن عمرو) بن العاص قال الذهبي في مختصر التاريخ: وهو منكر." (٢)

١-"سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنه (١).

وفاته: توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة، وأراه توفي في ذي حجة من العام قبله. ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله.

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبتة، حفيد القاضي الإمام أبي الفضل عياض، يكنى أبا عبد الله.

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان من عدول القضاة، وجلة سراتهم، وأهل النزاهة فيهم، شديد التحري في الأحكام والاحتياط، صابرا على الضعيف فيهم والملهوف، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوي السطوة، فاضلا، وقورا، حسن السمت، يعرفه كلامه أبدا، ويزينه ذلك لكثرة وقاره، محبا في العلم وأهله، مقربا لأصاغر الطلبة، ومكرما لهم، ومعتنيا بهم، معملا جهده في الدفع عنهم، لما عسى أن يسوءهم؛ ليحبب إليهم الـعلم وأهله، ما رأينا بعده في هذا مثله. سكن مالقة مع أبيه عند انتقال أبيه إليها، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستمائة.

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجياب، وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه، قال: دخلت على القاضي المذكور، فسأل أحدنا عن أبيه، فقال: ابن فلان. وذكر معرفة مشتركة بين تجار فاس، فقال: أيهما الذي ينحت في الخشب، والذي يعمل في السلاح؟ فما فطن لقصده لسذاجته. وحدثني عن ذكر جزالته أنها كانت تقع له مع السلطان مستقضيه، مع كونه مرهوبا، شديد السطوة، وقائع تنبئ عن تصميمه، وبعده عن الهوادة؛ منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس كان قد سجنه، فأنفذ بين يدي السلطان الأمر للسجان بحبسه، وتوعده إن أطلقه. ومنها إذاعة ثبوت العيد في

(١) النحو الوافي عباس حسن ٣/٦٢٤

(٢) فيض القدير المناوي ٥/٣٨١

أخريات يوم كان قد أمل السلطان البروز إلى العيد في صباحه، فنزل عن القلعة ينادي: عبد الله، يا ميمون، أخبر الناس عن عيدهم اليوم، وأمثال ذلك.

مشيخته: قرأ بسبتة، وأسند بها، فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري وغيره، ورحل إلى الجزيرة الخضراء، فأخذ بها كتاب سيبويه وغيره تفقيها على النحوي الجليل أبي القاسم عبد الرحمن بن القاسم القاضي المتفنن. وأخذ بها أيضا كتاب «إيضاح الفارسي» عن الأستاذ أبي الحجاج بن مغرور، وأخذ بإشبيلية وغيرها

---

(١) في النفح: «المروءة للرجل أن يخبر بسنه».". (١)

٢-"ويروى عن الأحنف قال : لا مروءة لكذوب ، ولا إخاء لملول ، ولا سؤدد لسيئ الخلق .

سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة فقال اجتناب الريب وإصلاح المال والقيام بحوائج الأهل .

وقال الزهري أيضا : الفصاحة من المروءة وقال إبراهيم **النخعي ليس من المروءة كثرة** الالتفات في الطريق وقال غيره من كمال المروءة أن تصون عرضك ، وتكرم إخوانك ، وتقيل في منزلك .

وذكرت الفتوة عند سفيان الثوري فقال : ليست الفتوة بالفسق ولا الفجور ، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد طعام موضوع ، وحجاب مرفوع ونائل مبذول وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف .

قال محمد بن داود من كان ظريفا فليكن عفيفا قال منصور الفقيه : فضل التقى أفضل من فضل اللسان والحسب إذا هما لم يجمعا إلى العفاف والأدب وقال آخر : وليس فتى الفتيان من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضر عدو أو لنفع صديق .

و روى الخلال عن أحمد وجماعة من السلف الممازحة في بعض الأوقات .

وحديث ابن عمر مرفوعا ﴿ إني لأمزح ولا أقول إلا حقا ﴾ ولأحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ﴿ إني لا أقول إلا حقا ﴾ فقال@". (٢)

٣-"كتابا بإسقاطها فقال لم ينقل ذلك عن احد من المسلمين انتهى ولما حقق لهم الخطيب ما تقدم صنف رئيس الرؤساء المشار أليه في إبطاله جزءا وكتب عليه الأئمة أبو الطيب الطبري وأبو نصر الصباغ ومحمد بن محمد البيضاوي ومحمد بن علي الدامغاني وغيرهم، وإخراج المعافى بن زكريا النهرواني في المجلس الرابع والستين من الجليس له من طريق معمر بن شبيب بن شيبه انه سمع المأمون يقول امتحنت الشافعي في كل شيء فوجدته كاملا وقد خصلة وهي إن اسقيه من النبيذ ما يغلب على الرجل الجيد العقل وانه استدعي به وسقاه فما تغير عقله ولا زال عن حجته وقال المعافى عقبها الله اعلم بصحتها، قال شيخنا في لسانه لا يخفى على من له ادني معرفة بالتاريخ إنها كذب وذلك إن

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ط العلمية=حواشي ١٤٤/٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ط الرسالة ٢١٢/٢

الشافعي دخل مصر على رأس المائتين والمأمون آذ ذاك بخراسان ثم مات الشافعي بمصر سنة دخل المأمون من خراسان إلى العراق وهي سنة أربع ومائتين فما التقيا قط والمأمون خليفة وكيف يعتقد إن الشافعي يفعل هذا وهو القائل لو أن الماء البارد يفسد مروءتي ما شربت ألا ماء حارا، وقد يكون طريقا للتوصيل به لما المتأهل يستحقه كما اتفق للشيخ شمس الدين ابن عمار المالكي حين استقر في تدريس المالكية بالمدرسة المسلمية بخط السيوريين من مصر ونوزع بأن شرط الواقف إن يكون المدرس في حدود الأربعين فأثبت محضرا بأن سنه آذ ذاك خمس وأربعون سنة وكذا انتزع البدر بن القطان من زين العابدين بن الشرفي المناوي في حياة والده وبعد انفصاله عن القضاء في الأيام الاشرفية الاينالية تدرس الخروبية لكون شرط الواقف في مدرسها إن يزيد سنة على الأربعين وزين العابدين لم يبلغها آذ ذاك وحينئذ فما رويناه في الجزء الأول من فوائد الحلبي من طريق أبي اسمعيل الترمذي قال سمعت البويطي يقول سئل الشافعي رضي الله عنه كم سنك آو مولدك قال ليس من المروءة إن يخبر الرجل بسنه ومن طريق أبي اسمعيل أيضا قال سمعت عبد العزيز الأوسي يقول قال رجل لمالك". (١)

٤-"٧٦٦٢- ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيا بخيلا جبانا

- (هب) عن عقبة بن عامر

- (صح)

٧٦٦٣- ليس لقاتل ميراث

- (ه) عن رجل

- (ح)

٧٦٦٤- ليس لقاتل وصية

- (هق) عن علي

- (ض)

٧٦٦٥- ليس ليوم فضل على يوم في الصيام إلا شهر رمضان ويوم عاشوراء

- (طب هب) عن ابن عباس

- (ض)

٧٦٦٦- ليس لي أن أدخل بيتا مزوقا

- (حم طب) عن سفينة

- (ح)

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ط أخرى ص/٩

٧٦٦٧- ليس من البر الصيام في السفر

- (حم ق د ن) عن جابر (هـ) عن ابن عمر

- (صح)

٧٦٦٨- ليس من الجنة في الأرض شيء إلا ثلاثة أشياء : غرس العجوة، والحجر، وأواق تنزل في الفرات كل يوم بركة من الجنة

- (خط) عن أبي هريرة

- (ض)

٧٦٦٩- ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة . وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفورا له

- الحكيم (طب) عن أبي عبيدة

- (ح)

٧٦٧٠- ليس من المروءة الربح على الإخوان

- ابن عساكر عن ابن عمرو

- (ض)

٧٦٧١- ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد، إلا في طلب العلم

- (هب) عن معاذ

- (ض)

٧٦٧٢- ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلا بالكفر أو قال " عدو الله " وليس كذلك إلا حار عليه، ولا يرمي رجل رجلا بالفسق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك

[" حار عليه " : أي رجع ذلك القول على القائل] .

- (حم ق) عن أبي ذر

- (صح)

٧٦٧٣- ليس من عبد يقول : " لا إله إلا الله " مائة مرة إلا بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله، إلا من قال مثل قوله أو زاد

- (طب) عن أبي الدرداء

- (ض)

٧٦٧٤- ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة : يا ربنا، عبدك فلان قد حبسته .

فيقول الرب : اختموا له على مثل عمله، حتى يبرأ أو يموت". [1]

٥-"

٤٠٣- ليس في الموت شماتة

من كلام أبي هريرة

٤٠٤- ليس للمؤمن راحة دون لقاء ربه

من كلام وهب بن منبه وروي من كلام ابن مسعود

٤٠٥- ليس من المروءة استخدام الضيف

من كلام عمر بن عبد العزيز

الجد الحثيث ج:١ ص:١٨٧". [2]

٦-" وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم يا جرهد غط فخذك فإن الفخذ عورة

وأبو داود وابن ماجه والحاكم لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت

والحاكم عورة الرجل على الرجل كعورة المرأة على الرجل وعورة المرأة على المرأة كعورة المرأة على الرجل

تنبيه مقتضى ما مر من أحاديث فإن الله يمقت على ذلك أي كشف العورة إذ الكلام مباح فلا يترتب المقت عليه

وما مر في أحاديث دخول الحمام يشهد لما ذكرته من أن كشف العورة الصغرى أو الكبرى بحضرة غير زوجته أو أمته التي تحل له كبيرة

وبه صرح من أصحابنا إبراهيم بن محمد العتبي حيث قال كشفها فسق بين الناس المغلظة أي وهي السوأتان والمخففة في الحمام وغيرها وكلام الشافعي رضي الله عنه يقتضيه ففي طبقات العبادي أن المزني روى عن الشافعي أنه قال في رجل في الحمام يرى مكشوفا إنه لا تقبل شهادته فإن الستر فرض انتهى

وكذا حكاه التوحيدي في البصائر عن رواية المزني وقال بدل مكشوفا السابق مكشوف العورة وقضيته أنه يفسق بالمرة الواحدة من ذلك وهذا شأن الكبيرة ويوافق ذلك ما في أدب القضاء للحسن بن أحمد الحداد البصري أدرك أصحاب ابن شريح أن زكريا الساجي قال لا تجوز شهادة من دخل الحمام بغير مئزر أو وقع في نهر بغير مئزر ونقله أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف السختياني عن المزني عن الشافعي نصا

---

(١) الجامع الصغير ط أخرى ٢/٢٥٥

(٢) الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث ط ابن حزم ص/١٨٧

ثم قال الحداد إن زكريا قال يشبه أن يكون ذلك وإن لم يحضره من يرى عورته **لأنه ليس من المروءة وصوبه** الحداد وقال هو مسقط للمروءة وإن لم يكن معصية انتهى

وصرح ابن سراقة في أدب الشاهد بأنه مسقط للشهادة غير أنه قيد ذلك بما إذا كشفها من غير ضرورة ولا بد منه وفي فتاوى الشاشي كشف العورة في الحمام يقدح في العدالة

وقال ابن برهان كشفها بحضرة الناس يقدح في العدالة بخلافه في الخلوة

لكن أقر الشيخان في الروضة وأصلها صاحب العدة على إطلاقه أن كشفها صغيرة ويوافقه إفتاء الحناطي بأن من دخل الحمام بغير إزار يصير فاسقا إذا تعود ذلك انتهى

". (١)

٧-"المروءة فقال: هي ترك ما يعاب به عند الله وعند خلقه، وقد أجمع السلف على وجوب المروءة والفتوة في طريق القوم، وإن تركهما من أخلاق المنافقين، وفي الحديث: «سيأتي على الناس زمان تقصر فيه المروءة، وتدق فيه الأخلاق، ويستغنى فيه الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وإذا وجد ذلك فلينظروا العذاب صباحا ومساء». وقد سئل عمرو بن العاص -رضي الله عنه- عن المروءة ما هي؟ فقال: هي عرفان الحق، وتعاهد الإخوان بالبر. وكان السري السقطي - رحمه الله تعالى - يقول: المروءة هي صيانة النفس عن الأدناس، وعن كل شيء يشين العبد بين الناس، وإنصاف الناس في جميع المعاملات، فمن زاد على ذلك فهو متفضل.

وكان ربيعة -رضي الله عنه- يقول: المروءة في السفر هي بذل الرجل الزاد، وقلة خلافه على الإخوان، وعدم المزاح معهم، وكان بعضهم **يقول: ليس من المروءة أن** يربح التاجر على صديقه، قلت: بل المروءة في التاجر رضاه بالربح اليسير لا ترك الربح بالكلية، لأن موضع التجارة إنما هو للربح دنيا وأخرى، فيأخذ من صديقة الربح اليسير الذي لا يرضى به غيره من التجار الأجانب أي لا يقنع به، فإن من باع بغير ربح افتقر وركبه الدين، والله تعالى أعلم. وقد سئل أبو عبد الله محمد بن عراق - رحمه الله تعالى - عن المروءة ما هي؟ فقال: هي أن لا تفعل فعلا تستحي من ظهوره في الدنيا والآخرة. وكان أبو هريرة -رضي الله عنه- إذا سئل عن المروءة يقول: هي الغداء والعشاء في أفنية الدور لا في داخلها، وقد كتب الحسن ابن كيسان - رحمه الله تعالى - على باب داره: رحم الله من دخل فأكل. وكان السلف إذا استعار أحدهم قدرا يطبخ فيه ردها ملآنة طعاما، وربما ملأها صاحبها طعاما، ثم أعارها لمن طلبها، ويقول: كرهت أن أعيرها لأخي فارغة، وقد سئل الأصمعي - رحمه الله تعالى - عن المروءة فقال: هي طعام موضوع، ولسان حلو، ومال مبذول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ط العصرية ٢٥١/١

". (١)

٨-"رحمه الله تعالى عن المروءة فقال: هي ترك ما يعاب به عند الله وعند خلقه، وقد أجمع السلف على وجوب المروءة والفتوة في طريق القوم وأن تركهما من أخلاق المنافقين، وفي الحديث: [و سيأتي على الناس زمان تقصر فيه المروءة وتدق فيه الأخلاق ويستغني فيه الرجال بالرجال والنساء بالنساء فإذا وجد ذلك فلينتظروا العذاب صباحا ومساء]، وقد سئل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن المروءة ما هي؟ فقال: هي عرفان الحق وتعاهد الإخوان بالبر.

وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول: المروءة هي صيانة النفس عن الأدناس وعن كل شيء يشين العبد بين الناس وإنصاف الناس في جميع المعاملات فمن زاد على ذلك فهو متفضل، وكان ربيعة رضي الله عنه يقول: المروءة في السفر هي بذل الرجل الزاد وقلة خلافه على الإخوان وعدم المزاح معهم، وكان بعضهم **يقول ليس من المروءة أن** يربح التاجر على صديقه.

(قلت) بل المروءة في التاجر رضاه بالربح اليسير لا ترك الربح بالكلية لأن موضع التجار إنما هو للربح دنيا وأخرى فيأخذ من صديقه الربح اليسير الذي لا يرضى به غيره من التجار الأجانب أي لا يقنع به، فإن من باع بغير ربح افتقر وركبه الدين والله تعالى أعلم، وقد سئل أبو عبد الله محمد بن عراق رحمه الله تعالى عن المروءة ما هي؟ فقال: هي أن لا تفعل فعلا تستحي من ظهوره في الدنيا والآخرة.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا سئل عن المروءة يقول: هي الغداء والعشاء في أفنية الدور لا في داخلها، وقد كتب الحسن بن كيسان رحمه الله تعالى على باب داره رحم الله من دخل فأكل، وكان السلف إذا استعار أحدهم قدرا يطبخ فيه ردها ملآنة طعاما وربما ملأها صاحبها طعاما ثم أعارها لمن طلبها ويقول كرهت أن أعيرها لأخي فارغة، وقد سئل الأصمعي رحمه الله تعالى عن المروءة فقال: هي طعام موضوع ولسان حلو ومال مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف اهـ.

فاعلم ذلك يا أخي فقد سمعت مقال سلفك عن المروءة فاعمل عليها وكن يا أخي متشبها بأهل المروءات وإن لم تكن منهم حقيقة، والحمد لله رب العالمين.". (٢)

٩-"وقال: إنك لا تقدر أن ترضي الناس كلهم فاصلح ما بينك وبين الله ثم لا تبال بالناس.

وقال: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان.

وقال: التلطف في الحيلة أجدى من الوسيلة.

وقال: لا تشاور من ليس في بيته دقيق.

---

(١) تنبيه المغترين على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر أواخر القرن العاشر ط التوفيقية ص/٢٢٠

(٢) تنبيه المغترين على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر أواخر القرن العاشر ط العلمية ص/١٧٤

وقال: ما ضحك من خطأ رجل إلا ثبت صوابه في قلبه.

وقال: الوقار في النزهة سخف.

وقال: ترك العادة ذنب مستحدث.

وقال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنة.

وقال: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال: من نم لك نم بك، ومن نقل إليك نقل عنك، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك، كذلك إذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك.

وقال: ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر، فيختار الخير، ولكن العاقل من يختار خيرهما.

وقال: ما أوردت الحق و ال حجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني.

قال: لا يكاد يجود شعر القرشي ولا خطه لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: ومنه أخذ القائل يخاطب شريفا: ما فيك من جدك النبي صلى الله عليه وسلم سوى أنك لا ينبغي لك الشعر.". (١)

١٠-"والرحمة واللعنة، والقرب والبعد ونسبة الفعل إلى المرضيين أو المسخوطين كالمؤمنين والمنافقين، والملائكة وإلى شياطين، وأهل الجنة والنار والطلب والمنع، وبيان الجزاء المترتب على الفعل، والتشبيه بمحمود في العرف أو مذموم، واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بفعله أو اجتنابه عنه مع حضور دواعيه.

التمييز بين درجات الرضا والسخط:

وأما التمييز بين درجات الرضا والسخط من الوجوب والندب والحرمة والكراهية: فأصرحه ما بين حال مخالفه مثل: «من لم يؤد زكاة ماله مثل له» الحديث، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ومن لا فلا حرج»، ثم اللفظ مثل يجب، ولا يحل، وجعل الشيء ركن الإسلام أو الكفر، والتشديد البالغ على فعله، أو تركه، ومثل - ليس من المروءة، ولا ينبغي -، ثم حكم الصحابة والتابعين في ذلك كقول عمر رضي الله عنه: إن سجدة التلاوة ليست بواجبة، وقول علي رضي الله عنه: إن الوتر ليس بواجب، ثم حال المقصد من كونه تكميلا لطاعة أو سدا لذريعة إثم أو من باب الوقار وحسن الأدب.

معرفة العلة والركن والشرط:

وأما معرفة العلة والركن والشرط: فأصرحها ما يكون بالنص مثل: «كل مسكر حرام»، «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب»، «لا تقبل صلاة أحدكم حتى يتوضأ»، ثم بالإشارة والإيماء مثل قول الرجل: «واقعت أهلي في رمضان قال: أعتق رقبة»،

(١) توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس لابن حجر ط ابن حزم ص/١٦٨

وتسمية الصلاة قياما وركوعا وسجودا يفهم أنها أركانها.
قوله صلى الله عليه وسلم: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين»، يفهم اشتراط الطهارة عند لبس الخفين، ثم أن يكثر الحكم بوجود الشيء عند وجوده أو عدمه
". (١)

١١-" والقياس ، وهو تمثيل صورة بصورة في علة جامعة بينهما مثل الحمص ربوى كالحنطة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ' أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان يجزى عنه ؟ قال نعم قال فاحجج عنه ' والله أعلم . (باب كيفية فهم المعاني الشرعية من الكتاب والسنة) واعلم أن الصيغة الدالة على الرضا والسخط هي الحب والبغض ، والرحمة واللعنة ، والقرب والبعد ونسبة الفعل إلى المرضيين أو المسخوطين كالمؤمنين والمنافقين ، والملائكة والشياطين ، وأهل الجنة والنار والطلب والمنع ، وبيان الجزاء المترتب على الفعل ، والتشبيه بمحمود في العرف أو مذموم ، واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بفعله أو اجتنابه عنه مع حضور دواعيه . وأما التمييز بين درجات الرضا والسخط من الوجوب والندب والحرمة والكراهية ، فأصرحه ما بين حال مخالفه مثل ' من لم يؤد زكاة ماله مثل له ' الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم ' ومن لا فلا حرج ' ، ثم اللفظ مثل يجب ، ولا يحل ، وجعل الشيء ركن الإسلام أو الكفر ، والتشديد البالغ على فعله ، أو تركه ، ومثل **– ليس من المروءة**، ولا ينبغي – ، ثم حكم الصحابة والتابعين في ذلك كقول عمر رضي الله عنه : إن سجدة التلاوة ليست بواجبة ، وقول علي رضي الله عنه : إن الوتر ليس بواجب ، ثم حال المقصد من كونه تكميلا لطاعة أو سدا لذريعة إثم أو من باب الوقار وحسن الأدب . وأما معرفة العلة والركن والشرط فأصرحها ما يكون بالنص مثل 'كل مسكر حرام ' ' لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب ' ' لا تقبل صلاة أحدكم حتى يتوضأ ' ، ثم بالإشارة والإيماء مثل قول الرجل : ' واقعت أهلي في رمضان قال : ' أعتق رقبة ' ، وتسمية الصلاة قياما وركوعا وسجودا يفهم أنها أركانها .

". (٢)

١٢-"عبد القادر رضي الله عنه يتوضأ يوما في المدرسة، فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فسقط ميتا، فلما أتم وضوءه غسل موضع البول من الثوب وخلعه وأعطانيه، وأمرني أن أبيعه وأتصدق بثمنه، وقال: هذا بهذا، نفع الله به (١).

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة

---

(١) حجة الله البالغة ط إحياء العلوم ١/٣٩٤
(٢) حجة الله البالغة ط دار الكتب الحديثة ص/٢٨٨

عن قاضي القضاة أبي صالح نصر قال: أخبرنا والدي عبد الرزاق قال: لم يحج والدي رحمه الله تعالى بعد أن اشتهر إلا مرة واحدة، وكنت فيها قائد زمام راحته في الطلعة والرجعة، فلما كنا في الحلة قال لنا: انظروا أفقر بيت هنا، فوجدنا خربة فيها بيت من شعر فيه شيخ وعجوز وصبية، فاستأذنه والدي في النزول عنده، فأذن له فنزل هو ومن معه بتلك الخربة، فجاء مشايخ الحلة يومئذ ورؤساؤها وأعيانها إليه، وسألوه أن يتحول إلى منازلهم أو إلى غيرها فأبى، فساق إليه أهل البلد من البقر والغنم والطعام والذهب والفضة والقماش شيئا كثيرا، ورحلوا له رواحل لأجل السفر، وأهرع الناس إليه من كل جانب، فقال الشيخ لمن معه: أنا قد خرجت عن نصيبي من جميع ما هنا لأهل هذا البيت، فقالوا له: ونحن كذلك، فأمر بجميع ما هنالك فأعطي لذلك الشيخ وصبيته، وبات الشيخ وارتحل في السحر، قال:

فاجتذت في الحلة بعد سنين، وإذا ذلك الشيخ من أكثر أهلها مالا، فقال لي: جميع ما ترى هو من بركة الشيخ محيي الدين عبد القادر.

نفع الله به في تلك الليلة، وإن تلك الماشية نتجت ونمت وهذا كله منها. رضي الله عن سيدي الشيخ عبد القادر ونفعنا به آمين.

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائة

عن الشيخ أبي محمد طلحة بن المظفر قال: قال شيخنا محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه:

أقمت ببغداد في بدء أمري عشرين يوما ما أجد ما أقتات به، ولا أجد مباحا، فخرجت إلى خراب إيوان كسرى أطلب مباحا، فوجدت فيه هنالك سبعين رجلا من الأولياء يطلبون ما أطلب، **فقلت: ليس من المروءة أن** أزاحمهم، فرجعت إلى بغداد، فلقيني رجل كنت أعرفه من بلد أهلي فأعطاني قراضة، فقال: هذه بعثت بها أمك إليك معي، فأخذت منها قطعة تركتها لنفسي، وأسرعت بالباقي إلى خراب الإيوان، وفرقت القراضة كلها على أولئك

(١) انظر: بهجة الأسرار (ص ١٩٨).". [١]

١٣-"فقال: أقبل على شأنك فإني سألت القاضي الإمام أبا عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فقد حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الطريثيثي وسألته عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، حدثنا (١) القاضي هناد بن إبراهيم وسألته عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي بن جزء (٢) المنقري البصري عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا أيوب الهاشمي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك فإني سألت الشافعي عن سنه، فقال لي: أقبل

(١) خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر ط الآثار ص/٢١٨

على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك ثم قال [لي] (٣): «ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه» (٤) قلت: وفي بعض الروايات: «فإنه إن كان صغيرا احتقر، وإن كان كبيرا استهرم» وقد يقال: إنما ذلك لئلا يكذب، لأن كثيرا من الناس لا توافق صورته سنه، فربما يظن به الكبر وهو صغير أو بالعكس.

وحدثني بالحديث المعروف بحديث الفقهاء، لأن رواته كلهم فقهاء وأئمة، وهو حديث ابن عمر المشهور:

«المتبايعان كل واحد منهما على صاحبه

(٥)

---

(١) في ط: أخبرنا

(٢) في ت وط: جزي.

(٣) زيادة من ت.

(٤) مرآة الزمان ٨/ ١٠٩.

(٥) في ت: يفترق.". [1]

١٤-"قلت: مخاطة في دلقي تحت إبطي فأمر بدلقي ففتق فوجد فيه أربعون دينارا، فقال لي: ما حملك على هذا الاعتراف، قلت: إن أمي عاهدتني على الصدق وأنا لا أخون عهدها. فبكى وقال: أنت لم تخن عهد أمك وإني إلى اليوم كذا وكذا سنة أخون عهد ربي فتاب على يدي فقال له أصحابه: أنت مقدمنا في قطع الطريق وأنت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوه منهم فهم أول من تاب على يدي. وقيل له رضي الله عنه: متى علمت إنك ولي الله تعالى، قال: كنت وأنا ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من دارنا وأذهب إلى المكتب فأرى الملائكة عليهم السلام تمشي حولي فإذا وصلت إلى المكتب سمعت الملائكة يقولون افسحوا لولي الله حتى يجلس فمر بنا يوما رجل ما عرفته يومئذ فسمع الملائكة يقولون ذلك فقال لأحدهم: ما هذا الصبي، فقال له أحدهم: هذا من بيت الأشراف، قال:

سيكون لهذا شأن عظيم هذا يعطي فلا يمن ع ويمكن فلا يحجب ويقرب فلا يمكر به، ثم عرفت ذلك الرجل بعد أربعين سنة فإذا هو من إبدال ذلك الوقت، وقال رضي الله عنه: كنت صغيرا في أهلي كلما هممت أن ألعب مع الصبيان أسمع قائلا يقول لي:

إلي يا مبارك فأهرب فزعا منه وألقي نفسي في حجر أمي وإني لا أسمع الآن هذا في خلواتي.

وقال الشيخ طلحة بن مظفر العلثمي: قال شيخنا عبد القادر رضي الله عنه: أقمت ببغداد عشرين يوما ما أجد ما أقتات به ولا أجد مباحا فخرجت إلى إيوان كسرى أطلب مباحا فوجدت هناك سبعين رجلا من الأولياء كلهم يطلبون، **فقلت:**

---

(١) رحلة العبدري القزاز (٧٢٠) ص/٢٩١

ليس من المروءة أن أزاحمهم، فرجعت إلى بغداد فلقيني رجل لا أعرفه من أهل بلدي فأعطاني قراضة وقال: هذه بعثت بها أمك إليك معي فأخذت منها قطعة تركتها لنفسي وأسرعت بالباقي إلى خراب الإيوان وفرقت القراضة على أولئك السبعين، فقالوا: ما هذا، قلت: إنه قد جاءني هذا من عند أمي وما رأيت أن أختص به دونكم ثم رجعت إلى بغداد واشتريت بالقطعة التي معي طعاما وناديت الفقراء فأكلنا جميعا.

وقال أبو بكر التيمي: سمعت سيدنا الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول: بلغت بي الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياما لا آكل فيها طعاما بل كنت أتتبع منبوذات أطعمها فخرجت يوما من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس والبقل وغير ذلك من المنبوذات أتقوت به فما ذهبت إلى موضع إلا وجدت غيري قد سبقني إليه، وإن أدركت شيئا وجدت جماعة من الفقراء ولا أستحسن مزاحمتهم عليه". (١)

١٥-" ٧١٧٦ **– ليس من المروءة الربح** على الإخوان

ابن عساكر عن ابن عمر ". (٢)

١٦-"المروءة

٧١٧٦- ليس من المروءة الربح على الإخوان. ابن عساكر عن ابن عمر.

٧١٧٧- من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه إذا حدثه، ومن حسن المماشاة أن يقف الأخ لأخيه إذا انقطع شسع نعله. "خط" عن أنس.

الإكمال

٧١٧٨- المروءة إصلاح المال. الديلمي عن إبان عن أنس.". (٣)

١٧-"قلت: تعيين الكبار، إنما يقبل، إذا كان – مع كبره – عاقلا، وعالما بالمصالح، ومجربا للأمور، وإلا فتقديم الكبار – لمجرد كبرهم في السن – غير مقبول؛ أما ولي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عتاب بن أسيد بمكة، وكان سنة نيفا وعشرين سنة، وأمر سعد بن أبي وقاص وسنه دون العشرين، وولي المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة، واستصغره الناس، فسألوه تعبيرا بذلك، فقالوا: كم سن القاضي؟ قال: سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة. فجعل جوابه احتجاجه. وولي الحجاج محمد بن القاسم، قتال الأكراد بفارس، فأبادهم، ثم ولاه السند والهند وسنه سبعة عشر، حتى قال فيه الشاعر:

---

(١) قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء ط العلمية (٩٦٣) ص/١٩٦

(٢) كنز العمال ط الرسالة =أخرى ٧٣١/٣

(٣) كنز العمال ط الرسالة =معدلة ٤٠٨/٣

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة ... ولداته إذ ذاك في أشغال
قعدت بهم لذاتهم وسمت به ... همم الملوك وسورة الأبطال

وقال شاعر آخر:
لا تعجبوا من علو همته ... وسنه في أوان منشاها
ان النجوم التي تضيء لنا ... أصغرها في العيون أعلاها

ولهذا **قيل: ليس من المروءة سؤال** الرجل عن سنه، لأنه ان كان شابا استصغروه، وان كان كبيرا استهرموه. وأظن أن قائله الامام مالك رضي الله عنه. والله أعلم.

واعلم: ان على السلطان وظائف كثيرة، مستوفاة في كتب وضعت في هذا الشأن، إلا أنا نذكرها هنا بعضا من الوظائف التي لا مندوحة عنها أصلا.

منها: تجنيد الجنود، واقامة فرض الجهاد، لاعلاء كلمة الله تعالى. فان الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيسا آكلا شاربا مستريحا، بل لينصر الدين و يعلي الكلمة. فمن تقاعد عن هذا، وأخذ في أخذ أموال المسلمين ظلما، فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين، واستحق المقت والخذلان من الله الكريم المنان.". [(١)]

١٨-"حر (١). وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام (٢). قال: وسمعت الشافعي يقول: أرفع الناس قدرا، من لا يرى قدره، وأكثر الناس فضلا، من لا يرى فضله (٣). وقال المزني: سمعت الشافعي يقول: من ولي القضاء، فلم يفتقر فهو لص (٤). وقال محمد بن إسماعيل الخولاني: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال لي الشافعي: يا أبا موسى، إذا كثرت عليك الحوايج، فابدأ بأهمها (٥). وقال أبو سعيد الحسن بن عامر: قال: سمعت الربيع يقول: قال الشافعي: يقال: ليس بعاقل من لم يأكل مع عدوه في غضارة ثلاثين سنة (٦). وقال ابن خزيمة: سمعت المزني يقول: سمعت الشافعي يقول: الشفاعات بركات المروءات (٧). وعن الربيع قال الشافعي: ليس في الطيب سرف (٨). وقال الطحاوي: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال الشافعي: الوقار في النزهة سخف (٩). وقال البويطي: قال **الشافعي: ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه قال الحاكم أبو عبد الله: هذا صيانة كثيرة للمروءة، وهي أن المخبر بسنه، لابد من أن يكون بين مصدق ومكذب. فقائل يقول: نقص من سنه رغبة في الشباب، وأخر يقول: زاد في سنه طلبا للتشايخ، ثم إن كان من أهل العلم، قيل: حتى لقي فلانا وهو صغير (١٠)؟

---

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ط العلمية ٣٨٩/١

وقال أحمد بن مدرك الرازي: حدثنا حرملة بن يحيي قال: سمعت الشافعي يقول: ما حلفت بالله قط صادقا ولا كاذبا (١١). وقال يوسف بن عبد الأحد: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال لي الشافعي: يا أبا موسى قد أنست بالفقر حتى صرت

---

(١) نفسه.

(٢) الذهبي: سير النبلاء ١٠/ ٩٩، ومناقب البيهقي ٢/ ٢٠٠.

(٣) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠١.

(٤) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٣.

(٥) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٤.

(٦) مناقب البيهقي (٢/ ٢٠٦) والغضارة: صحفة من طين.

(٧) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٦.

(٨) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٦.

(٩) مناقب البيهقي ٥/ ٢١٢.

(١٠) مناقب البيهقي ٢/ ٢١٥.

(١١) الذهبي: سير النبلاء ١٠/ ٣٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٥٤، وتاريخ ابن عساكر ١٥/ ١٢/ ١.". [1]

١٩-"حر (١). وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام (٢). قال: وسمعت الشافعي يقول: أرفع الناس قدرا، من لا يرى قدره، وأكثر الناس فضلا، من لا يرى فضله (٣). وقال المزني: سمعت الشافعي يقول: من ولي القضاء، فلم يفتقر فهو لص (٤). وقال محمد بن إسماعيل الخولاني: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال لي الشافعي: يا أبا موسى، إذا كثرت عليك الحوايج، فابدأ بأهمها (٥). وقال أبو سعيد الحسن بن عامر: قال: سمعت الربيع يقول: قال الشافعي: يقال: ليس بعاقل من لم يأكل مع عدوه في غضارة ثلاثين سنة (٦). وقال ابن خزيمة: سمعت المزني يقول: سمعت الشافعي يقول: الشفاعات بركات المروءات (٧). وعن الربيع قال الشافعي: ليس في الطيب سرف (٨). وقال الطحاوي: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال الشافعي: الوقار في النزهة سخف (٩). وقال البويطي: قال **الشافعي: ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه قال الحاكم أبو عبد الله: هذا صيانة كثيرة للمروءة، وهي أن المخبر بسنه، لابد من أن يكون بين مصدق ومكذب. فقائل يقول: نقص من سنه رغبة في الشباب، وأخر يقول: زاد في سنه طلبا للتشايخ، ثم إن كان من أهل العلم، قيل: حتى لقي فلانا وهو صغير (١٠)؟

---

(١) مناقب الإمام الشافعي وطبقات أصحابه ط البشائر ص/٨٥

وقال أحمد بن مدرك الرازي: حدثنا حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي يقول:
ما حلفت بالله قط صادقا ولا كاذبا (١١). وقال يوسف بن عبد الأحد: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال لي الشافعي: يا أبا موسى قد أنست بالفقر حتى صرت

---

(١) نفسه.

(٢) الذهبي: سير النبلاء ١٠/ ٩٩، ومناقب البيهقي ٢/ ٢٠٠.

(٣) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠١.

(٤) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٣.

(٥) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٤.

(٦) مناقب البيهقي (٢/ ٢٠٦) والغضارة: صحفة من طين.

(٧) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٦.

(٨) مناقب البيهقي ٢/ ٢٠٦.

(٩) مناقب البيهقي ٥/ ٢١٢.

(١٠) مناقب البيهقي ٢/ ٢١٥.

(١١) الذهبي: سير النبلاء ١٠/ ٣٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٥٤، وتاريخ ابن عساكر ١٥/ ١٢/ ١." [1]

٢٠-"فيها وإن لم يجد إلا سترا لأحد فرجيه فثالثها يخير ومن عجز صلى عريانا فإن اجتمعوا بظلام فكالمستورين وإلا تفرقوا فإن لم يمكن صلوا قياما غاضين إمامهم وسطهم وإن علمت في صلاة بعتق مكشوفة رأس أو وجد عريان ثوبا استترا إن قرب وإلا أعاد بوقت

-

تنبيه : قال الشيخ أحمد زروق في شرح الرسالة في باب الفطرة والختان ما نصه: حكى ابن القطان في نظر الإنسان عورته من غير ضرورة قولين بالكراهة والتحريم، قال الترمذي الحكيم: ومن داوم على ذلك ابتلي بالزنا انتهى كلام الشيخ زروق. والذي رأيته في أحكام النظر لابن القطان إنما هو قول عن بعض العلماء بالكراهة ورده وكذلك اختصره القباب وهذا نص ما اختصره القباب.

مسألة : هل يجوز نظر الإنسان إلى فرج نفسه من غير حاجة إلى ذلك كرهه بعض الفقهاء ولا معنى له ولعله أراد **أنه ليس من المروءة وإلا** فلا مانع من جهة الشرع انتهى، وإنما ذكرت عبارة المختصر لأنها حازت فقه الأصل جميعه وحذفت أدلته وأبحاثه والله أعلم.

---

(١) مناقب الإمام الشافعي وطبقات أصحابه ط البشائر ص/٨٥

ص: "وإن لم يجد إلا سترا لأحد فرجيه" ش:قال في التوضيح في باب التيمم في شرح قوله: ما صح عن المازري: يجب عليه ستر ما قدر من عورته إذا لم يجد ما يكفيه إلا لبعضها انتهى. ص:"فإن علمت في صلاة بعتق مكشوفة رأس أو وجد عريان ثوبا استترا إن قرب وإلا أعادا بوقت" ش:يعني أن الأمة إذا صلت مكشوفة الرأس ثم علمت بالعتق في الصلاة فإنها". (١)

٢١-"يقول هذا الإمام الجليل: " أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويد الله بيده يرفعه "، كلام جميل جدا، إنسان له ماض، فهذا حاطب بن أبي بلتعة صحابي جليل، ضبط متلبسا بخيانة عظمى، أرسل كتابا إلى قريش مع امرأة وهذا الكتاب يفشي سر رسول الله عليه الصلاة والسلام، يقول لقريش: إن محمدا سوف يغزوكم فخذوا حذركم، هذا الخبر في مقاييس العالم كله خيانة عظمى يستحق الإعدام، جاء الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام، وأخبره الخبر، فأرسل أحد أصحابه إلى المرأة وهي في الطريق فانتزع منها الكتاب، واستدعى النبي حاطب بن أبي بلتعة، وقال له: ما هذا يا حاطب؟ فقال سيدنا عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. والقتل جزاء عادل له، ولكن هنا عظمة رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال: لا يا عمر إنه شهد بدرا، فالهدر أي أن تهدر للإنسان ماضيه، تهدر له عمله الطيب لإساءة كبيرة أو صغيرة، فهذا ليس من المروءة، وقال حاطب: يا رسول الله ما كفرت ولا ارتددت، وذكر له عذره، فالنبي الكريم قال:
" إني صدقته فصدقوه، ولا تقولوا فيه إلا خيرا ".
(ورد في الأثر)
حتى إن كتاب السيرة، قالوا: " نظر عمر إلى ذنبه، ونظر النبي إلى صاحب الذنب، فرأى أن ذنبه لحظة ضعف طارئة ألمت به، فأعانه على نفسه، وأنهضه، وصلح عمله، وأرسله بعد حين رسوله الشخصي إلى بعض الملوك، واستحق أعلى مراتب الإيمان ".
ماذا يقول هذا الإمام الجليل؟ أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويد الله بيده يرفعه، أي إن الله عز وجل وفي، فإذا كان لك ماض طيب، إذا كانت لك استقامتك، وأعمالك الصالحة، ودعوتك إلى الله، ثم حدث خطأ أخذ الله عز وجل بيدك ليؤدبك، ولكن الله عز وجل لا يتخلى عنك، وهذا من أجل الطمأنينة.". (٢)

٢٣-"٢٥٩٩ - حدثنا مطر بن الفضل فذكر عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة [١]، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين.
[خ¦٣٩٠٢]
ص ٣٠٣

---

(١) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل ط عالم الكتب ١٩٣/٢
(٢) الخلفاء الراشدين ص/٩

[١] في هامش الأصل: حديث عن خيثمة بن سليمان بن حيدرة القرشي قال: سمعت أبا إسماعيل الترمذي يقول: سمعت البويطي يقول: سئل الشافعي كم سنك أو مولدك؟ **فقال: ليس من المروءة أن** يخبر الرجل بسنه. وعن خيثمة بن سليمان أيضا قال: سمعت أبا إسماعيل يقول: سمعت عبد العزيز الأويسي قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله كم سنك؟ قال: أقبل على شأنك.". (١)

٢٤-"وقال: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تلفت النظر إلى هذه النعمة.

فقوله: ﴿ومن آياته﴾ أي: من نعمه تبارك وتعالى التي تستحق الشكر، وتستحق المحافظة عليها ﴿أن خلق لكم﴾ خلقنا من ذكر وأنثى، فخلق الذكر للأنثى؛ لأنها لا تستقر حياتها من دونه، وخلق الأنثى للذكر لأنه لا يستقر عيشه بدونها. فهي آية ونعمة اختص بها الإنسان؛ إذ ألهمه الله جعل قرين له، وجبله على نظام محبة وغيرة، لا يسمحان له بإهمال زوجه، كما تهمل العجماوات إناثها، وتنصرف إناثها عن ذكورها، وجعل البنين للإنسان نعمة، وجعل كونهم من زوجة نعمة أخرى؛ لأن بها تحقق كونهم أبناءه بالنسبة للذكر، ودوام اتصالهم به بالنسب، ووجود المشارك له في القيام بتدبير أمرهم في حالة ضعفهم ٥١.

والخطاب بضمير الجماعة المخاطبين في قوله: (جعل لكم) موجه إلى الناس كلهم، وغلب ضمير التذكير ٢5.

وفي النكاح نعمة أخرى؛ إذ جعل قرين الإنسان متكونا من نوعه، فقال: ﴿من أنفسكم﴾ ولو لم يجعل له ذلك لاضطر الإنسان إلى طلب التأنس بنوع آخر، فلم يحصل التأنس بذلك للزوجين، وهذه الحالة وإن كانت موجودة في أغلب أنواع الحيوان، فهي نعمة يدركها الإنسان، ولا يدركها غيره من الأنواع، وليس من قوام ماهية النعمة أن ينفرد بها المنعم عليه ٥٣.

ومعنى: ﴿من أنفسكم﴾ أي: جعل هذه الزوجة من نوعكم ومن جنسكم من بني آدم، فجميع الأزواج من نوع الناس، وأما قول تأبط شرا ٥٤:

وتزوجت في الشبيبة غولا

بغزال وصدقتي زق خمر

فمن تكاذيبهم، وكذلك ما يزعمه المشعوذون من التزوج بالجنيات، وما يزعمه أهل الخرافات والروايات من وجود بنات في البحر، وأنها قد يتزوج بعض الإنس ببعضها ٥٥.

ويدل على أن ﴿من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم قوله تعالى: ﴿لتسكنوا إليها﴾ [الروم: ٢١].

لأن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر، أي: لا يثبت نفسه معه، ولا يميل قلبه إليه ٥٦.

---

(١) مختصر الجامع الصحيح للبخاري ص/٣٣٥٧

وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ٥٧. ولو تصورنا أن الله تعالى جعل الزوجين من غير جنس واحد، فلن يشعرا بالسرور واللذة أبدا، ولكن الله تبارك وتعالى خلقهما من جنس واحد، يميل أحدهما إلى الآخر، ويأنس به، فسبحان الله العليم الحكيم.

ومعنى: ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: لتميلوا للأزواج، وتألفوهن، فإن الجنس إلى الجنس أسكن، والسكون هنا مستعار للتأنس، وفرح النفس؛ لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم، كما قالوا: اطمأن إلى كذا، وانقطع إلى كذا، وضمن ﴿لتسكنوا﴾ معنى: (لتميلوا) فعدي بحرف (إلى) وإن كان حقه أن يعلق بـ (عند) ونحوها من الظروف ٥٨.

والسكن إلى المرأة يشمل سكن النفس وسكن الجسم، وهذه إحدى الحكم الإلهية من وراء الزواج.

وجعل الله بين الزوجين المودة و الرحمة، فقال: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

أي: جعل بين الزوجين المودة والرحمة، فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة، ولا قرابة، ولا سبب يوجب التعاطف، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر، من غير تراحم بينهما، وهذا لا يحصل إلا للزوجين، فالمودة وحدها آصرة عظيمة، وهي آصرة الصداقة والأخوة وتفاريعهما، والرحمة وحدها آصرة منها الأبوة والبنوة، فما ظنكم بآصرة جمعت الأمرين! وكانت بجعل الله تعالى، وما هو بجعل الله فهو في أقصى درجات الإتقان ٥٩.

والمودة والرحمة من أجمل المشاعر التي خلقها الله، فإذا وجد ذلك كله مع الشعور بالحل والهداية إلى الفطرة، ومرضاة الله سبحانه وتعالى كملت هذه المتعة، ولم ينقصها شيء، وقد ساعد على ذلك بالطبع الأصل الأول للخلق وغريزة الميل التي خلقها الله في كل من الذكر والأنثى للآخر.

فلا ألفة أعظم مما بين الزوجين؛ ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه، فقال: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢].

فلشدة ارتباط هذه العلاقة بين الزوجين فلا يستطيع أحد التفريق بينهما، إلا أن يكون هذا التفريق باستعمال مفسدات لعقل أحد الزوجين حتى يبغض زوجه، وإما بإلقاء الحيل والتمويهات والنميمة حتى يفرق بينهما؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢].

ولعل في قوله: ﴿مودة ورحمة﴾ إشارة إلى أن الزواج الناجح لا بد أن تسوده المودة والرحمة؛ ولهذا يجب المحافظة على هذه المودة حتى في حالة الغضب والصعوبات؛ لتستمر الحياة هادئة وسعيدة، فالمودة هي الأساس في بداية العلاقة الزوجية، فلا زواج ناجح من دون الحب بين الطرفين، ولعل الزوجة هي الأقدر في إظهار هذا الجانب وتفعيله مع الزوج.

ثم قال: ﴿إن في ذلك﴾ [الروم: ٢١].

الذي ذكر من ﴿لآيات﴾ جمع، مع أنها -في الحقيقة- آية واحدة، إلا أنها تنطوي على عدة آيات، منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه، ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجا عنيفا، أو مهلكا كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل

التزاوج متجاهلين، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما، فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة؛ ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل، ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة، في قوله: ﴿إن في ذلك لآيات﴾

وجعلت الآيات لقوم يتفكرون؛ فقال: ﴿لقوم يتفكرون﴾؛ لأن التفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها، ويزيد الناظر بصارة بمنافع أخرى في ضمنها.

ويتفكرون أي: في عظمة الله وقدرته، فهو متعلق بـ ﴿لآيات﴾ والذين يتفكرون: المؤمنون، وأهل الرأي من المشركين الذين يؤمنون بعد نزول هذه الآية ٦٠.

هكذا يصور القرآن العلاقة الزوجية تصويرا رفافا شفيفا، يشع منه التعاطف، وترف فيه الظلال، ويشيع فيه الندى، ويفوح منه العبير: ﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهي صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن والقرار، وهي صلة المودة والرحمة، وهي صلة الستر والتجمل.

إن الإنسان ليحس في الألفاظ ذاتها حنوا ورفقا، ويستروح من خلالها نداوة وظلا، وإنها لتعبير كامل عن حقيقة الصلة التي يفترضها الإسلام لذلك الرباط الإنساني الرفيق الوثيق؛ ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرباط كلها، بـما فيها امتداد الحياة بالنسل، فيمنح هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجديتها، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها؛ ذلك حين يقول: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فيلحظ كذلك معنى الإخصاب والإكثار ٦١.

وأخبر الله تعالى أيضا في الآية الأخرى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم من أزواجهم أولادا تقر بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، فقال: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ [النحل: ٧٢].

والحفدة في كلام العرب: جمع حافد، كما أن الكذبة: جمع كاذب، والفسقة: جمع فاسق، والحافد في كلامهم؛ هو المتخفف في الخدمة والعمل، والحفد: خفة العمل، يقال: مر البعير يحفد حفدانا: إذا مر يسرع في سيره، ومنه قولهم: (إليك نسعى ونحفد) ٦٢ أي: نسرع إلى العمل بطاعتك، يقال منه: حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ٦٣. ومنه قول الراعي ٦٤:

كلفت مجهولها نوقا يمانية

إذا الحداة على أكسائها حفدوا

وعلى هذا فالمراد بالحفدة الأولاد، أو هم الأصهار أختان الرجل على بناته، ومنه قول الشاعر ٦٥:

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت

لها حفد مما يعد كثير

ولكنها نفس علي أبية

عيوف لأصهار اللئام قذور

وقد يكون المراد بهم أولاد الأولاد، أو بنو امرأة الرجل من غيره، أو يكون المراد بهم: الأعوان، أو: الخدم، ومنه قول جميل ٦٦:

حفد الولائد حولهم وأسلمت

بأكفهن أزمة الأجمال

وذهب بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿بنين وحفدة﴾ إلى أن البنين الصغار، والحفدة الكبار ٦٧.

وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل، المتخففون فيها.

وكان الله تعالى أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا، وخدمنا من مماليكنا إذا كانوا يحفدوننا، فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولا بحجة عقل على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم. فكل الأقوال التي ذكرنا لها وجه في الصحة، ومخرج في التأويل ٦٨.

وهي أقوال متقاربة؛ لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك.

وبالجملة فإن الحفدة هم غير البنين؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿بنين وحفدة﴾ فجعل بينهما مغايرة ٦٩.

قال الرازي: والأولى دخول الكل فيه؛ لأن اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك ٧٠.

وأطلق الحافد على ابن الابن؛ لأنه يكثر أن يخدم جده؛ لضعف الجد بسبب الكبر، فأنعم الله على الإنسان بحفظ سلسلة نسبه بسبب ضبط الحلقة الأولى منها، وهي كون أبنائه من زوجه، ثم كون أبناء أبنائه من أزواجهم، فانضبطت سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع.

وغير الإنسان من الحيوان لا يشعر بحفدته أصلا، ولا يشعر بالبنوة إلا أنثى الحيوان مدة قليلة قريبة من الإرضاع، والحفدة للإنسان زيادة في مسرة العائلة.

قال تعالى: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ [هود: ٧١] ٧١.

ثم قال تعالى في الآية الثالثة: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [النساء: ١].

يعني: آدم، وفي ذلك نعمة عليكم؛ لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم، ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: حواء. وقوله: ﴿منها﴾ أي: من آدم، فالنفس الواحدة: هي آدم، والزوج: حواء، فإن حواء أخرجت من آدم، من ضلعه، كما يقتضيه ظاهر قوله: ﴿منها﴾. وقال بعضهم: معنى: ﴿منها﴾ من جنسها، واللفظ يتناول المعنيين، أو يكون لحمها وجواهرها من ضلعه، ونفسها من جنس نفسه.

فإن قيل: إنه تعالى قادر على خلق حواء من التراب، فأي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم؟ والجواب: أن

الأمر لو كان كذلك لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة، وهو خلاف النص، وخلاف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن ذهبت تقيمها كسرتها) ٧٢٧٣.

و (من) في قوله: ﴿منها﴾ تبعيضية، ومعنى التبعيض أن حواء خلقت من جزء من آدم، قيل: من بقية الطينة التي خلق منها آدم، وقيل: فصلت قطعة من ضلعه، وهو ظاهر قوله في الحديث: (خلقت من ضلع). ومن قال: إن المعنى: وخلق زوجها من نوعها لم يأت بطائل؛ لأن ذلك لا يختص بنوع الإنسان، فإن أنثى كل نوع هي من نوعه ٧٤.

وقد شمل قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ العبرة بهذا الخلق العجيب الذي أصله واحد، ويخرج هو مختلف الشكل والخصائص، والمنة على الذكران بخلق النساء لهم، والمنة على النساء بخلق الرجال لهن، ثم من على النوع بنعمة النسل في قوله: ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ مع ما في ذلك من الاعتبار بهذا التكوين العجيب.

ومعنى: ﴿وبث منهما﴾ البث: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة، أي: نشر وأظهر، رجالا كثيرا ونساء، كقوله تعالى: ﴿كالفراش المبثوث﴾ [القارعة: ٤].

أي: المنتشر، يعني: خلق منهما يعني من آدم وحواء، ونشر منهما رجالا كثيرا ونساء، وذكر هذا كله لبيان القدرة؛ وإظهار المنة.

وحصره ذريتها إلى نوعين الرجال والنساء في قوله: ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ مقتض أن الخنثى ليس بنوع مستقل، وأنه وإن فرضناه مشكل في الظاهر فله حقيقة ترده إلى أحد هذين النوعين ٧٥. ووصف الرجال وهو جمع بـ (كثير) وهو مفرد؛ لأن كثير يستوي فيه المفرد والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾ [آل عمران: ١٤٦]. واستغنى عن وصف النساء بكثير لدلالة وصف الرجل به ما يقتضيه فعل البث من الكثرة ٧٦.

وقد تعرف الله تعالى في هذه الآية إلى العقلاء على كمال القدرة بما ألاح من براهين الربوبية، ودلالات الحكمة حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد، على اختلاف هيئتهم، وتفاوت صورهم، وتباين أخلاقهم، وإن اثنين منهم لا يتشابهان، فلكل وجه في الصورة والخلق، والهمة والحالة، فسبحان من لا حد لمقدوراته، ولا غاية لمعلوماته ٧٧.

وخلق أشخاص غير محصورة من إنسان واحد مع تغاير أشكالهم، وتباين أمزجتهم، واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر، وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير .. ، فإذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة، وأظهروا التواضع، وحسن الخلق ٧٨.

رابعا: وصفه بالميثاق الغليظ:

وصف الله عقد النكاح بالميثاق الغليظ في سياق النهي عن الرجوع في شيء مما أعطى الأزواج زوجاتهم، ولو كان المعطى قنطارا، وبين أن أخذه بهتانا وإثما مبينا، وبين أن السبب المانع من أخذ شيء منه هو أنه أفضى إليها بالجماع، فقال: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا (٢٠) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ [النساء: ٢٠ – ٢١].

والمعنى: فمتى ﴿أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أي: تطليق زوجة وتزوج أخرى، أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج. ولكن إذا ﴿وآتيتم إحداهن﴾ أي: المفارقة، أو التي تزوجها ﴿قنطارا﴾ أو أقل أو أكثر، أي: من الذهب أو الفضة،

مهرا وصداقا، والمقصود: مالا كثيرا، فلا تأخذوا منه شيئا. والنهي بعده يدل على عموم ما آتاها، سواء كان مهرا، أو غيره ٧٩. والسبب أنه قد صار بينهما من الاختلاط والامتزاج ما لا يناسب أن يأخذ شيئا مما آتاها، سواء كان المهر أو غير المهر.

فلا يمتنع أن يكون أول الخطاب عموما في جميع ما تضمنه الاسم، ويكون المعطوف عليه بحكم خاص فيه، ولا يوجب ذلك خصوص اللفظ الأول. قال أبو بكر الرازي (الجصاص): ويحتج به –أي بهذه الآية– فيمن أسلف امرأته نفقتها لمدة، ثم ماتت قبل المدة أنه لا يرجع في ميراثها بشيء مما أعطاها لعموم اللفظ؛ لأنه جائز أن يريد أن يتزوج بأخرى بعد موتها مستبدلا بها مكان الأولى، فظاهر اللفظ قد تناول هذه الحالة ٨٠.

وفي الآية دليل على جواز الإصداق بالمال الكثير؛ لأن القنطار: المال الكثير الذي هو أقصى ما يتصور من مهور؛ ولأن الله تعالى لا يمثل إلا بمباح ... ، وقال قوم: لا تعطى الآية جواز المغالاة في المهور؛ لأن التمثيل بالقنطار إنما هو على جهة المبالغة كأنه قال: وآتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد.

فالآية الكريمة وإن كانت تفيد جواز الإصداق بالمال الجزيل إلا أن الأفضل عدم المغالاة في ذلك، مع مراعاة أحوال الناس من حيث الغنى والفقر وغيرهما ٨١.

وقد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية، وعدم مصلحة تقاوم.

وضمير ﴿إحداهن﴾ راجع إلى النساء، وهي المرأة التي يراد طلاقها ٨٢.

ثم قال: ﴿أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ بل أدوه أي: مباهتين وآثمين، أو بالبهتان والإثم الظاهر، والبهتان: الكذب الذي يبهت المكذوب عليه، فالبهتان كالشكران والغفران مصدر بهته كمنعه، إذا قال عليه ما لم يفعل ٨٣.

والاستفهام في ﴿أتأخذونه﴾ إنكاري، وانتصب ﴿بهتانا﴾ على الحال من الفاعل في (تأخذونه) بتأويله باسم الفاعل، أي: مباهتين، وإنما جعل هذا الأخذ بهتانا؛ لأنهم كان من عادتهم إذا كرهوا المرأة، وأرادوا طلاقها رموها بسوء المعاشرة، واختلفوا عليها ما ليس فيها؛ لكي تخشى سوء السمعة، فتبذل للزوج مالا فداء ليطلقها. فصار أخذ المال من المرأة عند الطلاق مظنة بأنها أتت ما لا يرضي الزوج، فقد يصد ذلك الراغبين في التزوج عن خطبتها.

وأما وصفه الإثم بكونه ﴿مبينا﴾ لأنه قد صار معلوما للمخاطبين من قوله: ﴿فلا تأخذوا منه شيئا﴾ أو من آية البقرة: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾ أو مما تقرر عندهم من أن حكم الشريعة في الأموال أن لا تحل إلا عن طيب نفس ٨٤.

ثم استعظم ذلك فقال: ﴿وكيف تأخذونه﴾ استفهام تعجبي بعد الإنكار، **أي: ليس من المروءة أن** تطمعوا في أخذ عوض عن الفراق بعد معاشرة امتزاج، وعهد متين ٨٥.

فالمقصود أنه علل النهي من الأخذ بعلتين:

الأولى: الإفضاء وخلوص كل زوج لنفس صاحبه، حتى صارا كأنهما نفس واحدة.

والثانية: الميثاق الغليظ الذي أخذ على الرجال بأن يعاملوا النساء معاملة كريمة.

فقوله: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ الواو هنا: للحال، والجملة بعدها: في محل نصب، وأتى بـ (قد)؛ ليقرب الماضي من الحال ٨٦.

وأصل أفضى: ذهب إلى فضاه أي: ناحية سعته، يقال: أفضى فلان إلى فلان أي: وصل إليه، وأصله أنه صار في فضائه وفرجته، وقيل: أصل الإفضاء الوصول إلى الشيء من غير واسطة، والمعنى: خلص الزوج إلى عورة زوجته، والزوجة كذلك.

وهذا الإفضاء يحتمل أنه: كناية عن الجماع، وعلى هذا فالزوج إذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع في نصف المهر وإن خلا بها، أو يكون الإفضاء هو الخلوة وإن لم يجامعها، بأن يكون معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها؛ لأن الخلوة في الأنكحة الصحيحة تقرر المهر ٨٧.

وقيل: إذا طال مكثه معها السنة ونحوها، واتفقا على ألا مسيس، وطلبت المهر كله كان لها، والظاهر أن المراد بالإفضاء الجماع لوجوه:

أحدها: ما تقدم من المعنى اللغوي للإفضاء: أنه يصير في فرجته وفضائه، وهذا المعنى إنما يحصل في الحقيقة عند الجماع، أما في غير وقت الجماع فهذا غير حاصل.

وثانيها: أنه تعالى ذكر في معرض التعجب، فقال: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ والتعجب إنما يتم إذا كان هذا الإفضاء سببا قويا في حصول الألفة والمحبة؛ وذلك لا يحصل بمجرد الخلوة، وإنما يحصل بالجماع، فيحمل عليه.

وثالثها: أن الإفضاء إليها لا بد وأن يكون مفسرا بفعل منه ينتهي إليه؛ لأن كلمة (إلى) لانتهاء الغاية، ومجرد الخلوة ليس كذلك؛ لأن عند الخلوة المحضة لم يصل كل واحد منهما إلى الآخر، فامتنع تفسير قوله: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ بمجرد الخلوة ٨٨.

ورابعها: أن المهر قبل الخلوة ما كان متقررا، وقد علق الشرع تقريره على إفضاء البعض إلى البعض، وقد اشتبه في المراد بهذا الإفضاء هل هو الخلوة أو الجماع؟ وإذا وقع الشك وجب بقاء ما كان على ما كان، والأصل براءة الذمة ٨٩.". (١)

٢٥-"وقال: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تلفت النظر إلى هذه النعمة.

فقوله: ﴿ومن آياته﴾ أي: من نعمه تبارك وتعالى التي تستحق الشكر، وتستحق المحافظة عليها ﴿أن خلق لكم﴾ خلقنا من ذكر وأنثى، فخلق الذكر للأنثى؛ لأنها لا تستقر حياتها من دونه، وخلق الأنثى للذكر لأنه لا يستقر عيشه بدونها.

فهي آية ونعمة اختص بها الإنسان؛ إذ ألهمه الله جعل قرين له، وجبله على نظام محبة وغيرة، لا يسمحان له بإهمال زوجه، كما تهمل العجماوات إناثها، وتنصرف إناثها عن ذكورها، وجعل البنين للإنسان نعمة، وجعل كونهم من زوجة

---

(١) موسوعة التفسير الموضوعي (مرتبة حسب الأحرف) ص/٢

نعمة أخرى؛ لأن بها تحقق كونهم أبناءه بالنسبة للذكر، ودوام اتصالهم به بالنسب، ووجود المشارك له في القيام بتدبير أمرهم في حالة ضعفهم ٥١.

والخطاب بضمير الجماعة المخاطبين في قوله: (جعل لكم) موجه إلى الناس كلهم، وغلب ضمير التذكير 25.

وفي النكاح نعمة أخرى؛ إذ جعل قرين الإنسان متكونا من نوعه، فقال: ﴿من أنفسكم﴾ ولو لم يجعل له ذلك لاضطر الإنسان إلى طلب التأنس بنوع آخر، فلم يحصل التأنس بذلك للزوجين، وهذه الحالة وإن كانت موجودة في أغلب أنواع الحيوان، فهي نعمة يدركها الإنسان، ولا يدركها غيره من الأنواع، وليس من قوام ماهية النعمة أن ينفرد بها المنعم عليه ٥٣.

ومعنى: ﴿من أنفسكم﴾ أي: جعل هذه الزوجة من نوعكم ومن جنسكم من بني آدم، فجميع الأزواج من نوع الناس، وأما قول تأبط شرا ٥٤:

وتزوجت في الشبيبة غولا

بغزال وصدقتي زق خمر

فمن تكاذيبهم، وكذلك ما يزعمه المشعوذون من التزوج بالجنيات، وما يزعمه أهل الخرافات والروايات من وجود بنات في البحر، وأنها قد يتزوج بعض الإنس ببعضها ٥٥.

ويدل على أن ﴿من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم قوله تعالى: ﴿لتسكنوا إليها﴾ [الروم: ٢١].

لأن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر، أي: لا يثبت نفسه معه، ولا يميل قلبه إليه ٥٦.

وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ٥٧. ولو تصورنا أن الله تعالى جعل الزوجين من غير جنس واحد، فلن يشعرا بالسرور واللذة أبدا، ولكن الله تبارك وتعالى خلقهما من جنس واحد، يميل أحدهما إلى الآخر، ويأنس به، فسبحان الله العليم الحكيم.

ومعنى: ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: لتميلوا للأزواج، وتألفوهن، فإن الجنس إلى الجنس أسكن، والسكون هنا مستعار للتأنس، وفرح النفس؛ لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم، كما قالوا: اطمأن إلى كذا، وانقطع إلى كذا، وضمن ﴿لتسكنوا﴾ معنى: (لتميلوا) فعدي بحرف (إلى) وإن كان حقه أن يعلق بـ (عند) ونحوها من الظروف ٥٨.

والسكن إلى المرأة يشمل سكن النفس وسكن الجسم، وهذه إحدى الحكم الإلهية من وراء الزواج.

وجعل الله بين الزوجين المودة والرحمة، فقال: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

أي: جعل بين الزوجين المودة والرحمة، فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة، ولا قرابة، ولا سبب يوجب التعاطف، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر، من غير تراحم بينهما، وهذا لا يحصل إلا للزوجين، فالمودة وحدها آصرة عظيمة، وهي آصرة الصداقة والأخوة وتفاريعهما، والرحمة وحدها آصرة منها الأبوة والبنوة، فما ظنكم بآصرة جمعت الأمرين! وكانت بجعل الله تعالى، وما هو بجعل الله فهو في أقصى درجات الإتقان ٥٩.

والمودة والرحمة من أجمل المشاعر التي خلقها الله، فإذا وجد ذلك كله مع الشعور بالحل والهداية إلى الفطرة، ومرضاة

الله سبحانه وتعالى كملت هذه المتعة، ولم ينقصها شيء، وقد ساعد على ذلك بالطبع الأصل الأول للخلق وغريزة الميل التي خلقها الله في كل من الذكر والأنثى للآخر.

فلا ألفة أعظم مما بين الزوجين؛ ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه، فقال: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢].

فلشدة ارتباط هذه العلاقة بين الزوجين فلا يستطيع أحد التفريق بينهما، إلا أن يكون هذا التفريق باستعمال مفسدات لعقل أحد الزوجين حتى يبغض زوجه، وإما بإلقاء الحيل والتمويهات والنميمة حتى يفرق بينهما؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢].

ولعل في قوله: ﴿مودة ورحمة﴾ إشارة إلى أن الزواج الناجح لا بد أن تسوده المودة والرحمة؛ ولهذا يجب المحافظة على هذه المودة حتى في حالة الغضب والصعوبات؛ لتستمر الحياة هادئة وسعيدة، فالمودة هي الأساس في بداية العلاقة الزوجية، فلا زواج ناجح من دون الحب بين الطرفين، ولعل الزوجة هي الأقدر في إظهار هذا الجانب وتفعيله مع الزوج.

ثم قال: ﴿إن في ذلك﴾ [الروم: ٢١].

الذي ذكر من ﴿لآيات﴾ جمع، مع أنها-في الحقيقة- آية واحدة، إلا أنها تنطوي على عدة آيات، منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه، ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجا عنيفا، أو مهلكا كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما، فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة؛ ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل، ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة، في قوله: ﴿إن في ذلك لآيات﴾

وجعلت الآيات لقوم يتفكرون؛ فقال: ﴿لقوم يتفكرون﴾؛ لأن التفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها، ويزيد الناظر بصارة بمنافع أخرى في ضمنها.

ويتفكرون أي: في عظمة الله وقدرته، فهو متعلق بـ ﴿لآيات﴾ والذين يتفكرون: المؤمنون، وأهل الرأي من المشركين الذين يؤمنون بعد نزول هذه الآية ٦٠.

هكذا يصور القرآن العلاقة الزوجية تصويرا رفافا شفيفا، يشع منه التعاطف، وترف فيه الظلال، ويشيع فيه الندى، ويفوح منه العبير: ﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهي صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن والقرار، وهي صلة المودة والرحمة، وهي صلة الستر والتجمل.

إن الإنسان ليحس في الألفاظ ذاتها حنوا ورفقا، ويستروح من خلالها نداوة وظلا، وإنها لتعبير كامل عن حقيقة الصلة التي يفترضها الإسلام لذلك الرباط الإنساني الرفيق الوثيق؛ ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرباط كلها،

بـم١ فيها امتداد الحياة بالنسل، فيمنح هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجديتها، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها؛ ذلك حين يقول: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فيلحظ كذلك معنى الإخصاب والإكثار ٦١.

وأخبر الله تعالى أيضا في الآية الأخرى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم من أزواجهم أولادا تقر بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، فقال: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ [النحل: ٧٢].

والحفدة في كلام العرب: جمع حافد، كما أن الكذبة: جمع كاذب، والفسقة: جمع فاسق، والحافد في كلامهم؛ هو المتخفف في الخدمة والعمل، والحفد: خفة العمل، يقال: مر البعير يحفد حفدانا: إذا مر يسرع في سيره، ومنه قولهم: (إليك نسعى ونحفد) ٦٢ أي: نسرع إلى العمل بطاعتك، يقال منه: حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ٦٣. ومنه قول الراعي ٦٤:

كلفت مجهولها نوقا يمانية

إذا الحداة على أكسائها حفدوا

وعلى هذا فالمراد بالحفدة الأولاد، أو هم الأصهار أختان الرجل على بناته، ومنه قول الشاعر ٦٥:

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت

لها حفد مما يعد كثير

ولكنها نفس علي أبية

عيوف لأصهار اللئام قذور

وقد يكون المراد بهم أولاد الأولاد، أو بنو امرأة الرجل من غيره، أو يكون المراد بهم: الأعوان، أو: الخدم، ومنه قول جميل ٦٦:

حفد الولائد حولهم وأسلمت

بأكفهن أزمة الأجمال

وذهب بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿بنين وحفدة﴾ إلى أن البنين الصغار، والحفدة الكبار ٦٧.

وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل، المتخففون فيها.

وكان الله تعالى أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا، وخدمنا من مـماليكنا إذا كانوا يحفدوننا، فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولا بحجة عقل على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم. فكل الأقوال التي ذكرنا لها وجه في الصحة، ومخرج في التأويل ٦٨.

وهي أقوال متقاربة؛ لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك.
وبالجملة فإن الحفدة هم غير البنين؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿بنين وحفدة﴾ فجعل بينهما مغايرة ٦٩.
قال الرازي: والأولى دخول الكل فيه؛ لأن اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك ٧٠.
وأطلق الحافد على ابن الابن؛ لأنه يكثر أن يخدم جده؛ لضعف الجد بسبب الكبر، فأنعم الله على الإنسان بحفظ سلسلة نسبه بسبب ضبط الحلقة الأولى منها، وهي كون أبنائه من زوجه، ثم كون أبناء أبنائه من أزواجهم، فانضبطت سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع.
وغير الإنسان من الحيوان لا يشعر بحفدته أصلا، ولا يشعر بالبنوة إلا أنثى الحيوان مدة قليلة قريبة من الإرضاع، والحفدة للإنسان زيادة في مسرة العائلة.
قال تعالى: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ [هود: ٧١] ٧١.
ثم قال تعالى في الآية الثالثة: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [النساء: ١].
يعني: آدم، وفي ذلك نعمة عليكم؛ لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم، ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: حواء. وقوله: ﴿منها﴾ أي: من آدم، فالنفس الواحدة: هي آدم، والزوج: حواء، فإن حواء أخرجت من آدم، من ضلعه، كما يقتضيه ظاهر قوله: ﴿منها﴾. وقال بعضهم: معنى: ﴿منها﴾ من جنسها، واللفظ يتناول المعنيين، أو يكون لحمها وجواهرها من ضلعه، ونفسها من جنس نفسه.
فإن قيل: إنه تعالى قادر على خلق حواء من التراب، فأي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم؟ والجواب: أن الأمر لو كان كذلك لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة، وهو خلاف النص، وخلاف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن ذهبت تقيمها كسرتها) ٧٢٧٣.
و (من) في قوله: ﴿منها﴾ تبعيضية، ومعنى التبعيض أن حواء خلقت من جزء من آدم، قيل: من بقية الطينة التي خلق منها آدم، وقيل: فصلت قطعة من ضلعه، وهو ظاهر قوله في الحديث: (خلقت من ضلع). ومن قال: إن المعنى: وخلق زوجها من نوعها لم يأت بطائل؛ لأن ذلك لا يختص بنوع الإنسان، فإن أنثى كل نوع هي من نوعه ٧٤.
وقد شمل قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ العبرة بهذا الخلق العجيب الذي أصله واحد، ويخرج هو مختلف الشكل والخصائص، والمنة على الذكران بخلق النساء لهم، والمنة على النساء بخلق الرجال لهن، ثم من على النوع بنعمة النسل في قوله: ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ مع ما في ذلك من الاعتبار بهذا التكوين العجيب.
ومعنى: ﴿وبث منهما﴾ البث: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة، أي: نشر وأظهر، رجالا كثيرا ونساء، كقوله تعالى: ﴿كالفراش المبثوث﴾ [القارعة: ٤].
أي: المنتشر، يعني: خلق منهما يعني من آدم وحواء، ونشر منهما رجالا كثيرا ونساء، وذكر هذا كله لبيان القدرة؛ وإظهار المنة.
وحصره ذريتها إلى نوعين الرجال والنساء في قوله: ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ مقتض أن الخنثى ليس بنوع مستقل، وأنه وإن فرضناه مشكل في الظاهر فله حقيقة ترده إلى أحد هذين النوعين ٧٥. ووصف الرجال وهو جمع بـ (كثير) وهو مفرد؛

لأن كثير يستوي فيه المفرد والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾ [آل عمران: ١٤٦].
واستغنى عن وصف النساء بكثير لدلالة وصف الرجل به ما يقتضيه فعل البث من الكثرة ٧٦.
وقد تعرف الله تعالى في هذه الآية إلى العقلاء على كمال القدرة بما ألاح من براهين الربوبية، ودلالات الحكمة حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد، على اختلاف هيئتهم، وتفاوت صورهم، وتباين أخلاقهم، وإن اثنين منهم لا يتشابهان، فلكل وجه في الصورة والخلق، والهمة والحالة، فسبحان من لا حد لمقدوراته، ولا غاية لمعلوماته ٧٧.
وخلق أشخاص غير محصورة من إنسان واحد مع تغاير أشكالهم، وتباين أمزجتهم، واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر، وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير .. ، فإذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة، وأظهروا التواضع، وحسن الخلق ٧٨.
رابعا: وصفه بالميثاق الغليظ:
وصف الله عقد النكاح بالميثاق الغليظ في سياق النهي عن الرجوع في شيء مما أعطى الأزواج زوجاتهم، ولو كان المعطى قنطارا، وبين أن أخذه بهتانا وإثما مبينا، وبين أن السبب المانع من أخذ شيء منه هو أنه أفضى إليها بالجماع، فقال: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا (٢٠) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ [النساء: ٢٠ - ٢١].
والمعنى: فمتى ﴿أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أي: تطليق زوجة وتزوج أخرى، أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج. ولكن إذا ﴿وآتيتم إحداهن﴾ أي: المفارقة، أو التي تزوجها ﴿قنطارا﴾ أو أقل أو أكثر، أي: من الذهب أو الفضة، مهرا وصداقا، والمقصود: مالا كثيرا، فلا تأخذوا منه شيئا. والنهي بعده يدل على عموم ما آتاها، سواء كان مهرا، أو غيره ٧٩. والسبب أنه قد صار بينهما من الاختلاط والامتزاج ما لا يناسب أن يأخذ شيئا مما آتاها، سواء كان المهر أو غير المهر.
فلا يمتنع أن يكون أول الخطاب عموما في جميع ما تضمنه الاسم، ويكون المعطوف عليه بحكم خاص فيه، ولا يوجب ذلك خصوص اللفظ الأول. قال أبو بكر الرازي (الجصاص): ويحتج به -أي بهذه الآية- فيمن أسلف امرأته نفقتها لمدة، ثم ماتت قبل المدة أنه لا يرجع في ميراثها بشيء مما أعطاها لعموم اللفظ؛ لأنه جائز أن يريد أن يتزوج بأخرى بعد موتها مستبدلا بها مكان الأولى، فظاهر اللفظ قد تناول هذه الحالة ٨٠.
وفي الآية دليل على جواز الإصداق بالمال الكثير؛ لأن القنطار: المال الكثير الذي هو أقصى ما يتصور من مهور؛ ولأن الله تعالى لا يمثل إلا بمباح ... ، وقال قوم: لا تعطى الآية جواز المغالاة في المهور؛ لأن التمثيل بالقنطار إنما هو على جهة المبالغة كأنه قال: وآتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد.
فالآية الكريمة وإن كانت تفيد جواز الإصداق بالمال الجزيل إلا أن الأفضل عدم المغالاة في ذلك، مع مراعاة أحوال الناس من حيث الغنى والفقر وغيرهما ٨١.
وقد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية، وعدم مصلحة تقاوم.
وضمير ﴿إحداهن﴾ راجع إلى النساء، وهي المرأة التي يراد طلاقها ٨٢.

ثم قال: ﴿أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ بل أدوه أي: مباهتين وآثمين، أو بالبهتان والإثم الظاهر، والبهتان: الكذب الذي يبهت المكذوب عليه، فالبهتان كالشكران والغفران مصدر بهته كمنعه، إذا قال عليه ما لم يفعل ٨٣.

والاستفهام في ﴿أتأخذونه﴾ إنكاري، وانتصب ﴿بهتانا﴾ على الحال من الفاعل في (تأخذونه) بتأويله باسم الفاعل، أي: مباهتين، وإنما جعل هذا الأخذ بهتانا؛ لأنهم كان من عادتهم إذا كرهوا المرأة، وأرادوا طلاقها رموها بسوء المعاشرة، واختلفوا عليها ما ليس فيها؛ لكي تخشى سوء السمعة، فتبذل للزوج مالا فداء ليطلقها. فصار أخذ المال من المرأة عند الطلاق مظنة بأنها أتت ما لا يرضي الزوج، فقد يصد ذلك الراغبين في التزوج عن خطبتها.

وأما وصفه الإثم بكونه ﴿مبينا﴾ لأنه قد صار معلوما للمخاطبين من قوله: ﴿فلا تأخذوا منه شيئا﴾ أو من آية البقرة: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾ أو مما تقرر عندهم من أن حكم الشريعة في الأموال أن لا تحل إلا عن طيب نفس ٨٤.

ثم استعظم ذلك فقال: ﴿وكيف تأخذونه﴾ استفهام تعجبي بعد الإنكار، **أي: ليس من المروءة أن** تطمعوا في أخذ عوض عن الفراق بعد معاشرة امتزاج، وعهد متين ٨٥.

فالمقصود أنه علل النهي من الأخذ بعلتين:

الأولى: الإفضاء وخلوص كل زوج لنفس صاحبه، حتى صارا كأنهما نفس واحدة.

والثانية: الميثاق الغليظ الذي أخذ على الرجال بأن يعاملوا النساء معاملة كريمة.

فقوله: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ الواو هنا: للحال، والجملة بعدها: في محل نصب، وأتى بـ (قد)؛ ليقرب الماضي من الحال ٨٦.

وأصل أفضى: ذهب إلى فضاه أي: ناحية سعته، يقال: أفضى فلان إلى فلان أي: وصل إليه، وأصله أنه صار في فضائه وفرجته، وقيل: أصل الإفضاء الوصول إلى الشيء من غير واسطة، والمعنى: خلص الزوج إلى عورة زوجته، والزوجة كذلك. وهذا الإفضاء يحتمل أنه: كناية عن الجماع، وعلى هذا فالزوج إذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع في نصف المهر وإن خلا بها، أو يكون الإفضاء هو الخلوة وإن لم يجامعها، بأن يكون معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها؛ لأن الخلوة في الأنكحة الصحيحة تقرر المهر ٨٧.

وقيل: إذا طال مكثه معها السنة ونحوها، واتفقا على ألا مسيس، وطلبت المهر كله كان لها، والظاهر أن المراد بالإفضاء الجماع لوجوه:

أحدها: ما تقدم من المعنى اللغوي للإفضاء: أنه يصير في فرجته وفضائه، وهذا المعنى إنما يحصل في الحقيقة عند الجماع، أما في غير وقت الجماع فهذا غير حاصل.

وثانيها: أنه تعالى ذكر في معرض التعجب، فقال: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ والتعجب إنما يتم إذا كان هذا الإفضاء سببا قويا في حصول الألفة والمحبة؛ وذلك لا يحصل بمجرد الخلوة، وإنما يحصل بالجماع، فيحمل عليه.

وثالثها: أن الإفضاء إليها لا بد وأن يكون مفسرا بفعل منه ينتهي إليه؛ لأن كلمة (إلى) لانتهاء الغاية، ومجرد الخلوة ليس كذلك؛ لأن عند الخلوة المحضة لم يصل كل واحد منهما إلى الآخر، فامتنع تفسير قوله: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ بمجرد الخلوة ٨٨.

ورابعها: أن المهر قبل الخلوة ما كان متقررا، وقد علق الشرع تقريره على إفضاء البعض إلى البعض، وقد اشتبه في المراد بهذا الإفضاء هل هو الخلوة أو الجماع؟ وإذا وقع الشك وجب بقاء ما كان على ما كان، والأصل براءة الذمة ٨٩.". (١)

٢٦-"وقال: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تلفت النظر إلى هذه النعمة.

فقوله: ﴿ومن آياته﴾ أي: من نعمه تبارك وتعالى التي تستحق الشكر، وتستحق المحافظة عليها ﴿أن خلق لكم﴾ خلقنا من ذكر وأنثى، فخلق الذكر للأنثى؛ لأنها لا تستقر حياتها من دونه، وخلق الأنثى للذكر لأنه لا يستقر عيشه بدونها.

فهي آية ونعمة اختص بها الإنسان؛ إذ ألهمه الله جعل قرين له، وجبله على نظام محبة وغيرة، لا يسمحان له بإهمال زوجه، كما تهمل العجماوات إناثها، وتنصرف إناثها عن ذكورها، وجعل البنين للإنسان نعمة، وجعل كونهم من زوجة نعمة أخرى؛ لأن بها تحقق كونهم أبناءه بالنسبة للذكر، ودوام اتصالهم به بالنسب، ووجود المشارك له في القيام بتدبير أمرهم في حالة ضعفهم ٥١.

والخطاب بضمير الجماعة المخاطبين في قوله: (جعل لكم) موجه إلى الناس كلهم، وغلب ضمير التذكير 25.

وفي النكاح نعمة أخرى؛ إذ جعل قرين الإنسان متكونا من نوعه، فقال: ﴿من أنفسكم﴾ ولو لم يجعل له ذلك لاضطر الإنسان إلى طلب التأنس بنوع آخر، فلم يحصل التأنس بذلك للزوجين، وهذه الحالة وإن كانت موجودة في أغلب أنواع الحيوان، فهي نعمة يدركها الإنسان، ولا يدركها غيره من الأنواع، وليس من قوام ماهية النعمة أن ينفرد بها المنعم عليه ٥٣.

ومعنى: ﴿من أنفسكم﴾ أي: جعل هذه الزوجة من نوعكم ومن جنسكم من بني آدم، فجميع الأزواج من نوع الناس،

وأما قول تأبط شرا ٥٤:

وتزوجت في الشبيبة غولا

بغزال وصدقتي زق خمر

فمن تكاذيبهم، وكذلك ما يزعمه المشعوذون من التزوج بالجنيات، وما يزعمه أهل الخرافات والروايات من وجود بنات في البحر، وأنها قد يتزوج بعض الإنس ببعضها ٥٥.

ويدل على أن ﴿من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم قوله تعالى: ﴿لتسكنوا إليها﴾ [الروم: ٢١].

---

(١) موسوعة التفسير الموضوعي (مرتبة حسب المجلدات) ص/٢

لأن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر، أي: لا يثبت نفسه معه، ولا يميل قلبه إليه ٥٦.
وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ٥٧. ولو تصورنا أن الله تعالى جعل الزوجين من غير جنس واحد، فلن يشعرا بالسرور واللذة أبدا، ولكن الله تبارك وتعالى خلقهما من جنس واحد، يميل أحدهما إلى الآخر، ويأنس به، فسبحان الله العليم الحكيم.
ومعنى: ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: لتميلوا للأزواج، وتألفوهن، فإن الجنس إلى الجنس أسكن، والسكون هنا مستعار للتأنس، وفرح النفس؛ لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم، كما قالوا: اطمأن إلى كذا، وانقطع إلى كذا، وضمن ﴿لتسكنوا﴾ معنى: (لتميلوا) فعدي بحرف (إلى) وإن كان حقه أن يعلق بـ (عند) ونحوها من الظروف ٥٨.
والسكن إلى المرأة يشمل سكن النفس وسكن الجسم، وهذه إحدى الحكم الإلهية من وراء الزواج.
وجعل الله بين الزوجين المودة و الرحمة، فقال: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].
أي: جعل بين الزوجين المودة والرحمة، فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة، ولا قرابة، ولا سبب يوجب التعاطف، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر، من غير تراحم بينهما، وهذا لا يحصل إلا للزوجين، فالمودة وحدها آصرة عظيمة، وهي آصرة الصداقة والأخوة وتفاريعهما، والرحمة وحدها آصرة منها الأبوة والبنوة، فما ظنكم بآصرة جمعت الأمرين! وكانت بجعل الله تعالى، وما هو بجعل الله فهو في أقصى درجات الإتقان ٥٩.
والمودة والرحمة من أجمل المشاعر التي خلقها الله، فإذا وجد ذلك كله مع الشعور بالحل والهداية إلى الفطرة، ومرضاة الله سبحانه وتعالى كملت هذه المتعة، ولم ينقصها شيء، وقد ساعد على ذلك بالطبع الأصل الأول للخلق وغريزة الميل التي خلقها الله في كل من الذكر والأنثى للآخر.
فلا ألفة أعظم مما بين الزوجين؛ ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه، فقال: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢].
فلشدة ارتباط هذه العلاقة بين الزوجين فلا يستطيع أحد التفريق بينهما، إلا أن يكون هذا التفريق باستعمال مفسدات لعقل أحد الزوجين حتى يبغض زوجه، وإما بإلقاء الحيل والتمويهات والنميمة حتى يفرق بينهما؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢].
ولعل في قوله: ﴿مودة ورحمة﴾ إشارة إلى أن الزواج الناجح لا بد أن تسوده المودة والرحمة؛ ولهذا يجب المحافظة على هذه المودة حتى في حالة الغضب والصعوبات؛ لتستمر الحياة هادئة وسعيدة، فالمودة هي الأساس في بداية العلاقة الزوجية، فلا زواج ناجح من دون الحب بين الطرفين، ولعل الزوجة هي الأقدر في إظهار هذا الجانب وتفعيله مع الزوج.
ثم قال: ﴿إن في ذلك﴾ [الروم: ٢١].
الذي ذكر من ﴿لآيات﴾ جمع، مع أنها -في الحقيقة- آية واحدة، إلا أنها تنطوي على عدة آيات، منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه، ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين،

ولم يجعله تزاوجا عنيفا، أو مهلكا كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما، فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة؛ ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل، ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة، في قوله: ﴿إن في ذلك لآيات﴾

وجعلت الآيات لقوم يتفكرون؛ فقال: ﴿لقوم يتفكرون﴾؛ لأن التفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها، ويزيد الناظر بصارة بمنافع أخرى في ضمنها.

ويتفكرون أي: في عظمة الله وقدرته، فهو متعلق بـ ﴿لآيات﴾ والذين يتفكرون: المؤمنون، وأهل الرأي من المشركين الذين يؤمنون بعد نزول هذه الآية ٦٠.

هكذا يصور القرآن العلاقة الزوجية تصويرا رفافا شفيفا، يشع منه التعاطف، وترف فيه الظلال، ويشيع فيه الندى، ويفوح منه العبير: ﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهي صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن والقرار، وهي صلة المودة والرحمة، وهي صلة الستر والتجمل.

إن الإنسان ليحس في الألفاظ ذاتها حنوا ورفقا، ويستروح من خلالها نداوة وظلا، وإنها لتعبير كامل عن حقيقة الصلة التي يفترضها الإسلام لذلك الرباط الإنساني الرفيق الوثيق؛ ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرباط كلها، بما فيها امتداد الحياة بالنسل، فيمنح هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجديتها، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها؛ ذلك حين يقول: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فيلحظ كذلك معنى الإخصاب والإكثار ٦١.

وأخبر الله تعالى أيضا في الآية الأخرى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم من أزواجهم أولادا تقر بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، فقال: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ [النحل: ٧٢].

والحفدة في كلام العرب: جمع حافد، كما أن الكذبة: جمع كاذب، والفسقة: جمع فاسق، والحافد في كلامهم؛ هو المتخفف في الخدمة والعمل، والحفد: خفة العمل، يقال: مر البعير يحفد حفدانا: إذا مر يسرع في سيره، ومنه قولهم: (إليك نسعى ونحفد) ٦٢ أي: نسرع إلى العمل بطاعتك، يقال منه: حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ٦٣. ومنه قول الراعي ٦٤:

كلفت مجهولها نوقا يمانية

إذا الحداة على أكسائها حفدوا

وعلى هذا فالمراد بالحفدة الأولاد، أو هم الأصهار أختان الرجل على بناته، ومنه قول الشاعر ٦٥:

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت

لها حفد مما يعد كثير

ولكنها نفس علي أبية

عيوف لأصهار اللئام قذور

وقد يكون المراد بهم أولاد الأولاد، أو بنو امرأة الرجل من غيره، أو يكون المراد بهم: الأعوان، أو: الخدم، ومنه قول جميل ٦٦:

حفد الولائد حولهم وأسلمت

بأكفهن أزمة الأجمال

وذهب بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿بنين وحفدة﴾ إلى أن البنين الصغار، والحفدة الكبار ٦٧.

وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل، المتخففون فيها.

وكان الله تعالى أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا، وخدمنا من م ماليكنا إذا كانوا يحفدوننا، فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولا بحجة عقل على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم. فكل الأقوال التي ذكرنا لها وجه في الصحة، ومخرج في التأويل ٦٨.

وهي أقوال متقاربة؛ لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك.

وبالجملة فإن الحفدة هم غير البنين؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿بنين وحفدة﴾ فجعل بينهما مغايرة ٦٩.

قال الرازي: والأولى دخول الكل فيه؛ لأن اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك ٧٠.

وأطلق الحافد على ابن الابن؛ لأنه يكثر أن يخدم جده؛ لضعف الجد بسبب الكبر، فأنعم الله على الإنسان بحفظ سلسلة نسبه بسبب ضبط الحلقة الأولى منها، وهي كون أبنائه من زوجه، ثم كون أبناء أبنائه من أزواجهم، فانضبطت سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع.

وغير الإنسان من الحيوان لا يشعر بحفدته أصلا، ولا يشعر بالبنوة إلا أنثى الحيوان مدة قليلة قريبة من الإرضاع، والحفدة للإنسان زيادة في مسرة العائلة.

قال تعالى: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ [هود: ٧١] ٧١.

ثم قال تعالى في الآية الثالثة: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [النساء: ١].

يعني: آدم، وفي ذلك نعمة عليكم؛ لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم، ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: حواء. وقوله: ﴿منها﴾ أي: من آدم، فالنفس الواحدة: هي آدم، والزوج: حواء، فإن حواء أخرجت من آدم، من ضلعه، كما يقتضيه ظاهر قوله: ﴿منها﴾. وقال بعضهم: معنى: ﴿منها﴾ من جنسها، واللفظ يتناول المعنيين، أو يكون لحمها وجواهرها من ضلعه، ونفسها من جنس نفسه.

فإن قيل: إنه تعالى قادر على خلق حواء من التراب، فأي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم؟ والجواب: أن الأمر لو كان كذلك لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة، وهو خلاف النص، وخلاف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن ذهبت تقيمها كسرتها) ٧٢٧٣.

و (من) في قوله: ﴿منها﴾ تبعيضية، ومعنى التبعيض أن حواء خلقت من جزء من آدم، قيل: من بقية الطينة التي خلق منها آدم، وقيل: فصلت قطعة من ضلعه، وهو ظاهر قوله في الحديث: (خلقت من ضلع). ومن قال: إن المعنى: وخلق زوجها من نوعها لم يأت بطائل؛ لأن ذلك لا يختص بنوع الإنسان، فإن أنثى كل نوع هي من نوعه ٧٤.

وقد شمل قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ العبرة بهذا الخلق العجيب الذي أصله واحد، ويخرج هو مختلف الشكل والخصائص، والمنة على الذكران بخلق النساء لهم، والمنة على النساء بخلق الرجال لهن، ثم من على النوع بنعمة النسل في قوله: ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ مع ما في ذلك من الاعتبار بهذا التكوين العجيب.

ومعنى: ﴿وبث منهما﴾ البث: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة، أي: نشر وأظهر، رجالا كثيرا ونساء، كقوله تعالى: ﴿كالفراش المبثوث﴾ [القارعة: ٤].

أي: المنتشر، يعني: خلق منهما يعني من آدم وحواء، ونشر منهما رجالا كثيرا ونساء، وذكر هذا كله لبيان القدرة؛ وإظهار المنة.

وحصره ذريتها إلى نوعين الرجال والنساء في قوله: ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ مقتض أن الخنثى ليس بنوع مستقل، وأنه وإن فرضناه مشكل في الظاهر فله حقيقة ترده إلى أحد هذين النوعين ٧٥. ووصف الرجال وهو جمع بـ (كثير) وهو مفرد؛ لأن كثير يستوي فيه المفرد والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾ [آل عمران: ١٤٦].

واستغنى عن وصف النساء بكثير لدلالة وصف الرجل به ما يقتضيه فعل البث من الكثرة ٧٦.

وقد تعرف الله تعالى في هذه الآية إلى العقلاء على كمال القدرة بما ألاح من براهين الربوبية، ودلالات الحكمة حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد، على اختلاف هيئتهم، وتفاوت صورهم، وتباين أخلاقهم، وإن اثنين منهم لا يتشابهان، فلكل وجه في الصورة والخلق، والهمة والحالة، فسبحان من لا حد لمقدوراته، ولا غاية لمعلوماته ٧٧.

وخلق أشخاص غير محصورة من إنسان واحد مع تغاير أشكالهم، وتباين أمزجتهم، واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر، وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير .. ، فإذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة، وأظهروا التواضع، وحسن الخلق ٧٨.

رابعا: وصفه بالميثاق الغليظ:

وصف الله عقد النكاح بالميثاق الغليظ في سياق النهي عن الرجوع في شيء مما أعطى الأزواج زوجاتهم، ولو كان المعطى قنطارا، وبين أن أخذه بهتانا وإثما مبينا، وبين أن السبب المانع من أخذ شيء منه هو أنه أفضى إليها بالجماع، فقال: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا (٢٠) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ [النساء: ٢٠ – ٢١].

والمعنى: فمتى ﴿أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أي: تطليق زوجة وتزوج أخرى، أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا

حرج. ولكن إذا ﴿وآتيتم إحداهن﴾ أي: المفارقة، أو التي تزوجها ﴿قنطارا﴾ أو أقل أو أكثر، أي: من الذهب أو الفضة، مهرا وصداقا، والمقصود: مالا كثيرا، فلا تأخذوا منه شيئا. والنهي بعده يدل على عموم ما آتاها، سواء كان مهرا، أو غيره ٧٩. والسبب أنه قد صار بينهما من الاختلاط والامتزاج ما لا يناسب أن يأخذ شيئا مما آتاها، سواء كان المهر أو غير المهر.

فلا يمتنع أن يكون أول الخطاب عموما في جميع ما تضمنه الاسم، ويكون المعطوف عليه بحكم خاص فيه، ولا يوجب ذلك خصوص اللفظ الأول. قال أبو بكر الرازي (الجصاص): ويحتج به –أي بهذه الآية– فيمن أسلف امرأته نفقتها لمدة، ثم ماتت قبل المدة أنه لا يرجع في ميراثها بشيء مما أعطاها لعموم اللفظ؛ لأنه جائز أن يريد أن يتزوج بأخرى بعد موتها مستبدلا بها مكان الأولى، فظاهر اللفظ قد تناول هذه الحالة ٨٠.

وفي الآية دليل على جواز الإصداق بالمال الكثير؛ لأن القنطار: المال الكثير الذي هو أقصى ما يتصور من مهور؛ ولأن الله تعالى لا يمثل إلا بمباح ... ، وقال قوم: لا تعطى الآية جواز المغالاة في المهور؛ لأن التمثيل بالقنطار إنما هو على جهة المبالغة كأنه قال: وآتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد.

فالآية الكريمة وإن كانت تفيد جواز الإصداق بالمال الجزيل إلا أن الأفضل عدم المغالاة في ذلك، مع مراعاة أحوال الناس من حيث الغنى والفقر وغيرهما ٨١.

وقد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية، وعدم مصلحة تقاوم.

وضمير ﴿إحداهن﴾ راجع إلى النساء، وهي المرأة التي يراد طلاقها ٨٢.

ثم قال: ﴿أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ بل أدوه أي: مباهتين وآثمين، أو بالبهتان والإثم الظاهر، والبهتان: الكذب الذي يبهت المكذوب عليه، فالبهتان كالشكران والغفران مصدر بهته كمنعه، إذا قال عليه ما لم يفعل ٨٣.

والاستفهام في ﴿أتأخذونه﴾ إنكاري، وانتصب ﴿بهتانا﴾ على الحال من الفاعل في (تأخذونه) بتأويله باسم الفاعل، أي: مباهتين، وإنما جعل هذا الأخذ بهتانا؛ لأنهم كان من عادتهم إذا كرهوا المرأة، وأرادوا طلاقها رموها بسوء المعاشرة، واختلقوا عليها ما ليس فيها؛ لكي تخشى سوء السمعة، فتبذل للزوج مالا فداء ليطلقها. فصار أخذ المال من المرأة عند الطلاق مظنة بأنها أتت ما لا يرضي الزوج، فقد يصد ذلك الراغبين في التزوج عن خطبتها.

وأما وصفه الإثم بكونه ﴿مبينا﴾ لأنه قد صار معلوما للمخاطبين من قوله: ﴿فلا تأخذوا منه شيئا﴾ أو من آية البقرة: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾ أو مما تقرر عندهم من أن حكم الشريعة في الأموال أن لا تحل إلا عن طيب نفس ٨٤.

ثم استعظم ذلك فقال: ﴿وكيف تأخذونه﴾ استفهام تعجبي بعد الإنكار، **أي: ليس من المروءة أن** تطمعوا في أخذ عوض عن الفراق بعد معاشرة امتزاج، وعهد متين ٨٥.

فالمقصود أنه علل النهي من الأخذ بعلتين:

الأولى: الإفضاء وخلوص كل زوج لنفس صاحبه، حتى صارا كأنهما نفس واحدة.

والثانية: الميثاق الغليظ الذي أخذ على الرجال بأن يعاملوا النساء معاملة كريمة.
فقوله: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ الواو هنا: للحال، والجملة بعدها: في محل نصب، وأتى بـ (قد)؛ ليقرب الماضي من الحال ٨٦.
وأصل أفضى: ذهب إلى فضاه أي: ناحية سعته، يقال: أفضى فلان إلى فلان أي: وصل إليه، وأصله أنه صار في فضائه وفرجته، وقيل: أصل الإفضاء الوصول إلى الشيء من غير واسطة، والمعنى: خلص الزوج إلى عورة زوجته، والزوجة كذلك.
وهذا الإفضاء يحتمل أنه: كناية عن الجماع، وعلى هذا فالزوج إذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع في نصف المهر وإن خلا بها، أو يكون الإفضاء هو الخلوة وإن لم يجامعها، بأن يكون معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها؛ لأن الخلوة في الأنكحة الصحيحة تقرر المهر ٨٧.
وقيل: إذا طال مكثه معها السنة ونحوها، واتفقا على ألا مسيس، وطلبت المهر كله كان لها، والظاهر أن المراد بالإفضاء الجماع لوجوه:
أحدها: ما تقدم من المعنى اللغوي للإفضاء: أنه يصير في فرجته وفضائه، وهذا المعنى إنما يحصل في الحقيقة عند الجماع، أما في غير وقت الجماع فهذا غير حاصل.
وثانيها: أنه تعالى ذكر في معرض التعجب، فقال: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ والتعجب إنما يتم إذا كان هذا الإفضاء سببا قويا في حصول الألفة والمحبة؛ وذلك لا يحصل بمجرد الخلوة، وإنما يحصل بالجماع، فيحمل عليه.
وثالثها: أن الإفضاء إليها لا بد وأن يكون مفسرا بفعل منه ينتهي إليه؛ لأن كلمة (إلى) لانتهاء الغاية، ومجرد الخلوة ليس كذلك؛ لأن عند الخلوة المحضة لم يصل كل واحد منهما إلى الآخر، فامتنع تفسير قوله: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ بمجرد الخلوة ٨٨.
ورابعها: أن المهر قبل الخلوة ما كان متقررا، وقد علق الشرع تقريره على إفضاء البعض إلى البعض، وقد اشتبه في المراد بهذا الإفضاء هل هو الخلوة أو الجماع؟ وإذا وقع الشك وجب بقاء ما كان على ما كان، والأصل براءة الذمة ٨٩.". (١)

(١) موسوعة التفسير الموضوعي (مرتبة حسب الموضوعات الرئيسية) ص/٢